٣ / ١ / موقر

٢٢٦

الجلد السادس من تفسير كبير

عدد ٢٣

بو كتاب

سنه

٢١٠ ورقه در

وتواصوا بالصبر

جلد سادس سورة حم سجده دن

سورة محمدك آخرينه وارنجيه دك

نعم الحافظ الله نعم القادر الله فقدرنا فنعم القادرون [illegible]

الجزء التاسع عشر من نتائج العبر

في تفسير الكتاب العزيز ٥ من تصنيف الشيخ

الامام العالم العلامة محمد [illegible] الهروي

نفع الله بسره ونوره

صح ٥

الحمد لله وبه استعين [illegible]

عفا الله عنه [illegible]

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين
والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي
محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع واكرمه الله تعالى
بالزلفى والحسنى حرره الفقير احمد شيخ زاده
المفتش باوقاف الحرمين الشريفين
عفي عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة السجدة وهي مكية

اربع وخمسون اية

حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا
عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم
فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا
عاملون قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم
اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون
اعلم ان في اول هذه السورة [illegible]
احدها [illegible]
وهو في موضع الابتداء [illegible]
كتاب [illegible]
في [illegible] يجوز رفع بالابتداء وخبره كتاب
فصلت اياته ووجهه ان قوله تنزيل تخصص بالصفة وهو
قوله من الرحمن الرحيم فجاز وقوعه مبتدا واعلم
ان الله تعالى حكم على السورة المسماة بحم باشياء اولها انها تنزيل

والمراد

والمراد المنزل والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور
يقال هذا بناء الامير اي مبنيه وهذا الدرهم ضرب
السلطان اي مضروبه والمراد كونها منزلا ان الله تعالى
كتبها في اللوح المحفوظ وامر جبريل عليه السلام ان يحفظ
الكلمات ثم ينزل بها على محمد صلى الله عليه وسلم ويبلغها
اليه فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبريل
عليه السلام سمي بذلك تنزيلا وثانيها كون ذلك التنزيل
من الرحمن الرحيم وذلك يدل على ان ذلك التنزيل على
ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان الفعل المقرون بالصفة
لا بد وان يكون مناسبا لتلك الصفة فكونه تعالى رحمانا
رحيما صفتان دالتان على كمال الرحمة والتنزيل المضاف الى
هاتين الصفتين لا بد وان يكون دالا على اعظم وجوه
الرحمة والامر في نفسه كذلك لان الخلق في هذا العالم كالمرضى
والزمنى والمحتاجين والقران مشتمل على كل ما يحتاج
اليه المريض من الادوية وعلى كل ما يحتاج اليه الاصحاء
[illegible] فكان اعظم النعم من الله تعالى على اهل هذا
العالم انزال القران العظيم وثالثها كونه كتابا وقد
بينا ان هذا الاسم مشتق من الجمع وانما سمي كتابا
لانه جمع فيه علم الاولين والاخرين ورابعها
قوله فصلت اياته والمراد انه ميزت اياته وجعلت
تفاصيل في معاني مختلفة فبعضها في وصف ذات الله تعالى
وشرح صفات التنزيه والتقديس وشرح كمال علمه وقدرته
ورحمته وحكمته وعجائب احوال خلقه السموات والكواكب

وتعاقب الليل والنهار وعجايب احوال النبات والحيوان
والانسان وبعضها في المواعظ والنصايح وبعضها في
تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها في قصص
الانبيا وتواريخ الماضين وبالجملة فمن انصف علم انه ليس
في بني آدم الخلق كتاب يجمع فيه من العلوم المختلفة والجلوم
المتباينة مثل ما في القران وجامعيتها قوله قرانا والوحدة
في التسمية قرانا ما درسني وقوله قرانا نصب على الاختصاص والمدح
ايا رتبتها الكتاب المنفصل قرانا من صفته كيت وكيت
وقيل هو نصب على الحال في ذكرنا قوله عربيا والمعنى
ان هذا القران انما نزل بلغة العرب وبالدهر ابقوله تعالى
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ٥ وقوله [illegible]
قوله تعالى لقوم يعلمون [illegible] قرانا عجميا
انا ارسلناه على قوم [illegible] العرب ليبهما
منه المراد [illegible]
فكما يجوز ان يكون [illegible] تنزيل [illegible] قوله فصلت
اي تنزيل من الله لا علم [illegible] والاجود
ان يكون صفة مثل ما [illegible]
عربيا لكنا لقوم عرب [illegible] من الصلاب
والصعوبات وثمنها وتاسيها قوله بشيرا ونذيرا
يعني بشيرا للمطيعين بالثواب ونذيرا للمجرمين بالعقاب
والحوائج [illegible] بشارة ونذارة الذاته اطلق
اسم الفاعل عليه للتنبيه على كونه كاملا في
هذه الصفة بما نعال شعر شاعر وكلام قايل ٥

وعا

وعاشرها لو انهم معرضين عنه فلا يسمعونه ولا يلتفتون
اليه وهذه هي الصفات العشر التي وصف الله تعالى
القران بها ونتفرع عليها مسايل **المسالة الاولى**
القايلون بخلق القران احتجوا بهذه الاية من وجوه الاول
انه وصف القران بكونه تنزيلا ومنزلا والمنزل والتنزيل
مشعر بالتغير من حال الى حال فوجب ان يكون مخلوق
الثاني ان التنزيل مصدر والمصدر هو المفعول
المطلق باتفاق النحويين ٥ الثالث المراد بالكتاب
اما الكتابة وهي المصدر [illegible] هو المفعول المطلق
او المكتوب الذي هو [illegible] ٥ الرابع ان قوله
فصلت [illegible] بالفصل وذلك لا يليق
[illegible] ٥ الخامس [illegible] قرانا [illegible]
[illegible]
ومجعول [illegible] وصفه بكونه عربيا
وانما صحت هذه [illegible] من الالفاظ
[illegible]
واما [illegible] بوضع العرب واصطلاحاتهم
مخلوقا والجواب [illegible] فاعل ولا بد وان يكون محدثا
[illegible] الوجوه التي ذكرتموها
عايد الى اللغات والى الحروف والكلمات وهي عندنا
مخلوقة محدثة واما الذي ندعي قدمه شيء اخر سوى من الالفاظ
والله اعلم ٥ **المسالة الثانية** ذهب اكثر المتكلمين الى انه
يجب على الحكيم تنزيل الفاظ القران على المعاني التي هي موضوعة
لها بحسب اللغة العربية فاما حملها على معاني اخر لا بهذا الطريق

اما تدبر ح

بهذه الطرق فهذا باطل قطعاً وذلك مثل الوجوه التي يذكرها أهل
الباطن مثل قولهم بأنهم يحملون الحروف تارة على حساب
الجمل وتارة يحملون كل حرف على شيء آخر وللصوفية طرق كثيرة
في هذا الباب ويسمونها علم المكاشفة والذي يدل على فساد
تلك الوجوه بأسرها قوله تعالى قرآناً عربياً وإنما سماه
عربياً لكونه دالاً على هذه المعاني المخصوصة بوضع العرب
وباصطلاحاتهم وذلك يدل على أن دلالة هذه الألفاظ لم تحصل
إلا على تلك المعاني المخصوصة وأن ما سواه فهو باطل

المسألة الثالثة ذهب قوم إلى أنه حصل في القرآن
من سائر اللغات كقولنا استبرق وسجيل فإنهما فارسيان
وقولنا مشكاة فإنها من لغة الحبشة وقولنا قسطاس
فإنه من لغة الروم والذي يدل على فساد هذا المذهب قوله
قرآناً عربياً وقوله وما أرسلنا من رسول إلا بلسان

المسألة الرابعة قالت المعتزلة لفظ الإيمان والكفر
والصلوة والزكوة والصوم والحج ألفاظ شرعية لا لغوية
والمعنى أن الشرع نقل هذه الألفاظ عن مسمياتها اللغوية
الأصلية إلى مسميات أخرى وعندنا أن هذا باطل وليس
للشرع تصرف في هذه الألفاظ إلا من وجه واحد وهو
أنه خصص هذه الأسماء بنوع معين من أنواع مسمياتها
مثل الإيمان عبارة عن التصديق والصلوة عبارة عن
الدعاء فخصصه الشرع بنوع معين من الدعاء وكذا القول
في البواقي ودليلنا على صحة مذهبنا قوله تعالى قرآناً عربياً
وقوله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه وصف الله
القرآن

المسألة الخامسة
اماح

القرآن بقوله قرآناً عربياً في معرض المدح والتعظيم وهذا المطلوب
لا يتم إلا إذا ثبت أن لغة العرب أفضل اللغات واعلم أن هذا
المقصود إنما يتم إذا ثبت أن لغة العرب أفضل اللغات واعلم
أن هذا المقصود لا يتم إلا إذا ضبطنا أقسام فضائل اللغات ثم
بينا أن تلك الأقسام حاصلة فيه لا في غيره فنقول لا شك
أن الكلام مركب من الكلمات المفردة والكلمة مركبة من
الحروف والكلمة لها مادة وهي الحروف ولها صورة وهي تلك
الهيئة المعينة الحاصلة عند التركيب فهذه الفضيلة إنما
تحصل إما بحسب مادتها أو بحسب صورتها التي بحسب
اما
مادتها فهي آحاد الحروف واعلم أن الحروف على قسمين
بعضها بينة المخارج ظاهرة المقاطع وبعضها خفية المخارج
مشتبهة المقاطع وحروف العرب بأسرها ظاهرة المخارج
بينة المقاطع لا يشتبه فيها شيء بالآخر وأما الحروف المستعملة
في سائر اللغات فليست كذلك بل قد يحصل فيها حروف
يشتبه بعضها بعضاً وذلك يخل بكمال الفصاحة وأيضاً
الحركات المستعملة في لغة العرب حركات ظاهرة جلية وهي
النصب والرفع والجر وكل واحد من هذه الثلاثة فإنه
متميز عن غيره امتيازاً ظاهراً جلياً وأما الإشمام والروم
فيقل حصولهما في كلام العرب وذلك أيضاً من جنس ما يوجب
الفصاحة وأما الفضائل الحاصلة بحسب التركيب فهي أنواع
أحدها أن الحروف على قسمين متباعدة المخرج ومتقاربة المخرج
وأيضاً الحروف على قسمين منها صلبة ومنها رخوة فيحصل من
هذا التقسيم أقسام أربعة الصلبة المتقاربة والرخوة المتقاربة

والصلبة المتباعدة والرخوة المتباعدة فاذا توالى في الكلمة
حرفان صلبان متقاربان صعب اللفظ به لان بسبب تقارب
المخرج يصير اللفظ به جاريا مجرى ما اذا كان الانسان
مقيدا ثم يمشي وبسبب صلابة تلك الحروف يتوارد الاعمال
الشاقة القوية على الموضع الواحد من المخرج وتوالى
الاعمال الشاقة القوية على الموضع الواحد من المخرج
يوجب الضعف والاعياء ومثل هذا التركيب في اللغة
العربية قليلة وثانيها ان يحصل بعض الحروف الذ واطيب في
السمع وكل كلمة يحصل فيها حروف من هذا الجنس كانت تماما
اطيب وثالثها الوزن وتحقيقه ان الكلمة اما ان تكون
ثنائية او ثلاثية او رباعية واعدلها هو الثلاثي لان
الصوت انما يتولد بسبب الحركة والحركة لابد وان يحصل
فيها هذه المراتب الثلاثة حتى تكون تامة اما الثنائية
فهي ناقصة واما الرباعية فهي زائدة والغالب في كلام
العرب الثلاثيات فثبت بما ذكرنا ضبط فضائل
اللغات بالاستقراء وهو يدل على ان لغة العرب
موصوفة بها واما ساير اللغات فليست كذلك
المسئلة السادسة قوله لقوم يعلمون يعني انا جعلناه
قرآنا عربيا لاجل ان يعلموا المراد منه والقائلون بان
افعال الله معللة بالمصالح والحكم تمسكوا بهذه الاية
فقالوا انها تدل على انه انما جعله عربيا لهذه الحكمة وهذا
يدل على ان تعليل افعال الله واحكامه جائز المسئلة
السابعة قال قوم القرآن كله غير معلوم والدليل عليه قوله تعالى

قرآنا عربيا لقوم يعلمون يعني انا جعلناه عربيا ليصير معلوما
والقول بانه غير معلوم يقدح فيه المسئلة الثامنة
قال فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون يدل على ان الهادي من
هداه الله وان الضال من اضله الله وتقريره ان الصفات
التسعة المذكورة للقرآن يوجب قوة الاهتمام بمعرفته
والوقوف على معانيه لانا بينا ان كونه تنزيلا من
عند الله الرحمن الرحيم يدل على اشتماله على افضل المنافع
واجل المطالب وكونه قرآنا عربيا مفصلا يدل على انه في
غاية الكشف والبيان وكونه بشيرا ونذيرا يدل
على ان الاحتياج الى فهم ما فيه من اهم المهمات لان
سعي الانسان في معرفة ما يوصل الى الثواب او الى
العقاب من اهم المهمات فقد حصلت هذه الموجبات
الثلاثة في تأكيد الرغبة في فهم القرآن وفي شدة الميل
الى الاحاطة به ثم مع ذلك فقد اعرضوا عنه ولم يلتفتوا
اليه وسدوا ورآء ظهورهم وذلك يدل على انه لا يهتدي
الا من هداه ولا يضل الا من اضله الله والله تعالى اعلم
لما وصف القرآن بانهم اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه
بين انهم صرحوا بهذه النفرة والمباعدة وذكروا
ثلاثة اشياء احدها انهم قالوا قلوبنا في اكنة مما
تدعونا اليه والاكنة جمع كنان كغطاء واغطية والكنان هو
الذي يجعل فيه السهام وثانيها قوله ومن بيننا وبينك حجاب
والحجاب هو الذي يمنع من الرؤية والفائدة في كلمة
من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب انه لو قيل بيننا وبينك

كونه

حجاب والحجاب هو الذي يمنع من الرؤية والفائدة في
كلمة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب انه لو قيل وبيننا وبينك
حجاب لكان المعنى ان الحجاب ابتدا منا وابتدا منك فالمسافة
الحاصلة بيننا وبينك مستوعبة بالحجاب وما بقي جزء منها
فارغا عن هذا الحجاب فكانت هذه اللفظة دالة على قوة
هذا الحجاب هكذا ذكره صاحب الكشاف وهو في غاية
الحسن ه واعلم انه لما وقع الاقتصار على هذه الاعضاء الثلثة
وذلك لان القلب محل المعرفة وسلطان البدن والسمع
والبصر هما الالتان المعينتان لتحصيل المعارف فلما بين ان
هذه الثلثة محجوبة كان ذلك اقصى ما يمكن في هذا الباب ه
واعلم انه اذا تباعدت النفس عن الشيء صارت تلك النفرة
في القلب فاذا سمع كلامه لم يفهم منه معناه كما ينبغي
واذا راه لم تصر تلك الرؤية سببا للوقوف على دقائق احوال
ذلك المرئي وذلك لان المدرك والشاعر هو النفس وشدة
قوة النفرة عن الشيء تمنعها من التدبر والوقوف على دقائق ذلك
الشيء فثبت ان الامر كذلك كان قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب استعارات
كاملة في افادة المعنى المراد فان قيل انه تعالى حكى هذا
المعنى عن الكفار في معرض الذم وذكر ايضا ما يقرب منه في
معرض الذم فقال وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم
ثم انه تعالى ذكر هذه الاشياء الثلثة بعينها في معرض التقرير
والاثبات في سورة الانعام فقال وجعلنا على قلوبهم اكنة
ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا فكيف الجمع بينهما قلنا انه لم يقل هاهنا

بكم
عربيا لقوم يعلمون يعني انما جعلناه عربيا ليصير معلوما والقول
بانه غير معلوم يقدح فيه ، ، ، ، فاعرض اكثرهم
فهم لا يسمعون يدل على ان الهادي من هداه الله وان الضال من
انهم كذبوا في ذلك انما الذين يذمهم عليه انهم قالوا اذا كان
كذلك لم يجز تكليفنا وتوجيه الامر والنهي علينا وهذا
الكلام الثاني باطل اما الاول فليس في الاية ما يدل على
انهم كذبوا فيه واعلم انهم لما وصفوا انفسهم بهذه
الصفات الثلثة قالوا فاعمل اننا عاملون والمراد فاعمل
على دينك فاننا عاملون على ديننا ويجوز ان يكون المراد
فاعمل في ابطال امرنا فاننا عاملون في ابطال امرك والحاصل
ان عندنا ان [illegible] في قولهم قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
بل انما اتوا بالكفر والكلام الباطل في قولهم فاعمل
اننا عاملون ولما حكى الله تعالى عنهم هذه
الشبهة امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجيب عن هذه
الشبهة بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم
اله واحد وبيان هذا الجواب كانه يقول اني لا
اقدر على ان احملكم على الايمان جبرا وقهرا فاني بشر
مثلكم ولا امتياز بيني وبينكم الا بمجرد ان الله تعالى
اوحى الي وما اوحى اليكم فانا ابلغ هذا الوحي اليكم
ثم بعد ذلك ان شرفكم الله بالتوفيق قبلتموه وان خذلكم
بالحرمان رددتموه وذلك لا يتعلق بنبوتي ورسالتي
ثم بين ان خلاصة ذلك الوحي ترجع الى الامرين العلم

والعمل اما العلم فالرأس والرئيس فيه معرفة التوحيد وذلك
لان الحق هو الله واحد وهو المراد من قوله انما الهكم اله واحد
واذا ثبت ذلك وجب علينا ان نعرفه وهو
المراد من قوله فاستقيموا اليه ونظيره قوله اهدنا الصراط
المستقيم وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
وقوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وفي قوله تعالى
فاستقيموا اليه وجهان الاول فاستقيموا له لان حروف
الجر يقام بعضها مقام البعض والثاني اعلم ان المكلف لما كان
احد [illegible] الاعتقاد [illegible] والرئيس فيه اعتقاد التوحيد
[illegible] الرئيس فيه الاستغفار
فهذا [illegible] التصوف
الاستغفار [illegible] وذلك مقابلة
[illegible] ولزم فعل ما ينبغي
[illegible] الاستغفار الاستغفار
عن [illegible] المراد [illegible] الخوف
من وقوع التقصير في العمل [illegible] صلى الله عليه وسلم
وانه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم والليلة
سبعين مرة ولما رغب الله تعالى في الخير والطاعة امر
بالتحذير عما لا ينبغي فقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون وفي هذه الآية مسائل **المسألة**
الاولى وجه النظم في هذه الآية من وجوه الاول ان
العقول والشرائع ناطقة بان خلاصة السعادات مربوطة
بامرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وذلك لان

الموجود اما الخالق واما المخلوق اما الخالق تعالى فكمال
السعادة في المعاملة معه ان يقر بكونه موصوفا بصفات
الجلال والعظمة ثم يأتي بافعال دالة على كونه في نهاية العظمة
في اعتقادنا وهذا هو المراد من التعظيم لامر الله واما الخلق
فكمال السعادة في المعاملة معهم ان يسعى في دفع الشر عنهم وفي
ايصال الخير اليهم وذلك هو المراد من الشفقة على خلق الله تعالى
فثبت ان اعظم الطاعات التعظيم لامر الله وافضل ابواب التعظيم
لامر الله الاقرار بكونه واحدا [illegible] التوحيد اعلى
المراتب [illegible] اعلاها [illegible] وهو
[illegible] المراتب [illegible] المعاملة
مع الخلق [illegible] الشفقة عليهم [illegible]
اخس الاعمال [illegible] الشفقة على خلق الله [illegible]
هذا فنقول انه تعالى [illegible] بصفات
[illegible] التوحيد و[illegible]
الاشارة [illegible] بكونه ممتنعا من
الزكاة [illegible] على خلق الله واليه الاشارة بقوله
الذين لا يؤتون الزكاة [illegible] كونه منكرا للقيامة مستغرقا
في طلب الدنيا ولذاتها واليه الاشارة بقوله وهم بالآخرة هم كافرون
وتمام الكلام في انه لا زيادة على هذه المراتب الثلاثة
ان الانسان له ثلاثة ايام امس واليوم والغد اما معرفة
انه كيف كانت الاحوال في الامس الاول فهو معرفة الازلي
الخالق لهذا العالم واما معرفة انه كيف ينبغي معرفة الاحوال
في المستقبل فهو الاقرار بالبعث والقيامة واذا ثبت ان الانسان

على ضد الحق في هذه المراتب الثلاثة كان في نهاية الجهل والضلال
فلهذا حكم الله عليه بالويل فقال وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون وهذا توعد
في غاية والله اعلم ۝ الوجه الثاني في تقرير لفظه
الطبراني قال ان المراد بقوله لا يؤتون الزكاة اي لا يزكون
انفسهم من لوث الشرك بقوله لا اله الا الله وهو
ماخوذ من قوله ونفس وما [زكاها]
الثالث قال الفراء
ان قريشا كانت تطعم الحاج فحرموا على من امن بمحمد صلى الله
عليه وسلم ۝ **المسئلة الثالثة** احتج اصحابنا
في اثبات ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام بهذه
الآية وقالوا انه تعالى الحق الوعيد بفعل امرين
احدهما كونه مشركا والثاني انه لا يؤتي الزكاة
فوجب ان يكون لكل واحد من هذين اثر عظيم في حصول
ذلك الوعيد فدلت الآية على ان لعدم ايتاء الزكاة من
المشرك اثر عظيم في زيادة الوعيد وذلك هو
المطلوب ۝ **المسئلة الرابعة** احتج بعضهم على ان
الامتناع من ايتاء الزكاة يوجب الكفر فقال انه تعالى
لما ذكر هذه الصفة ذكر قبلها ما يوجب الكفر وهو قوله
فويل للمشركين وذكر ايضا بعدها ما يوجب الكفر
وهو قوله وهم بالآخرة هم كافرون فلو لم يكن عدم
ايتاء الزكاة كفرا لكان ذكره فيما بين الوصفين
الموجبين للكفر قبيحا لان الكلام انما يكون فصيحا
اذا كانت المناسبة مرعية بين اجزائه ثم اكدوا ذلك بان

ابا بكر

ابا بكر الصديق رضي الله عنه حكم بكفر مانعي الزكاة والجواب
لما ثبت بالدليل ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار
باللسان وهما حاصلان عند عدم ايتاء الزكاة لم يلزم حصول
الكفر بسبب عدم ايتاء الزكاة والله اعلم ۝ ثم انه تعالى
لما ذكر وعيد الكفار اردفه بوعد المؤمنين فقال ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع
من قولك مننت الحبل اي قطعته ومنه قولهم قد منه السفر
اي قطعه وقيل لا يمن عليهم لانه تعالى لما سماه اجرا افاد
ان الاجر لا يوجب المنة وقيل نزلت في المرضى والزمنى
اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا
يعملون ۝ **قوله تعالى** قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين
وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي
دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في
كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك
تقدير العزيز العليم ۝ اعلم انه تعالى لما امر محمدا صلى الله
عليه وسلم في الآية الاولى ان يقول انما انا بشر مثلكم
يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه اردفه بما يدل
على انه لا يجوز اثبات الشركة بينه تعالى وبين هذه الاصنام
في الالهية والعبودية وذلك بان بين لهم كمال قدرته

وحكمته في خلق السموات والارض في مدة قليلة، فمن هذا صفته
كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة شركاء له في الالهية
والمعبودية فهذا تقرير النظم وفي الاية مسائل المسألة الاولى
قرأ ابن كثير ائنكم لتكفرون بهمزة وما بعدها يا خفيفة
ساكنة بلا مد المسألة الثانية قوله تعالى ائنكم
استفهام بمعنى الانكار وذكر منهم شيئين منكرين احدهما
الكفر بالله وهو قوله ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين وثانيهما اثبات الشركاء والانداد وتجعلون له
الكفر المذكور اولا ولامعنى الا اثبات الانداد له ضرورة انه
عطف احدهما على الاخر موجب التغاير فالظاهر ان المراد منه هو
نحو الاول وقولهم ان الله تعالى لا يقدر على بعث الموتى
فلما زعموا ثبوت هذه العجز فقد كفروا بالله والثاني
انهم كانوا يدعون في صحة التكليف وفي بعثة الانبياء
وكل ذلك قدح في الصفات المعتبرة في الالهية وهو كفر
بالله والثالث انهم كانوا يضيفون لله الاولاد وذلك
ايضا قدح في الالهية وهو يوجب الكفر والحاصل انهم
كفروا بالله لاجل قولهم بهذه الاشياء واثبتوا الانداد لله
لاجل قولهم بالهية الاصنام واحتج تعالى على فساد قولهم
بالثاني فقال كيف تكفرون بالله كيف يجوز الكفر
بالله وكيف يجوز جعل هذه الانداد الخسيسة
اندادا لله مع انه تعالى هو الذي خلق الارض في يومين وتمم
بقية مصالحها في يومين اخرين وخلق السموات باسرها
في يومين اخرين فمن قدر على خلق هذه الاشياء العظيمة

كيف

كيف يعقل الكفر به وانكار قدرته على الحشر والنشر وكيف
يعقل جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا له في المعبودية
والالهية فان قيل من استدل بشيء على اثبات شيء فذلك
الشيء المستدل به يجب ان يكون مسلما عند الخصم حتى يصح
الاستدلال به وكونه تعالى خالقا للارض في يومين امر
لا يمكن اثباته بالعقل المحض وانما يمكن اثباته بالسمع
ووحي الانبياء والكفار كانوا منكرين للوحي والنبوة
فلا يعقل تقرير هذه المقدمة عليهم واذا امتنع تقريرها
عليهم امتنع الاستدلال بها على فساد مذاهبهم قلنا
اما كون السموات والارض مخلوقة بطريق العقل
ممكن واذا امكن ذلك امكن الاستدلال به على وجود الاله
القادر القاهر العظيم وحينئذ يقال للكفار كيف يعقل
التسوية بين الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة
وبين الصنم الذي هو جماد لا يضر ولا ينفع في المعبودية
والالهية بقي ان يقال تحديد فلا يبقى في محل الاستدلال
كونه تعالى خالقا للارض في يومين فنقول
هذا ايضا مذكور في الكتاب وذلك لان التوراة مشتملة
على هذا المعنى فكان ذلك في غاية الشهرة بين اهل الكتاب
وكفار مكة كانوا يعتقدون في اهل الكتاب انهم
اصحاب العلوم والحقائق والظاهر انهم كانوا قد
سمعوا من اهل الكتاب هذه المعاني واعتقدوا انها حق
واذا كان الامر كذلك فحينئذ يحسن ان يقال لهم ان
يقال لهم ان الاله الموصوف بالقدرة على خلق هذه

الاشياء العظيمة في هذه المدة القصيرة لكن يليق

لكن يليق بالعقل حمل الحشر المنحور فالحجر المنحوت شريكا
له في العبودية والالهية وظهر بما قررناه ان الاستدلال
قول حسن واما قوله تعالى ذلك رب العالمين اي ذلك
الموجود الذي علمت من صفته وقدرته انه خلق الارض في
يومين اخبر انه ثلاثة انواع من الصنع العجيب والفعل
البديع بعد ذلك فالاول قوله وجعل فيها رواسي من فوقها
والمراد منها الجبال وقد تقدم تفسير كونها رواسي في
سورة النحل فان قيل ما الفائدة في قوله من فوقها فلم لم
يقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كما اقتصر على قوله وجعلنا
فيها رواسي شامخات وقوله وجعلنا في الارض رواسي
وقوله وجعل لها رواسي قلنا انه تعالى لو جعل لها رواسي
من تحتها لاوهم ذلك ان تلك الاساطين التحتانية التي
امسكت هذه الارض الثقيلة عن النزول ولكنه تعالى
قال خلقت هذه الجبال الثقال فوق الارض ليرى الانسان
بعينه ان الارض والجبال اثقال على اثقال وكلها مفتقرة
الى ممسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدبر الا الله سبحانه وتعالى
والنوع الثاني مما اخبر الله تعالى في هذه الاية قوله تبارك وتعالى
وبارك فيها والبركة الخير والخيرات الحاصلة
من الارض اكثر مما يحيط به الشرح والبيان وقد
ذكرناها بالاستقصاء في سورة البقرة قال ابن عباس
يريد شق الانهار وخلق الجبال وخلق الاشجار والثمار وخلق
اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه من الخيرات والنوع
الثالث قوله تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة

اقوال الاول ان المعنى وقدر فيها اقوات اهلها ومعايشهم
وما يصلحهم قال محمد بن كعب قدر اقوات الابدان قبل ان يخلق
الابدان والقول الثاني قال مجاهد وقدر فيها اقواتها من المطر
وعلى هذا القول فالاقوات للارض لا للسكان والمعنى ان الله عز وجل قدر
لكل ارض حظها من المطر والقول الثالث ان المراد من اضافة
الاقوات الى الارض هو انها متولدة في تلك الارض وحادثة فيها لان
النحويين قالوا المعنى يحسن الاضافة لادنى سبب فالشي قد يضاف الى
فاعله تارة والى محله اخرى فقوله وقدر فيها اقواتها اى قدر الاقوات
التي تختص حدوثها بها وذلك لانه تعالى جعل كل بلدة معدنا
لنوع من الاشيا المطلوبة حتى ان اهل هذه البلدة يحتاجون الى
الاشيا المتولدة في تلك البلدة وبالعكس فصار هذا المعنى سببا لرغبة
الناس في التجارات من اكتساب الاموال ودامت مرة ان سوق
صنعة الحايك والزراعة اكثر الحرف والصنايع بركة لان الله سبحانه
وضع الاقوات والارزاق في الارض فقال وقدر فيها اقواتها واذا
كانت الاقوات موضوعة في الارض فاطلبها من الارض متعينا ولما
ذكر الله سبحانه هذه الانواع الثلثة من التدبير قال بعده في اربعة
ايام سوا للسايلين وهاهنا سؤالات السوال الاول انه تعالى
ذكر انه خلق الارض في يومين وذكر انه اصلح هذه الانواع الثلثة
في اربعة ايام اخرى وذكر انه خلق السموات في يومين فيكون المجموع ثمانية
ايام وذكر في سائر الايات انه خلق السموات والارض في ستة
ايام فلزم التناقض واعلم ان العلما اجابوا عنه بان قالوا
المراد من قوله وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام مع اليومين الاولين
وهذا كقول القايل سرت من البصرة الى بغداد في عشرة ايام

حرت الى الكوفة في خمسة يريد كلي المسافتين ويقول الرجل
للرجل اعطيتك الفا في شهر والوفا في شهرين فيكون الالف
في الالف والشهر في الشهرين السوال الثاني انه تعالى
لما ذكر خلق الارض في يومين فلو ذكر انه خلق هذه الانواع الثلثة
الباقية في يومين اخرين كان ابعد عن الشبهة وابعد عن الغلط
فلم ترك هذا التصريح وذكر ذلك الكلام المجمل والجواب
ان قوله في اربعة ايام سوا فيه فايدة زايدة على ما اذا قال
خلقت هذه الثلثة في يومين وذلك لانه لو قال خلقت
هذه الاشيا في يومين لم يفد هذا الكلام كون اليومين
مستغرقين بتلك الاعمال لانه قد يقال عملت هذا العمل
في يومين مع ان اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل اما لما
ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشيا ثم قال في
اربعة ايام سوا دل ذلك على ان هذه الايام الاربعة صارت
مستغرقة في تلك الاعمال من غير زيادة ولا نقصان
السوال الثالث كيف القراة في قوله سوا الجواب
قال صاحب الكشاف قرى سوا بالحركات الثلث الجر على الوصف
والنصب على استوت استوا والرفع على هي سوا
السوال الرابع ما المراد من كون تلك الايام الاربعة سوا
فنقول ان الايام قد تكون متساوية المقادير كالايام
الموجودة في مساكن خط الاستوا وقد تكون مختلفة كالايام
الموجودة في سائر الايام الاربعة كانت متساوية غير مختلفة
السوال الخامس بم يتعلق قوله للسايلين الجواب
فيه وجهان الاول ان الزجاج قال قوله تعالى في اربعة

ايام اي في تتمة اربعة ايام لاجل السائلين اي الطالبين للاقوات
المحتاجين اليها ○ والثاني انه متعلق بمحذوف والتقدير
كانه قيل هذا الحصر لاجل من سأل كم خلقت الارض
وما فيها ولما شرح الله تعالى كيفية تخليق الارض وما فيها
اتبعه بخلق السموات فقال ثم استوى الى السماء وهي دخان
فقال لها وللارض وفيه مباحث البحث الاول قوله تعالى
ثم استوى الى السماء من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها
لا يلتفت معه الى عمل آخر وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج
ونظيره قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى
فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السموات
بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك ○
البحث الثاني ذكر صاحب الاثر انه كان عرش الرحمن على الماء
قبل خلق السموات والارض فاحدث الله في ذلك الماء سخونة فارتفع
زبد ودخان اما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق الله منه
اليبوسة واحدث منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا
فخلق الله منه السموات واعلم ان هذه القصة غير موجودة
في القرآن فان دل عليه دليل صحيح قبل والا فلا وهذه القصة
مذكورة في اول الكتاب الذي يزعم اليهود انه التورية وفيه انه
تعالى خلق السماء من اجزاء الظلمة وهذا هو المعقول لانا قد
دللنا في المعقولات على ان الظلمة ليست كيفية وجودية بدليل
انه لو جلس انسان في ضوء السراج وانسان آخر في الظلمة فان الذي
جلس في الضوء لا يرى مكان الجالس في الظلمة ويرى ذلك الهوا مظلما
واما الذي جلس في الظلمة يرى ذلك الذي كان جالسا في الضوء ويرى ذلك

الهوا مضيئا ولو كانت الظلمة صفة قائمة بالهوا لما اختلفت الاحوال في
الناظرين فثبت ان الظلمة عبارة عن عدم النور والله سبحانه وتعالى
لما خلق الاجزاء التي لا تتجزى فقبل ان خلق فيها صفة الضوء كانت مظلمة عديمة
النور فاذا ركبها وجعلها سموات وكواكب وشمسا وقمرا واحدث صفة
الضوء فيها فحينئذ صارت مستنيرة فثبت ان تلك الاجزاء حين
قصد الله تعالى ان يخلق منها السموات والشمس والقمر كانت
مظلمة فصح تسميتها بالدخان لانه لا معنى للدخان الا اجزاء متفرقة
غير متواصلة عديمة النور فهذا ما خطر بالبال في تفسير الدخان والله اعلم
بحقيقة الحال ○ البحث الثالث قوله ثم استوى الى السماء وهي
دخان يشعر بان تخليق السماء حصل بعد تخليق الارض وقوله تعالى
والارض بعد ذلك دحاها يشعر بان تخليق الارض حصل بعد تخليق
السماء وذلك يوجب التناقض واختلف العلماء في هذه المسألة
والجواب المشهور ان يقال انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق
السماء ثم بعد خلق السماء دحى الارض وبهذا الطريق يزول
التناقض واعلم ان هذا الجواب عندي مشكل من وجوه الاول
ان الله تعالى خلق الارض في يومين ثم انه في اليوم الثالث جعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها وهذه الاحوال
لا يمكن ادخالها في الوجود الا بعد ان صارت الارض منبسطة
وقوله تعالى وبارك فيها مفسر بخلق الاشجار والنبات والحيوان
فيها وذلك لا يمكن الا بعد صيرورتها منبسطة ثم انه تعالى قال
بعد ذلك ثم استوى الى السماء فهذا يقتضي انه تعالى خلق السماء بعد خلق
الارض وبعد ان جعلها مدحوة وحينئذ يعود السؤال المذكور

السؤال الثاني انه ورد في الدلائل الهندسية على ان الارض في
اول خلقها ان قلنا انها كرة والان فهي كرة ايضا لانها
منذ خلقت كانت مدحوة وان قلنا انها غير كرة ثم جعلت كرة
فيلزم ان يقال انها كانت مدحوة قبل ذلك فما ذكر عنها هذه الصفة
وذلك باطل السؤال الثالث ان الارض جسم في
غاية العظم والجسم الذي يكون كذلك فانه من اول حدوثه في الوجود
يكون مدحوا فالقول بانها كانت مدحوة ثم صارت مدحوة
قول باطل والذي جا بالصدق والاذى جا في كتب التواريخ
ان الارض خلقت في موضع موضع الصخرة ببيت المقدس فهو
كلام مشكل لانه اذا كان المراد انها على عظمها خلقت ذلك
الموضع ثم حولت بقية اجزايها واضيفت الى تلك الاجزا التي
خلقت اولا فهذا يكون اعترافا بان تخليق الارض وقع متاخرا عن
تخليق السماء السؤال الرابع انه لما حصل تخليق ذات
الارض في يومين وتخليق سائر الاشيا الموجودة في الارض
في يومين اخرين وتخليق السموات في يومين اخرين كان مجموع
ذلك ستة ايام فاذا حصل دحو الارض من بعد ذلك فقد
حصل هذا الدحو في زمان اخر بعد الايام الستة فحينئذ يقع
تخليق السموات والارض في اكثر من ستة ايام وذلك باطل
السؤال الخامس انه لا نزاع ان قوله تعالى بعد هذه الاية
ثم قال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها كناية عن ايجاد السماء
والارض فلو تقدم ايجاد الارض على ايجاد السماء لكان قوله تعالى
ايتيا طوعا او كرها يقتضي ايجاد الموجود وانه محال باطل فهذا

تم

تمام البحث عن هذا الجواب ثم نقل الواحدي في البسيط عن مقاتل انه قال
خلق السما قبل الارض وتاول قوله ثم استوى الى السما ثم كان
قد استوى الى السماء وهي دخان قبل ان خلق الارض فاضمر فيه
كان كما قال تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل معناه
ان يكن سرق وقال تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاها
بأسنا والمعنى فكان قد جاها هذا ما نقله الواحدي وهو عندي
ضعيف لان تقدير الكلام ثم كان قد استوى الى السماء
وهذا جمع بين الضدين لان كلمة ثم تقتضي التاخير وكلمة
كان تقتضي التقدم والجمع بينهما يفيد التناقض وانما يجوز
تاويل كلام الله بما لا يؤدي الى وقوع التناقض والركاكة
فيه والمختار عندي ان يقال خلق السما مقدم على خلق
الارض بقي ان يقال كيف تاويل الاية فنقول الخلق ليس
عبارة عن التكوين والايجاد والدليل عليه قوله تعالى ان
مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
فلو كان الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين لصار
تقدير الاية اوجده من تراب ثم قال له كن فيكون
هذا محال لانه يلزم انه تعالى قال للشي الذي وجد كن
ثم انه يكون وهذا محال فثبت ان الخلق ليس عبارة عن
التكوين والايجاد بل هو عبارة عن التقدير والتقدير في
حق الله تعالى هو حكمته بان سيوجد واذا ثبت هذا فنقول
قوله خلق الارض في يومين معناه انه قضى بحدوثه في يومين وقضى الله
بانه سيحدث كذا في مدة كذا لا يقتضي حدوث ذلك الشي في

يومين

الحال فقضى الله بحدوث الارض في يومين قد تقدم على احداث
السماء ولا يلزم منه تقدم احداث الارض على احداث السماء
وحينئذ يزول السؤال فهذا ما وصلت اليه في هذا الموضع المشكل
ثم قال تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين واعلم ان ظاهر هذا الكلام يقتضي
ان الله تعالى امر السماء والارض بالاتيان فاطاعا وعند هذا
الخلاف في معنى الاية والاولى ان نجري هذه الاية على
ظاهرها ونقول ان الله تعالى امرهما بالاتيان فاطاعا قال
القائلون بهذا القول هذا ليس بمستبعد الا ترى ان الله تعالى
انطق الجبال مع داود عليه السلام فقال يا جبال اوبي معه
والطير وقال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا
والله تعالى انطق الايدي والارجل فقال يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون واذا كان كذلك
فكيف يستبعد ان يخلق الله سبحانه وتعالى في ذات السموات
والارض حيوة وعقلا ثم يوجه الامر والتكليف عليهما
وبيان هذا الاحتمال من وجوه الاول ان الاصل حمل
اللفظ على ظاهره الا ما منع منه مانع وههنا لا مانع
فوجب اجراؤه على ظاهره الثاني انه تعالى اخبر
عنهما فقال قالتا اتينا طائعين وهذا الجمع جمع ما يعقل
والثالث قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وهذا يدل على كونها
عارفة بالله مخصوصة بتوجيه تكاليف الله عليها والاشكال عليه

ان يقال المراد من قوله ائتيا طوعا او كرها الاتيان الى الوجود والحدوث
والحصول وعلى هذا التقدير فحال توجه هذا الامر كانت السموات
والارض معدومة اذ لو كانت موجودة وذلك لا يجوز فثبت ان حال
توجه هذا الامر عليها كانت معدومة اذ لو كانت موجودة وذلك
لا يجوز فثبت ان حال توجه هذا الامر عليها كانت معدومة واذا
كانت معدومة لم تكن فاهمة ولا عارفة للخطاب فلم يجز توجه
الامر عليها فان قال قائل روى مجاهد عن ابن عباس
انه قال قال الله للسموات اطلعي شمسك وقمرك ونجومك
وقال للارض شققي انهارك واخرجي ثمارك فكان الله تعالى
اودع فيها هذه الاشياء ثم امرهما بابرازها واظهارها
فنقول فعلى هذا التقدير لا يكون المراد من قوله ائتيا
طائعين حدوثهما في ذاتهما بل يصير المراد في هذا الامر ان
يظهر ما كان مودعا فيهما الا ان هذا الكلام باطل
لانه تعالى قال فقضاهن سبع سموات في يومين وذلك
يدل على ان حدوث السماء انما حصل بعد قوله ائتيا طوعا
او كرها فهذا جملة ما يمكن ذكره في هذا البحث
القول الثاني ان قوله قال لها وللارض ائتيا طوعا
او كرها ليس المراد منه توجيه الامر والتكليف على
السموات والارض بل المراد منه انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا
عليه ووجدتا كما اراد وكانتا في ذلك كالمأمور
المطيع اذا ورد عليه امر المطاع ونظيره قول القائل
قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد سل من يدقني

وراى الحجر الذى بين وراى ولعلم ان هذا عدول عن
الظاهر وانما جاز العدول عن الظاهر اذا قام الدليل على
انه لا يمكن اجراوه على ظاهره وقد بينا ان قوله ايتيا طوعا
او كرها انما حصل قبل وجودهما واذا كان الامر كذلك امتنع
حمل قوله ايتيا على الامر والتكليف فوجب حمله على ما ذكرناه
مع على لفظ الاية سوال السوال الاول ما الفايدة
في قوله فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها الجواب
المقصود منه اظهار كمال القدرة والتقدير ايتيا شئتما ذلك
او ابيتما كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت
او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى
طايعين او مكرهين فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره
وقيل انه تعالى ذكر السما والارض ثم ذكر الطوع والكره
فوجب ان يصرف الطوع الى السماء والكره الى الارض
وتخصيص السما بالطوع لوجوه احدها ان السما في دوام
حركتها على نهج واحد لا يختلف يشبه حيوانا مطيعا
لله عز وجل بخلاف الارض فانها مختلفة الاحوال تارة تكون
في السكون واخرى في الحركات المضطربة وثانيها ان
الموجود في السما ليس الا الطايعون قال تعالى
يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يومرون واما اهل
الارض فليس الامر في حقهم كذلك وثالثها ان السما
موصوفة بكمال الحال في الامور لو انها اصل الالوان
واسفلها افضل للاسفل وهو المسدد ومكانها افضل

الامكنة وهو الجو العالى وسكانها افضل الاجرام وهي الكواكب
المتلالية بخلاف الارض فانها مكان الظلمة والكثافة واختلاف
الاحوال وتغير الذوات والصفات فلا جرم وقع التعبير عن تكون
السما بالطوع وعن تكون الارض بالكره واذا ان خلا وخلق
الارض على الكره كان اهلها موصوفين بانواع الكرب والكرب
والقهر والعسر السوال الثاني ما المراد من قوله ايتيا ومن
قوله اتينا الجواب ايتيا الى الوجود والحصول وهو قوله
كن فيكون وقيل المعنى ايتيا على ما ينبغي ان ياتيا عليه من الشكل
والوصف اى يا ارض مدحوة قرارا ومهادا ويا سما مقببة سقفا
ومعنى الاتيان الحصول والوقوع على وفق المراد كما تقول اى
عمله مرضيا وجا مقبولا ويجوز ايضا ان يكون المعنى ليات كل
واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذى تقتضيه الحكمة والتدبير
من كون الارض قرارا للسما وكون السما سقفا للارض السوال
الثالث هلا قيل طايعين على اللفظ او طايعات على المعنى لانهما
سموات وارضون الجواب لما جعلن مخاطبات ومجيبات
ووصفن بالطوع والكره قيل طايعين في موضع طايعات نحو
قوله ساجدين ومنهم من استدل به على كون السموات احيا
وكون الارض في جوف السموات اقل من الذرة الصغيرة في
جوف الجمل الكبير فلهذا السبب صارت اللفظة الدالة على العقل
والحيوة عائدة الا ان هذا اللفظ باطل باجماع المتكلمين
على فساده ثم قال تعالى فقضيهن سبع سموات في يومين وقضا الشي
انما هو اتمامه والفراغ منه والضمير في قوله فقضاهن يجوز ان

يرجع الى السماء على المعنى كما قال طائعين وكما قال الجار نخل
ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصب
ان احدهما على الحال والثاني على التمييز ذكر اهل الاثر ان الله تعالى
خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق ما في الارض في يوم الثلثا
والاربعا وخلق السموات وما فيهن في يوم الخميس والجمعة ووقع
في آخر ساعة في يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم
فيها القيامة قال قيل اليوم عبارة عن النهار والليل وذلك
انما يحصل بسبب طلوع الشمس وغروبها فقبل حدوث السموات
والشمس والقمر كيف يعقل حصول اليوم قلنا معناه انه مضى من
المدة ما لو حصل هنا لك وشمس لكان المقدار مقدرا
بيومين ثم قال تعالى واوحى في كل سماء امرها قال مقاتل امر
في كل سماء بما اراد وقال قتادة خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وقال
السدي خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال
البرد وقال عطاء في كل سماء بيت تحج اليه وتطوف به الملائكة
كل واحد منها مقابل الكعبة ولو وقع مسقطا لما وقعت
الا على الكعبة والاقرب ان يقال قد ثبت في علم النحو
انه يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب وقد ثبت ان على اهل كل
سماء تكليف خاص من الملائكة منهم من بقي في القيام من اول خلق
العالم الى قيام القيامة ومنهم ركوع لا يسجدون ومنهم سجود لا يرفعون
فاذا كان الامر مخصصا بهل ذلك السماء كان ذلك الامر مخصصا بتلك
السماء فقوله تعالى واوحى في كل سماء امرها اي وحي كل سماء بامرها
المضاف اليها واعلم ان ايات الامر فيها مشروط بحصول المامور

فيها وهذا يدل على انه تعالى اسكن هذه السموات الملائكة وانه تعالى
امرهم باشيا ونهاهم عن اشيا وليس في الاية ما يدل على انه
انما خلق الملائكة مع السموات او انه تعالى خلقهم قبل السموات
ثم انه تعالى اسكنهم فيها وايضا ليس في الاية بيان الشرائع
التي امر الملائكة بها وهذه الاسرار لا تليق بعقول البشر
بل هي اعلى من مشاعر افهامهم ومدارك اوهامهم ثم قال
وزينا السماء الدنيا بمصابيح وهي النيرات التي خلقها في السموات
وخص كل واحد بضوء معين وسر معين وطبيعة معينة
لا يعرفها الا الله تعالى ثم قال وحفظا يعني وحفظناها
حفظا يعني من الشياطين الذين يسترقون السمع واعد
لكل شيطان نجما يوقعه به ولا يخطئه فمنها
ما يحرق ومنها ما يقتل ومنها ما يجعله مخبلا وعن
ابن عباس ان اليهود سالوا الرسول صلى الله عليه وسلم
عن خلق السموات والارض فقال خلق الله تعالى الارض
يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال والشجر في يومين
وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس
والقمر والملائكة ثم خلق ادم عليه السلام واسكنه
الجنة ثم قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى
على العرش قالوا لو اتممت ثم استراح فغضب صلى الله عليه وسلم
فنزل قوله تعالى وما مسنا من لغوب واعلم انه تعالى
لما ذكر هذه التفاصيل قال ذلك تقدير العزيز العليم والعزيز
اشارة الى كمال القدرة والعليم اشارة الى كمال العلم
وما احسن هذه الخاتمة لان تلك الاعمال لا يمكن الا بقدرة كاملة

كاملة وعلم محيط **قوله تعالى** فان اعرضوا فقل
انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من
بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا
لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون فاما عاد فاستكبروا
في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي
خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فارسلنا
عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا ينصرون واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا
يكسبون ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون ○
اعلم ان الكلام انما ابتدا من قوله انما الهكم اله واحد
واحتج عليه بقوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين وحاصله ان الاله الموصوف بهذه القدرة
القاهرة كيف يجوز الكفر به وكيف يجوز جعل هذه الاجسام
الخسيسة شركاء له في الالهية ولما تمم هذه الحجة
قال فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود ... وطيفة الحجة قد تمت على اكمل الوجوه
فان بقوا مصرين على الجهل لم يبق حينئذ علاج في حقهم
الا انزال العذاب عليهم فلهذا السبب قال ○
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
يعني ان اعرضوا عن هذه الحجة القاهرة التي ذكرناها واصروا
على الجهل والتقليد فقل انذرتكم والانذار هو التخويف
قال المبرد والصاعقة المرة المهلكة لاي شيء

هو

وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود قال صاحب الكشاف
وهي المرة من الصعق ○ ثم قال اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم
ومن خلفهم وفيه وجهان الاول ان الرسل المبعوثين اليهم اتوهم
من كل جانب واجتهدوا بهم واتوا بجميع وجوه الحيل فلم يروا
منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان
قوله لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لاتينهم من كل جهة
ولاعملن فيهم كل حيلة ويقول الرجل استدرت بفلان
من كل جانب فلم يؤثر حيلتي فيه القول الثاني المعنى
ان الرسل جاءتهم من قبلهم ومن بعدهم فان قيل كيف يمكن
وصفهم بانهم جاءوهم قلنا قد جاءهم هود وصالح
داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل وبهذا التقدير فكان
جميع الرسل قد جاءوهم ثم قال الا تعبدوا الا الله يعني
ان الرسل الذين جاءوهم من بين ايديهم ومن خلفهم امروهم
بالتوحيد ونفي الشرك قال صاحب الكشاف ان في قوله
الا تعبدوا الا الله بمعنى اي او مخففة من الثقيلة اصله
بانه لا تعبدوا اي بان الشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا
الا الله ثم حكى الله تعالى عن اولئك الكفار انهم قالوا لو شاء
ربنا لانزل ملائكة يعني انهم كذبوا اولئك الرسل وقالوا
الدليل على كونكم كاذبين انه تعالى لو شاء ارسال
الرسل الى البشر لجعل رسله من زمرة الملائكة لان ارسال
الرسل الى الخلق كان اقضى الى المقصود من البعثة والرسالة
ولما ذكروا هذه الشبهة قالوا فانا بما ارسلتم به كافرون

معناه قل اذا ستم بشرا ولستم بملايكة فانتم لستم برسل
واذا لم تكونوا من الرسل لم يلزمنا قبول قولكم وهو المراد من
قوله فانا بما ارسلتم به كافرون واعلم انا بالغنا في الجواب
عن هذه الشبهه في سورة الانعام وقوله ارسلتم به ليس
اقرارا منهم بكون اولئك الانبيا رسلا وانما ذكروه حكاية
لكلام الرسل او على سبيل الاستهزا كما قال فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون روي ان ابا جهل قال في ملاء
من قريش التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما
بالشعر والسحر والكهانه فكلمه ثم اتانا ببيان من امره
فقال عتبة بن ربيعة والله لقد علمت الشعر والسحر
والكهانه وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال
له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير
ام عبد الله لم تشتم الهتنا وتضللنا فقال فان كنت
تريد الرياسة عقدنا لك اللوا فكنت رئيسنا وان كان بك
الباه زوجناك عشر نسوة تختارهن من اي بنات قريش
شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغني
به من ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما
فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت قال نعم
قال فاسمع ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ ثم قرا
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته
قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم
لا يسمعون فقوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة

الى اربع

عاد

الله

عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم الا ما سكت ثم
رجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا لا نرى عتبة الا
قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد
صبات فغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد كلمته
فاجابني بشي ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم حتى
سكت ولقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل
العذاب واعلم انه تعالى لما بين كفر قوم عاد وثمود على
الاجمال بين خاصة كل واحد من هاتين الطائفتين فقال
فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وهذا الاستكبار
فيه وجهان الاول اظهار النخوة والكبر وعدم الالتفات
الى الغير والثاني الاستعلا على الغير واستخدامهم ثم ذكر تعالى
سبب ذلك الاستكبار وهو انهم قالوا من اشد منا قوة
وكانوا مخصوصين بكبر الاجسام وشدة القوة ثم انه تعالى
ذكر ما يدل على انهم لا يجوز لهم ان يغتروا بتلك القوة فقال
اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة فانه ان كانت الزيادة
في القوة توجب كون الناقص في طاعة الكامل فهذه المعاملة توجب
عليهم كونهم منقادين لله تعالى خاضعين لاوامره ونواهيه
واحتج اصحابنا بهذه الاية على اثبات القدرة لله تعالى لان لفظ
القوة ههنا هي القدرة وقوله اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة يدل على اثبات القوة لله تعالى ويتاكد
هذا بقوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان قيل
صيغة افعل التفضيل انما تجري بين شيئين لاحدهما الى الاخر

يشبه لكن قدرة العبد متناهية وقدرة الله لا نهاية لها والمتناهي
لا نسبة له الى غير المتناهي فهذا معنى قوله ان الله اشد منهم قوة
فلما هذا وزد على ما قال مولانا الله الذي ثم قال وكانوا
بآياتنا يجحدون والمعنى انهم كانوا يعرفون انها حق ولكنهم يجحدونها
كما يجحد المودع الوديعة ○ واعلم ان نظم الكلام ان يقال
اما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وكانوا بآياتنا يجحدون
وقوله وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي
خلقهم هو اشد منهم قوة اعتراض وقع في البين لتقرير السبب
الداعي لهم الى الاستكبار واعلم انا ذكرنا ان مجامع الخصال
الجميلة الاحسان الى الخلق وقوله وكانوا بآياتنا يجحدون
مضاد لتعظيم الخالق واذا كان الامر كذلك فهم قد بلغوا
في الصفات المذمومة الموجبة للهلاك والابطال الى الغاية
القصوى فلهذا المعنى سلط الله عليهم العذاب فقال
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات وفي الصرصر
قولان احدهما انها العاصفة التي تصرصر اي تصوت
في هبوبها وفي علة هذه التسمية وجوه قيل ان الرياح
عند اشتداد هبوبها يسمع منها صوت يشبه لفظ الصر
وهو الصيحة ومنه قوله تعالى فاقبلت امرأته في صرة
والقول الثاني انها الباردة تحرق ببردها كما تحرق
النار بحرها واصلها صر من الصر وهو البرد قال تعالى كمثل
ريح فيها صر وروي عن عبد الله انه قال الرياح ثمان اربع منها
عذاب العاصف والصرصر والعقيم ○ واربع منها رحمة الناشرات
والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن ابن عباس

ان الله

ان الله تعالى ما ارسل على عاد من الريح الا قدر خاتمي والمقصود انه مع قلته
اهلك الكل وذلك يدل على كمال قدرة الله تعالى ○ واما قوله
في ايام نحسات ففيه مسائل **المسئلة الاولى** قرأ نافع وابن
كثير وابو عمرو نحسات بسكون الحاء والباقون بكسر الحاء
قال صاحب الكشاف يقال نحس نحسا نقيض سعد سعدا
وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف
مصدر **المسئلة الثانية** استدل الاحكاميون من
المنجمين بهذه الاية على ان بعض الايام قد يكون نحسا وبعضها
يكون سعدا وقالوا هذه الاية صريحة في هذا المعنى اجاب
المتكلمون بان قالوا ايام نحسات اي ذات غبار وتراب ثائر
لا يكاد يبصر فيه ويتصرف وايضا قالوا معنى كون هذه الايام
نحسات ان الله اهلكهم فيها اجاب المستدل بوجوه
الاول ان النحسات في وضع اللغة هي المشئومات لان
النحس يقابله السعد والكدر يقابله الصافي الثاني انه
اخبر عن ايقاع ذلك العذاب في تلك الايام النحسات فوجب ان
يكون تلك الايام نحسة مغايرة لذلك العذاب الذي وقع فيها ثم قال تعالى
لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اي عذاب الهون والذل
والسبب فيه انهم استكبروا فقابل الله تعالى ذلك الاستكبار بايصال
الخزي والهوان والذل اليهم ثم قال تعالى ولعذاب الاخرة
اخزى اي اشد اهانة اي انهم يقعون في الخزي الشديد ومع ذلك
فلا ينصرون اي ليس لهم ناصر يدفع ذلك الخزي عنهم ولما ذكر الله تعالى قصة عاد
اتبعه بقصة ثمود فقال واما ثمود قال صاحب الكشاف
قرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه

بعد حصول الاهتداء وقرئ بضم الثاء فهديناهم اي دللناهم على طريق
الخير والشر فاستحبوا العمى على الهدى اي فاختاروا الدخول في
الضلالة على الدخول في الرشد واعلم ان صاحب
الكشاف ذكر في تفسير الهدى في قوله تعالى هدى للمتقين ان
الهدى عبارة عن الدلالة الموصلة الى البغية وهذه الآية
تبطل قوله لانها تدل على ان الهدى قد حصل مع ان الايصال
الى البغية لم يحصل فثبت ان قيد كونه موصلا الى البغية
غير معتبر في اسم الهدى وقد ذكر في هذه الآية سؤالا
يشعر بذلك الا انه لم يذكر جوابا شافيا فتركناه قالت
المعتزلة هذه الآية دالة على ان الله تعالى نصب الدلائل
وازاح الاعذار والعلل الا ان الايمان انما يحصل من
العبد لان قوله واما ثمود فهديناهم يدل على انه تعالى
قد نصب لهم الدلائل وقوله فاستحبوا العمى على الهدى
يدل على انهم من عند انفسهم اتوا بذلك العمى وهذا يدل على
ان الكفر والايمان يحصلان من العبد واقول بل هذه
الآية من ادل الدلائل على انهما يحصلان من الله وبيانه من
وجهين الاول انه انما صدر عنهم ذلك العمى لانهم احبوا
حصوله فلما وقع في قلوبهم هذه المحبة دون محبة ضده فان حصل
هذا الترجيح لا لمرجح فهو باطل فان كان المرجح هو العبد عاد الطلب
وان كان المرجح هو الله فقد حصل المطلوب الثاني انه تعالى
قال فاستحبوا العمى على الهدى ومن المعلوم بالضرورة
ان احدا لا يحب العمى والجهل مع العلم بكونه عمى وجهلا بل ما لم
يظن في ذلك العمى والجهل كونه تبصرا وعلما لا يرغب فيه فاقدامه على اختيار

ذلك

ذلك الجهل الثاني باختيار ايضا لزم التسلسل وهو محال فلا بد
من انتهاء تلك الجهالات الى جهل يحصل فيه لا باختياره وهو المطلو ب
ولما وصف الله كفرهم قال فاخذتهم صاعقة العذاب
الهون بما كانوا يكسبون وصاعقة العذاب الهون اي داهية
العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او
ابدل منه بما كانوا يكسبون يريد من شركهم وتكذيبهم صالحا
وعقرهم الناقة وشرع صاحب الكشاف هاهنا في سفاهة
عظيمة والاولى ان لا يلتفت اليه لانه وان كان
قد سعى سعيا حسنا فيما يتعلق بالالفاظ الا ان
المسكين كان بعيدا عن المعاني ولما ذكر الله تعالى
الوعيد اردفه بالوعد فقال ونجينا الذين آمنوا
وكانوا يتقون يعني الاعمال التي كانت تاتي بها قوم
عاد وثمود فان قيل كيف يجوز للرسول صلى الله عليه وسلم
ان ينذر قومه مثل صاعقة عاد وثمود مع العلم بان ذلك
لا يقع في امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد صرح الله تعالى
بذلك في قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وجاء في
الاحاديث الصحيحة ان الله تعالى رفع عن هذه الامة
هذه الانواع من الآفات قلنا انهم لما عرفوا انهم
مشاركون لعاد وثمود في استحقاق مثل تلك الصاعقة
جوزوا حدوث ما يكون من جنس ذلك وان كان اقل
درجة منهم وهذا القدر يكفي في التخويف **قوله تعالى**
ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤ ها
شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا

فقال

تعالى

وكانوا يتقون

وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل
شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون ٥ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم
فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا
فما هم من المعتبين ٥ واعلم انه تعالى لما بين كيفية عقوبة
اولئك الكفار في الدنيا اردفه بكيفية عقوبتهم في الاخرة ليحصل
منه تمام الاعتبار في الزجر والتحذير قرا نافع نحشر
بالنون اعداء بالنصب اضاف الحشر الى نفسه والتقدير
نحشر الله تعالى اعداء الله من الاولين والاخرين
ويحسنه انه معطوف على ونجينا فيحسن ان يكون على وفقه
في اللفظ ويقويه قوله تعالى يوم نحشر المتقين وحشرناهم
واما الباقون فقرءوا على فعل ما لم يسم فاعله لان قصته
مقدمة وقوله ويوم يحشر ابتدا كلام اخر
وايضا الحاشرون لهم هم المامورون بقوله احشروا ا
وهم الملائكة وايضا ان هذه القراة موافقة لقوله فهم يوزعون
وايضا فتقدير القراءة الاولى ان الله تعالى قال ونوحي
نحشر اعداء الله فكان الاولى على هذا التقدير ان يقال ويوم نحشر
اعداءنا الى النار واعلم انه تعالى ذكر ان اعداء الله يحشرون الى
النار فهم يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم اي يوقف
سوابقهم حتى يصل اليهم تواليهم والمقصود بيان انهم اذا
اجتمعوا سئلوا عن اعمالهم ثم قال حتى اذا ما جاءوها
شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم وفيه مسائل ٥

المسئلة

المسئلة الاولى التقدير حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم
وابصارهم وعلى هذا التقدير فكلمة ما صلة وقيل فيها
فائدة زائدة وهي التاكيد ان عند مجيئهم لا بد وان يحصل هذه الشهادة
كقوله اثم اذا ما وقع امنتم به اي لا بد لوقت وقوعه من ان يكون
وقت ايمانهم به **المسئلة الثانية** روي ان العبد يقول يوم القيمة
يا رب الست قد وعدتني ان لا تظلمني فيقول الله تعالى
فان ذلك لك فيقول العبد اني لا اقبل على نفسي شاهدا
من هذا الا من نفسي فيختم الله على فيه وتنطق اعضاؤه بالاعمال
التي صدرت منه فلذلك قوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
واختلف الناس في كيفية تلك الشهادة وفيه ثلثة اقوال
احدها ان الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها
فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه والثاني انه تعالى يخلق في
تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة على تلك المعاني كما
خلق الكلام في الشجرة ٥ والثالث انه يظهر في تلك الاعضاء
احوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان
وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال يشهد هذا العالم
بتغير احواله على حدوثه واعلم ان هذه المسئلة
صعبة على المعتزلة اما القول الاول فهو صعب
على مذهبهم لان البنية عندهم شرط لحصول العقل
والقدرة فاللسان مع كونه لسانا يمتنع ان يكون محلا
للعلم والقدرة فاذا جعل الله تلك البنية والصورة فيخرج عن كونه
لسانا وجلدا وظاهر القرآن يدل على اضافة تلك الشهادة
الى السمع والبصر والجلود وان قلنا ان الله سبحانه وتعالى خلق

بنيه هذه الاعضاء فحينئذ تمتنع عليها لو نها فاعلة ناطقة عالمة
واما القول الثاني وهو ان الله تعالى خلق
هذه الاصوات والحروف في تلك الاعضاء فهذا ايضا باطل على
اصول المعتزلة لان مذهبهم ان المتكلم هو الذي فعل الكلام لا ما
كان موصوفا بالكلام فانهم يقولون ان الله تعالى خلق الكلام
في الشجرة وكان المتكلم بذلك الكلام هو الله لا الشجرة فها هنا
لو قلنا ان الله تعالى خلق الاصوات والحروف في هذه الاعضاء
لزم ان يكون الشاهد هو الله تعالى لا تلك الاعضاء ولزم ان يكون
المتكلم بذلك الكلام هو الله تعالى لا تلك الاعضاء وظاهر القرآن
يدل على ان تلك الشهادة صدرت من تلك الاعضاء لا من الله تعالى
لان الله تعالى قال شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
وجلودهم وايضا انهم قالوا لتلك الاعضاء لم شهدتم علينا
فقالت الاعضاء انطقنا الله الذي انطق كل شيء وكل هذه
الآيات دالة على ان المتكلم بتلك الكلمات هو الاعضاء
وان تلك الكلمات ليست كلام الله فهذا توجيه الاشكال
على هذين القولين ۝ واما القول الثالث وهو تفسير هذه
الشهادة بظهور امارات مخصوصة على هذه الاعضاء دالة على
صدور تلك الاعمال منهم فهذا عدول عن الحقيقة الى المجاز
والاصل عدمه فهذا منتهى الكلام في هذا البحث اما
على مذهب اصحابنا فهذا الاشكال غير لازم لان عندنا
البنية ليست شرطا للحياة ولا للعلم ولا للقدرة فالله تعالى
قادر على خلق العقل والقدرة والنطق في كل جزء من اجزاء
هذه الاعضاء وعلى هذا التقدير فالاشكال

زايل

زايل وهذه الآية تحسن التمسك بها في بيان ان البنية ليست
شرطا للحياة ولا لشيء من الصفات المشروطة في الحياة والله اعلم
واما القول الرابع ما رايت للمفسرين في تخصيص
هذه الاعضاء الثلاثة بالذكر سببا وفايدة واقول
لا شك ان الحواس خمسة السمع والبصر والشم والذوق
واللمس ولا شك ان آلة اللمس هي الجلد فالله تعالى
ذكر ههنا ثلثة انواع من الحواس وهي السمع والبصر
واللمس واهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم لان
الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لان ادراك
الذوق انما يتأتى بان تصير جلدة اللسان والحنك مماسة
لجرم الطعام فكان هذا داخلا في حس الشم وهو حس
ضعيف في الانسان وليس لله فيه تكليف ولا امر ولا
نهي اذا عرفت هذا فنقول نقل عن ابن عباس
انه قال المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج قال
وهذا من باب الكنايات كما قال لا تواعدوهن سرا واراد النكاح
وقال او جاء احد منكم من الغايط والمراد قضاء الحاجة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما يتكلم
من الآدمي فخذه وكفه وعلى هذا التقدير فتكون
هذه الآية وعيدا شديدا في الاتيان بالزنا لان مقدمة
الزنا انما تحصل بالفخذ ثم حكى الله تعالى عنهم انهم يقولون
لتلك الاعضاء لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق
كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون ومعناه

ان القادر على خلقكم وانطاقكم في المرة الاولى حال ما انتم في
الدنيا ثم على خلقكم وانطاقكم في المرة الثانية وهي حالة
القيامة والبعث كيف يستبعد منه انطاق الجوارح والاعضا
ثم قال تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم
ولا ابصاركم ولا جلودكم فالمعنى اثبات انهم كانوا يستترون
عند الاقدام على الاعمال القبيحة لان استتارهم ما كان
لاجل خوفهم من ان يشهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
وذلك لانهم كانوا منكرين للبعث والقيمة وذلك الاستتار
لاجل انهم كانوا يظنون ان الله لا يعلم الاعمال التي
يقدمون عليها على سبيل الخفية والاستتار عن
ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فدخل
ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي فقال احدهم اترون الله
يسمع ما نقول فقال الرجلان اذا جهرنا سمع واذا
اسررنا لم يسمع فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل وما كنتم تستترون ثم قال تعالى وذلكم ظنكم
الذي ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين وهذا
نص صريح في ان من ظن بالله انه يخرج شيء من المعلومات عن
علمه فانه يكون من الهالكين الخاسرين قال اهل
التحقيق الظن قسمان ظن حسن بالله عز وجل وظن فاسد
اما الظن الحسن فهو ان يظن به الرحمة والفضل قال
صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل انا عند ظن
عبدي بي وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم

الا

الا وهو حسن الظن بالله والظن القبيح الفاسد وهو ان يظن به تعالى
ان يعزب عن علمه بعض هذه الاحوال وقال
قتادة الظن نوعان منجي ومردي فالمنجي قوله اني ظننت اني ملاق
حسابيه وقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم واما الظن
المردي فهو قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم قال صاحب
الكشاف وذلكم رفع بالابتداء وظنكم وارديكم خبران ويجوز
ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم وارديكم الخبر ثم قال فان
يصبروا فالنار مثوى لهم يعني ان امسكوا عن الاستغاثة
لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك وتكون النار مثوى لهم
اي مقاما لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قال
صاحب الصحاح استعتبته فاعتبني يعني استرضيته
فارضاني فقوله فما هم من المعتبين اي لم يعطوا العتبى ولم
يجابوا اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام
صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من
المعتبين اي ان سئلوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون
اي لا سبيل لهم الى ذلك قوله تعالى وقيضنا لهم
قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول
في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم
تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوا
الذي كانوا يعملون ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها
دار الخلد جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا

أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا
من الأسفلين ۝ اعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد
الشديد في الدنيا والآخرة على أهل الكفر أردفه
بذكر السبب الذي لأجله وقعوا في ذلك الكفر فقال
وقيضنا لهم قرناء وفيه مسائل **المسألة الأولى** قال
صاحب الصحاح تقول قايضت الرجل مقايضة أي عاوضته
بمتاع وهما قيضان كما تقول بيعان وقيض الله فلانا لفلان
أي جاءه به ومنه قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء **المسألة الثانية**
احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه يريد الكفر من
الكافر فقالوا إنه تعالى ذكر أنه قيض لهم أولئك
القرناء وكان عالما بأنه متى قيض لهم أولئك القرناء فإنهم
يزينون الباطل لهم وكل من فعل فعلا وعلم أن ذلك الفعل
يفضي إلى أثر لا محالة فإن فاعل ذلك الفعل لا بد وأن
يكون مريدا لذلك الأثر فثبت أنه تعالى لما قيض لهم
قرناء فقد أراد منهم ذلك الكفر أجاب الجبائي
عنه بأن قال لو أراد المعاصي لكانوا بفعلها مطيعين
إذ الفاعل لما أراده منه غيره يجب أن يكون مطيعا
له ولأن قوله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
يدل على أنه تعالى لم يفعل وقيضنا لهم لما مر بيانه وإنما
قال فزينوا لهم فهو تعالى قيض لهم القرناء بمعنى أنه تعالى
أحوج كل واحد إلى الآخر من جنسه فيحتاج أحد الزوجين للآخر
الغني للفقير والفقير للغني ثم زين أن بعضهم يزين المعاصي للبعض

واعلم أن وجه استدلال أصحابنا ما ذكرناه وهو أنه من فعل
فعلا وعلم قطعا أن ذلك الفعل يفضي إلى أثر فإن فاعل ذلك الفعل يكون
مريدا لذلك الأثر وههنا الله تعالى قيض القرناء لهم وعلم أنه متى قيض أولئك
القرناء لهم فإنهم يقعون في الكفر والضلال وما ذكره الجبائي
لا يدفع ذلك وقوله ولو أراد الله منهم المعاصي لكانوا بفعلها مطيعين
لله قلنا لو كان من فعل ما أراده غيره مطيعا له لوجب أن يكون الله
مطيعا لعباده إذا فعل ما أرادوه فثبت أن الإلزام للشيء على نفسه وأن
أراده غيره فلا بد من بيانه حتى ننظر فيه أنه هل يصح أم لا **المسألة الثالثة**
اختلفوا في المراد بقوله فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وذكر
الزجاج فيه وجهين الأول زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة
أنه لا بعث ولا جنة ولا نار وما خلفهم من أمر الدنيا فزينوا أن
الدنيا قديمة وأنه لا صانع إلا الطبائع والأفلاك ۝ الثاني
زينوا لهم أعمالهم التي يعملونها ويشاهدونها وما خلفهم وما
يعزمون أن يعملوه وعن غير أبي زيد عنه تعالى زينوا لهم
ما مضى من أعمالهم الخبيثة ثم قال تعالى وحق عليهم القول في
أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين
واحتج أصحابنا أيضا بأنه تعالى أخبر أن هؤلاء حق
عليهم القول فلو لم يكونوا كفارا لانقلب هذا الخبر الحق باطلا
وهذا العلم جهلا وهذا الخبر الصدق كذبا وكل ذلك محال
ومستلزم المحال محال فثبت أن صدور الإيمان عنهم وعدم
صدور الكفر عنهم محال ۝ واعلم أن الكلام في أول
السورة ابتدأ من قوله تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة مما
تدعونا إليه إلى قوله فاعمل إننا عاملون فأجاب الله تعالى

عن تلك الشبهة بوجوه من الاجوبة وانفصل الكلام بعضه بالبعض
الى هذا الموضع ثم انه تعالى حكى عنهم شبهة اخرى فقال وقال
الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون
قال صاحب الكشاف قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها
يقال لغا يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي
لا طائل تحته واعلم ان القوم لما علموا ان القرآن كامل
في المعنى وفي اللفظ فان كل من سمعه ووقف على جزالة الفاظه
واحاط عقله بمعانيه قضى عقله بانه كلام حق واجب القبول
فدبروا تدبيرا في منع الناس عن استماعه فقال بعضهم لبعض
لا تسمعوا لهذا القرآن اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته
برفع الاصوات بالخرافات والاشعار الفاسدة والكلمات
الباطلة حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوا
على قراءته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا والمراد افعلوا
عند تلاوة القرآن ما يكون لغوا وباطلا لتخرجوا قراءة
القرآن عن ان يصير مفهوما للناس فبهذا الطريق تغلبون
محمدا وهذا جهل منهم لانهم في الحال اقروا بانهم مشتغلين
باللغو والباطل من العمل والله تعالى ينصر محمدا بفضله
ولما ذكر الله تعالى ذلك هددهم بالعذاب الشديد فقال
فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا وفيه تهديد شديد لان
لفظ الذوق انما يذكر في القدر القليل الذي يؤتى به لاجل التجربة ثم
انه تعالى ذكر ان ذلك الذوق عذاب شديد فاذا كان القليل
منه عذابا شديدا فكيف يكون حال الكثير منه ثم قال ولنجزينهم
اسوأ الذي كانوا يعملون واختلفوا فيه فقال الاكثرون

المراد

اسوأ اعمالهم وقال الحسن بل المراد منه انه لا يجازيهم على
محاسن اعمالهم لانهم احبطوها بالكفر فضاعت تلك الاعمال الحسنة
عنهم ولم يبق معهم الا الاعمال القبيحة الباطلة فلا جرم لم يحصلوا
الا على جزاء السيئات ثم قال تعالى ذلك جزاء اعداء الله النار
لهم فيها دار الخلد والمعنى انه تعالى لما قال في الآية المتقدمة
ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون بين ان ذلك الاسوأ الذي
جعل جزاء اعداء الله هو النار ثم قال لهم فيها دار الخلد
اي لهم في جملة النار دار معينة وهي دار العذاب المخلد لهم جزاء
بما كانوا باياتنا يجحدون اي جزاء بما كانوا يلغون في القراءة فانما
سماه جحودا لانهم لما علموا ان القرآن بالغ الى حد الاعجاز
خافوا من انه لو سمعه الناس لآمنوا به فاستخرجوا تلك الطريقة
الفاسدة وذلك يدل على انهم علموا كونه معجزا الا انهم جحدوا
للحسد واعلم انه تعالى لما بين ان الذي حملهم على الكفر
الموجب للعقاب الشديد مجالسة قرناء السوء بين ان الكفار
عند الوقوع في العذاب الشديد يقولون ربنا ارنا اللذين
اضلانا من الجن والانس والسبب فيه قد ذكرنا ان الشيطان
على ضربين جني وانسي قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الانس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس
من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل لان الكفر
سنه ابليس والقتل بغير حق سنه قابيل وقرئ ارنا بالسكون
الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه اعطنا
اللذين اضلانا وحكوا عن الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك بالكسر
فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه اعطني

ثم قال تعالى نجعلهما تحت أقدامنا قال مقاتل
فيكونون أسفل منا في النار ليكونا من الأسفلين وقال
الزجاج ليكونا في الدرك الأسفل من النار ۝ وكان بعض
التلامذة ممن يميل إلى الحكمة يقول المراد باللذين
يضلان الشهوة والغضب وهما الشيطانان في قصة
الملائكة بقوله أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء قال والمراد بقوله نجعلهما تحت أقدامنا
يعني يا ربنا أعنا حتى نجعل الشهوة والغضب تحت أقدام
جواهر النفس القدسية والمراد بكونهما تحت أقدامها
كونهما مسخرين للنفس مطيعين لها وأن لا يكونا مستوليين
عليها قاهرين لها قوله تعالى إن الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا
تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون
نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها
ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون
نزلا من غفور رحيم ۝ اعلم أنه تعالى لما أطنب
في الوعيد أردفه بهذا الوعد الشريف وهذا ترتيب
لطيف مدار كل القرآن عليه وقد ذكرنا مرارا أن
الكمالات على ثلاثة أقسام النفسانية والبدنية والخارجية
وأشرف المراتب النفسانية وأوسطها البدنية وأدونها
الخارجية وذكرنا أن الكمالات النفسانية محصورة
في نوعين العلم اليقيني والعمل الصالح وأما أهل التحقيق
فقالوا كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به

ورأس

ورأس المعارف اليقينية ورئيسها معرفة الله تعالى وإليه
الإشارة بقوله إن الذين قالوا ربنا الله ورأس الأعمال
الصالحة ورئيسها أن يكون الإنسان مستقيما في
الوسط غير مائل إلى طرفي الإفراط والتفريط كما قال وكذلك
جعلناكم أمة وسطا وقال أيضا اهدنا الصراط المستقيم
وإليه الإشارة في هذه الآية بقوله ثم استقاموا وسمعت
أن قارئا قرأ في مجلس العبادي المذكر هذه الآية
فقال العبادي والقيامة في القيمة بقدر الاستقامة
إذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا ليس المراد منه القول باللسان فقط لأن
ذلك لا يفيد الاستقامة فلما ذكر عقيب ذلك القول الاستقامة
علمنا أن ذلك القول كان مقرونا باليقين التام والمعرفة
الحقيقية إذا عرفت هذا فنقول في الاستقامة
قولان أحدهما أن المراد منه الاستقامة في الدين
والتوحيد والمعرفة والثاني المراد منه الاستقامة
في الأعمال الصالحة أما على القول الأول ففيه عبارات
قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم استقاموا أي لم يلتفتوا
إلى إله غيره قال ابن عباس في بعض الروايات هذه الآية نزلت
في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك لأن أبا بكر رضي الله عنه
وقع في أنواع شديدة من البلاء والمحنة ولم يتغير البتة عن دينه
وكان هو الذي قال ربنا الله وبقي مستقيما عليه لم يتغير
بسبب من الأسباب وأقول يمكن فيه وجوه أخرى
وذلك لأن من أقر بأن لهذا العالم إلها فقد لزمه مقامات

أحدها وهو انه لا يتوغل في جانب النفي الى حيث ينتهي
الى التعطيل ولا يتوغل في جانب الاثبات الى حيث ينتهي الى
التشبيه بل يبقى على الخط المستقيم الفاصل بين التشبيه
والتعطيل وايضا يجب ان يبقى على الخط المستقيم الفاصل
بين الجبر والقدر وكذلك في الرجا والقنوط يجب ان
يكون على الخط المستقيم فهذا هو المراد من قوله ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا واما على القول الثاني وهو
ان يحمل الاستقامة على الاتيان بالاعمال الصالحة فهذا
قول جماعة من الصحابة والتابعين قالوا وهذا اولى حتى
يكون قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا مبنيا على
القول والاعتقاد ويكون قوله ثم استقاموا مبنيا على
الاعمال الصالحة ثم قال تتنزل عليهم الملائكة قيل عند الموت
وفي القبر وعند البعث الى الجنة ان لا تخافوا وقيل
في مواقف ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث الى الجنة
ان لا تخافوا بمعنى اي او مخففة من الثقيلة واصله
بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان واعلم ان الغاية
القصوى في رعاية المصالح دفع المضار وجلب المنافع ومعلوم
ان دفع الضرر اولى بالرعاية من جلب المصالح والضرر
اما ان يكون حاصلا في المستقبل او في الحال او
في الماضي وها هنا دقيقة عقلية وهي ان المستقبل
متقدم على الحاضر والحاضر متقدم على الماضي فان
الشي الذي لم يوجد ويتوقع حدوثه يكون مستقبلا فاذا وجد
يصير حاضرا فاذا عدم وفني بعد ذلك يصير ماضيا وايضا

المستقبل في كل ساعة يصير اقرب حصولا والماضي في كل حالة
ابعد حصولا ولهذا قال الشاعر
ولا زال ما تهواه اقرب من غد ولا زال ما تخشاه ابعد من امس
واذا ثبت هذا فالمضار التي يتوقع حصولها في المستقبل اولى
بالدفع من المضار الماضية وايضا الخوف عبارة عن الم
القلب بسبب توقع حصول مضرة في المستقبل والغم
عبارة عن تألم القلب بسبب فوت نفع كان موجودا في الماضي
واذا كان كذلك فرفع الخوف اولى من دفع الحزن الحاصل
بسبب الغم والحزن واذا عرفت هذا فنقول انه تعالى
اخبر عن الملائكة انهم في اول الامر يخبرون بانه لا خوف
عليكم بسبب ما تستقبلونه من احوال القيامة ثم يخبرون
انه لا خوف عليكم بسبب ما فاتكم من احوال الدنيا وعند
حصول هذين الامرين فقد زالت المضار والمتاعب بالكلية
ثم بعد الفراغ منه يبشرون بحصول المنافع وهو قوله وابشروا
بالجنة التي كنتم توعدون فان قيل البشارة عبارة عن الخبر
الاول بحصول المنافع فاذا اخبر الرجل بحصول المنفعة
ثم اخبر ثانيا بحصولها فان الاخبار الثاني لا يكون اخبارا ولا يكون
بشارة والمومن قد يسمع بشارات الخير فاذا سمع المومن هذا
الخبر من الملائكة وجب ان يكون هذا اخبارا ولا يكون
بشارة فما السبب في تسمية هذا الخبر بالبشارة بل
المومن قد يسمع بشارات الخيرات من كان مومنا تقيا كان له
الجنة اما لم يسمع البتة انه من اهل الجنة فاذا سمع هذا الكلام

من الملائكة كان احساسا بنفع عظيم مع انه هو الحي الاول فكان ذلك
بشارة واعلم ان هذا الكلام يدل على ان المؤمن عند الموت وفي
القبر وعند البعث يكون فارغا من الاهوال والفزع الشديد
بل يكون آمن القلب ساكن الصدر لان قوله الا تخافوا ولا تحزنوا يفيد
نفي الخوف والحزن على الاطلاق ثم انه تعالى اخبر عن الملائكة
انهم قالوا للمؤمنين نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وهذا
في مقابلة ما ذكره في وعيد الكفار حيث قال وقيضنا لهم قرناء ومعنى
كونهم اولياء للمؤمنين ان للملائكة تاثيرات في الارواح البشرية
بالالهامات والمكاشفات اليقينية والمقامات الحقيقية كما ان
للشياطين تاثيرات في الارواح بالقاء الوساوس فيها وتخييل الاباطيل
اليها وبالجملة فكون الملائكة اولياء للارواح الطيبة الطاهرة
حاصل من جهات كثيرة معلومة لارباب المكاشفات والمشاهدات
فهم يقولون كما ان تلك الولاية كانت حاصلة في الدنيا فهي تكون
باقية في الاخرة فان تلك العلائق ذاتية لازمة غير قابلة للزوال
بل كانها تصير بعد الموت اقوى وابقى وذلك لان جوهر النفس
من جنس الملائكة وهي كالشعلة بالنسبة الى الشمس والقطرة
بالنسبة الى البحر والتعلقات الجسدانية هي التي تحول بينها وبين الملائكة
كما قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم
لنظروا الى ملكوت السموات فاذا زالت العلائق الجسمانية والتدبيرات
البدنية فقد زال الغطاء والوطاء فيتصل الاثر بالمؤثر والقطرة بالبحر
والشعلة بالشمس فهذا هو المراد من قوله نحن اولياؤكم في الحيوة
الدنيا وفي الاخرة ثم قال ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون

قال

فيها ما تدعون اي ما تتمنون لقوله لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون
فان قيل فعلى هذا التفسير لا يبقى فرق بين قوله ولكم فيها ما تشتهي
انفسكم وبين قوله ولكم فيها ما تدعون قلنا الاقرب عندي
ان قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم اشارة الى الجنة الروحانية
المذكورة في قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم
ان الحمد لله رب العالمين ثم قال نزلا من غفور رحيم والنزل رزق
النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال وقال العارفون
دلت هذه الايات على ان كل هذه الاشياء المذكورة جارية مجرى
النزل الكريم اذا اعطي النزل فلا بد وان يبعث الخلع النفيسة
بعدها وتلك الخلع النفيسة ليست الا السعادات الحا صله
عند الرؤية والتجلي والكشف التام نسال الله تعالى ان يجعلنا اهلا
لها بفضله **قوله تعالى** ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل
صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة
ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي
حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع
العليم في الاية مسائل **المسالة الاولى** اعلم انا ذكرنا ان الكلام
من اول السورة الى هنا ابتدا حيث قالوا قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومرادهم لا نقبل قولك ولا نلتفت
الى دليلك ثم ذكروا طريقة اخرى في السفاهة فقالوا لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه وانه سبحانه ذكر الاجوبة الشافية الكافية
الكاملة في قطع تلك الشبهات وازالة الضلالات ثم انه سبحانه بين ان القوم

وان انوا بهذه الكلمات لفايدة الا انه يجب عليك ان تعلم ان المواظبة
على التبليغ والدعوة فان الدعوة الى الدين الحق افضل الطاعات وراس
العبادات وعبّر عن هذا المعنى فقال ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين وهذا وجه شريف
حسن في نظم ايات هذه السورة وفيه وجه اخر وهو ان
مراتب السعادات اثنان التام وفوق التام اما التام فهو ان
يكتسب من الصفات الفاضلة ما لاجله يصير كاملا في ذاته فاذا
فرغ من هذه الدرجة اشتغل بتكميل الناقصين وهو فوق
التام اذا عرفت هذا فنقول ان الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا اشارة الى المرتبة الاولى وهي اكتساب الاحوال
التي تفيد كمال النفس في جوهرها فاذا حصل الفراغ عن هذه
المرتبة وجب الانتقال الى المرتبة الثانية وهي الاشتغال
بتكميل الناقصين وذلك انما يكون بدعوة الخلق الى الدين
الحق وهو المراد من قوله ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
فهذا ايضا نظم حسن في نظم هذه الايات واعلم
ان من اتاه الله قريحة قوية ونصيبا وافيا من العلوم الالهية
الكشفية عرف انه لا ترتيب احسن ولا اكمل من ترتيب
هذه الايات المسئلة الثانية من الناس من قال المراد ممن
احسن قولا ممن دعا الى الله هو الرسول صلى الله عليه وسلم
ومنهم من قال هم المؤذنون ولكن المقطوع به ان كل من
دعا الى الله بطريق من الطرق فهو داخل فيه والدعوة الى الله
مراتب فالمرتبة الاولى دعوة الانبيا عليهم السلام

دعوتهم

دعوتهم راجحة على دعوة غيرهم من وجوه احدها انهم
جمعوا بين الدعوة بالحجة اولا ثم الدعوة بالسيف ثانيا وقلما
تتفق لغيرهم الجمع بين هذين الطريقين وثانيها انهم هم
المبتدئون بهذه الدعوة واما العلماء فانهم يبنون دعوتهم
على دعوة الانبيا والشارع في احداث الامر الشريف على
طريق الابتداء افضل وثالثها ان نفوسهم اقوى قوة وارواحهم
اصفى جوهرا فكانت تاثيراتها في احيا القلوب الميتة واشراق
الارواح الكدرة اكمل فكانت دعوتهم افضل ورابعها
ان النفوس على ثلاثة اقسام ناقصة وكاملة لا تقوى على تكميل الناقصة
لا تقوى على تكميل الناقصين والكاملة تقوى على تكميل الناقصين
فالقسم الاول هو العوام والقسم الثاني هم الاولياء
والقسم الثالث هم الانبياء ولهذا السبب قال صلى الله
عليه وسلم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل واذا عرفت
هذا فنقول ان نفوس الانبيا حصلت لها مرتبتان
الكمال في الذات والتكميل في الغير فكانت قوتهم في الدعوة
اقوى فكانت درجاتهم افضل واكمل اذا عرفت هذا فنقول
الانبيا عليهم السلام لهم صفتان العلم والقدرة اما العلماء
فهم نواب الانبيا في العلوم والعلم يوجب الاستيلاء على
الارواح والقدرة توجب الاستيلاء على الاجساد فالعلماء
خلفاء الانبيا في عالم الارواح والملوك خلفاء الانبيا في عالم
الاجساد واذا عرفت هذا ظهر ان اكمل الدرجات في الدعوة
الى الله درجة العلماء وهم على ثلاثة اقسام العلماء بالله والعلماء
بصفات الله والعلماء باحكام الله اما العلماء باحكام الله فهم الفقهاء
ولكل واحد من هذه المقامات الثلاثة درجات لا نهاية لها واما الملوك

فهم الصادعون الى دين الله بالسيف وذلك من وجهين اما المحصله
عند هذه المرتبة مثل قولنا المريد يقبل واما المؤذنون فهم
يدخلون في هذا الباب دخولا ضعيفا اما دخولهم فلان ذكر كلمات
الاذان دعوة الى الصلوات فكان ذلك داخلا تحت الدعا الى الله واما
كون هذه المرتبة ضعيفة فلان الظاهر من حال المؤذن انه
لا يحيط بمعاني تلك الكلمات ويبعد ان يكون مخاطبا بالآية
لا يريد بذكرها تلك المعاني الشريفة فهذا هو الكلام في مراتب الدعوة
الى الله تعالى ○ المسئلة الثالثة قوله ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله يدل على ان الدعوة الى الله احسن من كل ما سواه اذا عرفت
هذا فنقول كل ما كان احسن الاعمال وجب ان يكون واجبا لان
كل ما لا يكون واجبا فالواجب احسن منه فثبت ان كل
ما كان احسن الاعمال فهو واجب اذا عرفت هذا فنقول
الدعوة الى الله واجبة وثبت ان الاذان واجب واعلم ان
الاكثرين من الفقهاء زعموا ان الاذان غير واجب وزعموا
ان الاذان غير داخل في هذه الآية والدليل القاطع عليه
ان الدعوة المرادة بهذه الآية يجب ان يكون احسن الاقوال
والاذان ليس احسن الاقوال لان الدعوة الى دين الله سبحانه
بالدلائل اليقينية احسن من الاذان فثبت ان الداخل تحت هذه
الآية ليس هو الاذان ○ المسئلة الرابعة اختلف
الناس في ان الاولى ان يقول الرجل انا مسلم او الاولى
ان يقول انا مسلم ان شاء الله فالقائلون
بالقول الاول احتجوا على صحة قولهم بهذه الآية
فان التقدير ومن احسن قولا ممن قال انني من

اختلف

اختلاف الناس في ان الاولى ان يقول الرجل انا مسلم او الاولى ان
يقول انا مسلم ان شاء الله فالقائلون بالقول الاول احتجوا على صحة قولهم
بهذه الآية فان التقدير ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وقال انني
من المسلمين فحكم بان هذا القول احسن الاقوال ولو كان قوله ان شاء الله
معتبرا في كونه احسن الاقوال لبطل ما دل عليه ظاهر هذه
الآية ○ المسئلة الخامسة الآية تدل على ان احسن الاقوال
قول من جمع بين خصال ثلاثة اولها الدعوة الى الله تعالى
وثانيها العمل الصالح وثالثها ان يكون من المسلمين
اما الدعوة الى الله فقد شرحناها وهي عبارة عن
الدعوة الى الله تعالى باقامة الدلائل اليقينية والبراهين
القطعية واما قوله وعمل صالحا فاعلم ان العمل الصالح
اما ان يكون عمل القلب وهو المعرفة او عمل الجوارح وهو سائر
الطاعات واما قوله وقال انني من المسلمين فهو ان
ينضم الى عمل القلب وعمل الجوارح الاقرار باللسان والثاني
الاعمال الصالحة بالجوارح والثالث الاعتقاد الحق
بالقلب والرابع الاشتغال باقامة الحجة على دين الله
ولا شك ان الموصوف بهذه الخصال الاربعة اشرف الناس
وافضلهم وكمال الدرجة في هذه المراتب الاربعة ليس الا
لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة واعلم انا بينا ان الكلام في اول السورة
ابتدا من ان الله تعالى حكى عنهم انهم قالوا قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه فاطنب وامر نفسهم الاصرار الشديد على اديانهم
القديمة وعدم التأثر بالوعد والوعيد ثم حكى

[illegible]

عنهم شبهة أخرى وهي قوله وقالوا بعد الاطناب في الجواب عن
تلك الشبهات رغب محمدا صلى الله عليه وسلم في أن لا يترك الدعوة
الى الله فابتدا اولا بان ذكر ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
فلهم الثواب العظيم ثم ترقى من تلك الدرجة الى درجة اخرى وهي ان
الدعوة الى الله اعظم الدرجات فصار الكلام من اول السورة
الى هذا الموضع واقعا على احسن وجوه الترتيب ثم كان
سائلا قال ان الدعوة الى الله وان كانت طاعة عظيمة
الا ان الصبر على سفاهة هؤلاء الكفار شديد لا طاقة
لنا به فعند هذا ذكر الله ما يصلح لان يكون دافعا لهذا الاشكال
فقال ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والمراد بالحسنة
دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم الى الدين الحق والصبر على
جهالة الكفار وترك الانتقام وترك الالتفات اليهم والمراد بالسيئة
ما اظهروه من جلافة في قولهم قلوبنا في اكنة وما ذكروه في قولهم
لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه فكانه قال يا محمد فعلك
حسنة وفعلهم سيئة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة
اي اذا اتيت بهذه الحسنة تكون مستوجبا للتعظيم في
الدنيا والثواب في الاخرة وهم بالضد من ذلك فلا ينبغي ان يكون
اقدامهم على تلك السيئة مانعا لك من الاشتغال بهذه الحسنة
ثم قال ادفع بالتي هي احسن يعني ادفع سفاهتهم وجهالتهم
بالطريق الذي هو احسن الطرق فانك اذا صبرت على سوء اخلاقهم
مرة بعد اخرى ولم تقابل سفاهتهم بالغضب ولا اضرارهم
بالايذاء والايحاش استحيوا من تلك الاخلاق المذمومة وتركوا افعالهم
القبيحة بافعالك الحسنة وانقلبوا من العداوة الى المحبة ومن البغضة الى المودة

ولما

ولما ارشد تعالى الى هذا الطريق النافع في الدين والدنيا عظمه وقال
وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم قال
الزجاج وما يلقى هذه الفعلة الا الذين صبروا على تحمل المكاره
وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام ثم قال وما
يلقاها الا ذو حظ عظيم من الفضائل النفسانية والدرجة العالية في
القوة الروحانية فان الاشتغال بالانتقام والدفع
لا يحصل الا بعد تاثر النفس من الواردات الخارجية
ولا يحصل الا عند ضعف النفس فاما اذا كانت النفس قوية
الجوهر لم تتاثر من الواردات الخارجية واذا لم تتاثر منها
لم تضعف ولم تتاذ ولم تشتغل بالانتقام فثبت ان
هذا السير الذي ذكرناه لا يلقيها الا ذو حظ عظيم
من قوة النفس وصفاء الجوهر وطهارة الذات ويحتمل
ان يكون المراد لا يلقاها الا ذو حظ عظيم من ثواب
الاخرة وقيل هذا الوجه قوله وما يلقاها الا
الذين صبروا مدح له بفعل الصبر وقوله وما يلقاها
الا ذو حظ عظيم وعد باعظم الخطر من الثواب ولما
ذكر هذه الطريق الحسن الكامل في دفع الغضب
والانتقام وفي ترك الخصومة ذكر عقيبه طريقا اخر عظيم
النفع ايضا في هذا الباب فقال واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وفي الاية
مع ما فيها من الفوائد الجليلة تفسير في اخر سورة الاعراف
على الاستقصاء قال صاحب الكشاف النزغ
والنسغ بمعنى واحد وهو شبه النخس والشيطان

نزغ الانسان كانه نخسه بعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ
نازغا كما قيل جد جده او اريد واما نزغ عمل نازغ وصف
للشيطان بالمصدر وبالجملة فالمقصود من الاية وان يصرفك الشيطان
عما شرع من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره وامض على
شانك ولا تطعه **قوله تعالى** ومن اياته الليل والنهار والشمس
والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم
اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار
وهم لا يسامون ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء
قدير اعلم ان الله تعالى لما بين في الاية المتقدمة ان احسن
الاعمال والاقوال هو الدعوة الى الله وهي عبارة عن الدلايل
الدالة على ذات الله وصفاته فههنا نبه على شريعة مستفادة
من هذه الايات وكان للعلم بهذه اللطايف احسن
علوم القران وقد عرفت ان الدلايل الدالة على هذه المطالب
العالية هي العالم بجميع ما فيه من اجزاء والابعاض فبدا ههنا
بذكر الفلكيات وهي الليل والنهار وانما قدم ذكر الليل
على ذكر النهار تنبيها على ان الظلمة عدم والنور وجود والعدم
سابق على الوجود فهذا كالتنبيه على وجود الصانع فقد شرحناها
في هذا الكتاب مرارا لا سيما في تفسير قوله الحمد لله رب العالمين
وفي تفسير قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض لما بين ان
الشمس والقمر محدثان وهما دليلان على وجود الاله القادر

سور

قال

قال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر يعني انهما عبدان دليلان على
وجود الاله والسجدة عبارة عن نهاية التعظيم فهي لا تليق
الا بمن كان اشرف الموجودات فقال لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر لانهما عبدان مخلوقان واسجدوا لله الخالق القادر
الحكيم والضمير في قوله خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر
لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث يقال
الاقلام بريتها وبريتهن او لما قال ومن اياته كن في معنى
الايات فقيل خلقهن وقوله ان كنتم اياه تعبدون
لان ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في
عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود
لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان لا يسجدوا
الا لله الذي خلق هذه الاشياء فان قيل اليس ان
ولا بد في الصلوة من قبلة معينة فلو جعلنا الشمس قبلة
عند السجود كان ذلك اولى قلنا الشمس جوهر مشرق
عظيم الرفعة عالي الدرجة فلو اذن الشرع في جعلها قبلة في
الصلوة لانعقد اعتياد السجود الى جانب الشمس ربما غلب
على الاوهام ان ذلك السجود للشمس لا لله فلاجل الخوف
من هذا المحذور نهى الشارع الحكيم من جعل الشمس قبلة
للسجود بخلاف الحجر المعين فانه ليس فيه ما يوهم الالهية
فلا جرم المقصود من القبلة حاصلا والمحذور المذكور زايل
فكان هذا اولى واعلم ان مذهب ابي حنيفة رحمه الله
ان موضع السجود هو قوله تعبدون لاجل ان قوله
واسجدوا لله متصل به وعند الشافعي رضي الله عنه هو عند قوله

قال

وهم لا يسأمون لان الكلام انما يتم عنده ثم انه تعالى لما امر بالسجود
بعده فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار
وهم لا يسأمون وفيه سؤالات قوله تعالى ان الذين
يسجدون للشمس والقمر يقولون نحن اقل واذل من ان نحصل لنا اهلية عبادة
الله تعالى ولكنا عبيد للشمس والقمر وهما عبدان لله واذا كان قول
قول هؤلاء هكذا فكيف يليق بهم انهم استكبروا عن السجود لله والجواب
ليس المراد من لفظ الاستكبار ما ذكرتم بل المراد فان استكبروا عن
قبول قولك يا محمد في النهي عن السجود للشمس والقمر والجواب كذا ان
المشبهة تمسكوا بقوله فالذين عند ربك في اثبات المكان والجهة لله تعالى
والجواب انه تعالى عند الملك من حيث الشرف ولا يراد به قرب المكان
كما ها هنا ويدل عليه قوله انا عند ظن عبدي بي وانا عند المنكسرة
قلوبهم من اجلي وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر وتعالى عند الساعي
ان المسلم لا يتصل بالذين السؤال الثالث هل يدل هذه الآية
على ان الملك افضل من البشر الجواب نعم لانه انما يستدل بحال الاعلى
على الادنى فيقال هؤلاء الاقوام ان استكبروا عن طاعة فلان
فان فلانا يخدمونه ويعظمونه بعدهم قيل ان هذا النوع من الاستدلال
انما يحسن بحال الاعلى على حال الادون السؤال الرابع قال
ها هنا في صفة الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهذا يدل على انهم
مواظبون على التسبيح لا يفترون عنه لحظة واحدة واشتغالهم بهذا
العمل على سبيل الدوام يمنعهم من الاشتغال بسائر الاعمال لكنهم ينزلون
الى الارض كما قال نزل به الروح الامين على قلبك وقال ونبئهم
عن ضيف ابراهيم وقال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد والجواب
ان الذين ذكرهم الله ها هنا بكونهم مواظبين على التسبيح اقوام معينون من

الملائكة

نعم السوال الثاني

الملائكة وهم الاشراف الاكابر منهم لانه تعالى وصفهم بكونهم عنده
والمراد من هذه العندية كمال الشرف والمنقبة وهذا لا ينافي كون طائفة
اخرى من الملائكة مشتغلين بسائر الاعمال فان قيل لو كان الامر كذلك
الا انهم لا بد وان يتنفسوا فاشتغالهم بذلك التنفس
يصدهم عن تلك الحالة من التسبيح كما ان التنفس سبب لصلاح
حال الحيوة ولا يجب على العاقل ان يقيس احوال الملائكة
في صفاء جوهرها واشراق ذواتها واستغراقها في
معارج معارف الله باحوال البشر فان بين الحالين
بعد المشرقين والله اعلم ثم قال تعالى ومن آياته انك
ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت اعلم
انه تعالى لما ذكر الآيات الاربعة الفلكية وهي الليل والنهار
والشمس والقمر اتبعها بذكر آية ارضية فقال ومن آياته
انك ترى الارض خاشعة الخشوع التذلل والتصاغر واستعير
هذا اللفظ لحال الارض حال خلوها عن المطر والنبات فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت اي تحركت بالنبات وربت انتفخت لان النبت
اذا قرب ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت
عن النبات ثم قال ان الذي احياها لمحيي الموتى يعني ان
القادر على احياء الارض بعد موتها هو القادر على احياء هذه
الاجساد بعد موتها وقد ذكرنا تقرير هذا الدليل مرارا
لا حصر لها ثم قال انه على كل شيء قدير وهذا هو الدليل
الاصلي وتقريره ان عود التأليف والتركيب الى تلك الاجزاء
المتفرقة ممكن لذاته وعود الحيوة والعقل والقدرة الى تلك
الاجزاء بعد اجتماعها ايضا امر ممكن لذاته والله تعالى قادر على

بالنسبة الى البشر عند الله سبحانه سبب اصلاح حال حياتهم

الممكنات فوجب ان يكون قادرا على اعادة التاليف والتركيب والحيوة
والقدرة والعقل والفهم لتلك الاجزا وهذا يدل دلالة
واضحة على ان حشر الاجساد ممكن لا امتناع فيه البتة قوله تعالى
ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير امن ياتي
امنا يوم القيمة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
اعلم ان الله تعالى لما بين ان الدعوة الى دين الله تعالى اعظم المناصب
واشرف المراتب ثم بين ان الدعوة الى دين الله تعالى انما تحصل بذكر دلائل التوحيد
والعدل وصحة البعث والقيمة عاد الى تهديد من ينازع في تلك الايات
ويحاول القا الشبهات فيها فقال ان الذين يلحدون في
اياتنا لا يخفون علينا يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة
فحفر في شق فالملحد هو المنحرف ثم بحكم العرف اختص بالمنحرف
عن الحق الى الباطل وقوله لا يخفون علينا تهديد
كما اذا قال الملك المهيب ان الذين ينازعون في ملكي اعرفهم فانه يكون
ذلك تهديدا ثم قال افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم
القيمة وهذا استفهام بمعنى التقرير والغرض التنبيه على
ان الذين يلحدون في اياتنا يلقون في النار والذين يؤمنون باياتنا
ياتون امنين يوم القيمة ثم قال اعملوا ما شئتم انه بما تعملون
بصير وهذا ايضا تهديد ثالث ونظيره ما يقوله الملك
المهيب عند الغضب الشديد اذا اخذ يعاتب عبده ثم يقول
لهم اعملوا ما شئتم فان هذا مما يدل على الوعيد الشديد ثم قال
ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وهذا ايضا تهديد وفي جوابه
وجهان احدهما انه محذوف وسائر الاجوبة المحذوفة في القران

ما شئتم خ

ع

وتقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم او ما اشبه هذا والثاني ان
جوابه قوله اولئك ينادون من مكان بعيد والاول اصوب ثم قال تعالى في
تهديد الذين يلحدون في اياتنا انه بعد بيان تعظيم القران والثاني الكتاب
لا يوجد نظيره اما كون القران عزيزا فيعني كونه غالبا قاهرا بالحجة لانه تفوق
حجته على كل ما سواه واما كونه عزيزا بمعنى عدم النظير فلانه من
كذلك لان الاولين والاخرين عجزوا عن معارضته ثم قال لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وفيه وجوه الاول لا تكذبه الكتب
المتقدمة عليه كالتورية والانجيل والزبور ولا يجي كتاب من بعده يبطله
والثاني ما حكم القران بكونه حقا لا يصير باطلا وما حكم بكونه باطلا
لا يصير حقا الثالث معناه انه محفوظ من ان ينقص منه فياتيه الباطل
من بين يديه او يزاد فيه فياتيه الباطل من خلفه والدليل عليه قوله وانا
له لحافظون فعلى هذا الباطل هو الزيادة والنقصان الرابع يحتمل
ان يكون المراد انه لا يوجد في المستقبل كتاب يمكن جعله معارضا له ولم يوجد
فيما تقدم كتاب يصلح جعله معارضا له الخامس قال صاحب الكشاف
هذا تمثيل والمقصود ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من
جهة من الجهات حتى يصل اليه واعلم ان لابي مسلم الاصفهاني ان يحتج
بهذه الاية على انه لم يوجد النسخ فيه لان النسخ ابطال فلو دخل النسخ فيه لكان
قد اتاه الباطل من خلفه وانه على خلاف هذه الاية ثم قال تنزيل من حكيم
حميد اي حكيم في جميع افعاله حميد الى جميع خلقه بسبب كثرة نعمه ولهذا
السبب قال الحمد لله رب العالمين فاتحة كلامه واخر كلام اهل
الجنة هو قوله الحمد لله رب العالمين قوله تعالى ما يقال
لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ولو
جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته ءاعجمي وعربي قل هو للذين امنوا

هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك
ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة
سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب من عمل
صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد
اعلم انه تعالى لما هدد الملحدين في آيات الله ثم بين شرف آيات الله
وعلو درجة كتاب الله رجع الى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يصبر على
اذى قومه وان لا يضيق قلبه بسبب ما حكاه عنهم في اول السورة
انهم قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الى قوله فاعمل اننا
عاملون فقال ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وفيه وجهان
الاول وهو الاقرب ان المراد ما يقول لك قومك الا مثل
ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة
انه ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم فيجب ان يفوض هذا الامر الى الله
وان يشتغل بما امرت به وهو التبليغ والدعوة الى الله تعالى والثاني ان يكون
المراد ما قال الله لك الا مثل ما قال لسائر الرسل وهو انه امرك وامر كل
الانبياء بالصبر على سفاهة الاقوام ومن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه
اهل معصيته وقد ظهر من كلامنا في تفسير هذه السورة ان المقصود من
هذه السورة ان ذكر الاجوبة عن قولهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون فتارة ينبه على
فساد هذه الطريقة وتارة يذكر الوعد والوعيد لمن لم يؤمن بهذا القرآن ولمن
يعرض عنه واتصل الكلام الى هذا من قولهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وفي آذاننا وقر فقال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي
وفيه مسائل المسئلة الاولى قرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم أأعجمي
بهمزتين على الاستفهام والباقون بهمزة واحدة ومد على اصله في امثاله

للمخفي

كقوله أأنذرتهم ونحوها على الاستفهام وروى عن ابن عامر بهمزة واحدة على
الخبر واما القراءة بهمزتين فظاهر الاول بمعنى الانكار والمراد لقالوا
أقرآن اعجمي ورسول عربي او مرسل اليه عربي واما القراءة بغير همزة
الاستفهام فالمراد الانكار بان القرآن اعجمي والمرسل او المرسل اليه عربي
المسئلة الثانية نقلوا في سبب نزول هذه الآية ان الكفار لاجل التعنت قالوا
هلا نزل القرآن بلغة العجم فنزلت هذه الآية وعندي ان امثال هذه الكلمات
فيها حيف عظيم على القرآن لانه يقتضي ورود آيات لا تعلق للبعض فيها بالبعض
وانه يوجب اعظم انواع الطعن فكيف يتم مع التزام مثل هذا الطعن ادعاء
كونه كتابا منتظما فضلا عن ادعاء كونه معجزا بل الحق عندي ان هذه السورة
من اولها الى آخرها كلام واحد على ما حكى الله عنهم من قولهم قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر وهذا الكلام ايضا متعلق به وجواب
له والتقدير انا لو انزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف ارسلت
الكلام العجمي الى القوم العرب ويصح لهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة من هذا الكلام
وفي آذاننا وقر منه لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه اما لما انزلنا هذا
الكتاب بلغة العرب وبالفاظهم وانتم من اهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء
ان قلوبكم في اكنة منها وفي آذانكم وقر منها فظهر انا اذا جعلنا هذا
الكلام جوابا عن ذلك الكلام بقيت السورة من اولها الى آخرها على
احسن وجوه النظم اما على الوجه الذي يذكره الناس فهو عجيب جدا
ثم قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون
في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد اعلم
ان هذا متعلق بقولهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الى آخر الآية
كانه تعالى يقول ان هذا الكلام ارسلته اليكم بلغتكم لا بلغة اجنبية
عنكم فلا يمكنكم ان تقولوا ان قلوبنا في اكنة منه بسبب جهلنا بهذه اللغة

فقال تعالى ان هو من ايات الله طبعا ما يدل الحق وقلبا واعيا
للصدق وهمة تدعوه الى بذل الجهد في طلب الدين فان هذا القران
يكون في حقه هدى وشفاء اما كونه هدى فانه اذا اهتدى به الاهتداء
فقد حصل الهدى وذلك شفاء له من مرض الكفر والجهل واما من
غرق في بحر الخذلان وحبسه في معادن الحرمان ومشغوفا
لمتابعة الشيطان وكان هذا القران عليهم عمى كما قال
ومن بيننا وبينك حجاب قال ولهذا ينادون من مكان بعيد بسبب
ذلك الحجاب الذي حال بين الانتفاع ببيان القران وكل من انصف
ولم يتعسف علم انا اذا فسرنا هذه الايات على الوجه الذي
ذكرناه صارت السورة من اولها الى اخرها كلاما واحدا منتظما
مسوقا نحو غرض واحد فيكون هذا التفسير اولى مما ذكره
من الجمهور وهو عليهم عمى على المصدر وقرا ابن عباس
عمٍ على النعت قال ابو عبيد والاولى هو الوجه
لقوله هدى وشفاء فكذلك عمى هو مصدر مثلهما ولو كان
المذكور انه هاد وشاف لكان الكسر في عمى اجود فيكون نعتا
لهما وقوله تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد قال ابن
عباس يريد مثل البهيمة التي لا تفهم الا دعاء ونداء وقيل
من دعي من مكان بعيد لم يسمع وان سمع لم يفهم فكذا حال هولاء
ثم قال تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه والمراد
اتصال هذه الاية بما قبلها كانه قيل انا لما اتينا موسى هذا
الكتاب فقبله بعضهم ورده اخرون فكذلك اتينا هذا الكتاب
فقبله بعضهم وهم اصحابك ورده اخرون وهم الذين
يقولون قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم قال تعالى ولولا كلمة

سبقت من ربك يعني في تاخير العذاب عنهم الى اجل مسمى وهو يوم
القيمة كما قال بل الساعة موعدهم لقضي بينهم لتميز المصدق والمكذب
بالعذاب الواقع بمن كذب وانهم لفي شك من صدقك وكتابك مريب
فلا ينبغي ان يعظم استيحاشك من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا
ثم قال من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها يعني خفف
على نفسك اعراضهم فان نفعوا امنوا فنفع ايمانهم يعود عليهم
وان كفروا فضرر كفرهم يعود اليهم والله سبحانه يوصل الى
كل احد ما يليق بعمله من الجزاء وما ربك بظلام للعبيد ه

قوله تعالى اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرة
من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم
اين شركاءي قالوا اذناك ما منا من شهيد وضل عنهم
ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسام
الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن
اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما
اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ
واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه واذا مسه
الشر فذو دعاء عريض قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم
به من اضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم اياتنا في
الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف
بربك انه على كل شيء شهيد الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا
انه بكل شيء محيط ه اعلم انه تعالى لما هدد الكفار
في الاية المتقدمة بقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها

فعليها ومعناه ان احدا لا يصل اليه في يوم القيمة فكان سائلا
قال ومتى يكون ذلك اليوم فقال تعالى انه لا سبيل للخلق الى
معرفة وقت ذلك اليوم ولا يعلمه الا الله فقوله اليه يرد علم الساعة
وهذه الكلمة تفيد الحصر اي لا يعلم وقت الساعة بعينه الا الله
وكما ان هذا العلم ليس الا عند الله فكذلك العلم بحدوث الحوادث
المستقبلة في اوقاتها المعينة ليس الا عند الله ثم ذكر من
امثلة هذا الباب مثالين احدهما قوله وما تخرج من
ثمرة من اكمامها والثاني قوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا
بعلمه قال ابو عبيدة اكمامها اوعيتها وهي ما كانت فيه
الثمرة واحدها كم وكمة قرأ نافع وابن عامر وحفص
عن عاصم من ثمرات بالالف على الجمع والباقون من ثمرة بغير الالف
على الواحد واعلم ان ظاهر هذه الاية وقوله ان الله عنده
علم الساعة وينزل الغيث الى اخر الاية فان قيل اليس
المنجمين قد يتعرفون من طالع السنة احوالا كثيرة من
احوال العالم وكذلك قد يتعرفون من طوالع الناس اشياء
من احوالهم وههنا شي اخر يسمى علم الرمل وهو كثير الاصابة
وايضا علم التعبير بالاتفاق قد يدل على احوال
المغيبات فكيف الجمع بين هذه العلوم المشاهدة
وبين هذه الاية قلنا ان اصحاب هذه العلوم لا يمكنهم
القطع والجزم في شيء من المطالب البتة وانما الغاية القصوى
ادعاء ظن ضعيف والمذكور في هذه الاية ان علمها ليس الا
عند الله والعلم هو الجزم واليقين وبهذا الطريق
زالت المنافاة والمعاملة والله اعلم ثم انه تعالى لما ذكر

القيمة اردفه بشيء من احوال يوم القيمة وهذا الذي ذكره ههنا
شديد التعلق بما ابتدأ به في اول السورة وهو يدل على ان نفرتهم
عن استماع القرآن انما حصلت لاجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم
كان يدعوهم الى التوحيد والى البراءة عن الاصنام والاوثان
بدليل انه قال في اول السورة قل انما انا بشر مثلكم
يوحى الي انما الهكم اله واحد فذكر في خاتمة السورة وعيد
القائلين بالشركاء والانداد فقال ويوم يناديهم
اين شركاي اي بحسب زعمكم واعتقادكم قالوا
آذناك قال ابن عباس اسمعناك كقوله واذنت
لربها يعني سمعت وقال الكلبي اعلمناك وهذا بعيد لان
اهل القيمة يعلمون الله ويعلمون انه يعلم الاشياء علما
واجبا والاعلام في حقه محال ثم قال ما منا من
شهيد وفيه وجوه الاول ليس احد منا يشهد
بان لك شريكا والمقصود انهم في ذلك اليوم يتبرؤن من اثبات
الشريك لله تعالى الثاني ما منا من احد يشاهدهم
لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم الهتهم لا يبصرونها في
ساعة التوبيخ الثالث ان قولهم ما منا من شهيد
كلام الاصنام كأن الله يحييها ثم انها تقول ما منا احد
يشهد بصحة ما اضافوا الينا من الشركة وعلى هذا التقدير
فمعنى ضلالهم عنهم انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم
ثم قال وظنوا ما لهم من محيص وهذا ابتداء كلام
من الله تعالى يقول ان الكفار ظنوا انهم لا محيص لهم
عن النار ثم ايقنوا بذلك بعد ذلك وهذا بعيد لان اهل النار

يعلمون ان عقابهم دائم ولما بين تعالى من حال هؤلاء الكفار انهم بعد ان
كانوا مصرين على القول باثبات الشركاء والاضداد لله في الدنيا تبرؤوا عن
تلك الشركاء في الآخرة بين ان الانسان في جميع الاوقات متبدل
الاحوال متغير المنهج فان احس بخير وقدرة انتفخ وتعاظم وان
احس ببلاء ومحنة ذل كما قيل في المثل اذ [illegible] ه [illegible] الى
راى خيرا بذل وان ذاقه شرا تولى فقال لا يسأم الانسان
من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤوس قنوط يعني انه في حال الاقبال
وتحصيل المرادات لا ينتهي قط الى درجة الا ويطلب الزيادة عليها
ويطمع بالفوز بها وفي حال الادبار والحرمان يصير
آيسا قانطا والانتقال من ذلك الرجاء الذي لا آخر له الى
هذا الياس الكلي يدل على كونه متبدل الصفة متغير الحال
وفي قوله يئوس قنوط مبالغة من وجهين احدهما من طريق
فعول والثاني من طريق التكرير والياس من
صفة القلب والقنوط ان يظهر آثار الياس في الوجه
والاحوال الظاهرة ثم بين تعالى ان الذي صار آيسا قانطا
لو عاودته النعمة والدولة وهو المراد من قوله ولئن اذقناه
رحمة منا من بعد ضراء مسته فان هذا الرجل يأتي بثلاثة انواع من
الاقاويل الفاسدة والمذاهب الباطلة الموجبة للكفر
والبعد عن الله فاولها انه لا بد وان يقول هذا لي وفيه
وجهان الاول معناه ان هذا حقي وصل الي لاني استوجبته
بما حصل عندي من انواع الفضائل واعمال البر والقربة من الله
ولا يعلم المسكين ان احدا لا يستحق على الله شيئا وذلك لانه ان
كان ذلك الشخص عاريا عن الفضائل فهذا الكلام ظاهر

الفساد وان كان موصوفا بشيء من الفضائل والصفات الحميدة
فهي باسرها انما حصلت له بفضل الله واحسانه وان تفضل الله بشيء
على بعض عبيده امتنع ان يصير تفضله عليه بتلك العطية سببا
لان يستحق على الله شيئا وذلك لانه ان كان ذلك الشخص
عاريا عن الفضائل فهذا الكلام احق فثبت بهذا فساد قوله
انه انما حصلت هذه الخيرات بسبب استحقاقي ه والوجه
الثاني ان هذا لي لا يزول عني ويبقى علي وعلى اولادي ه والنوع
الثاني من كلامهم الفاسد ان يقول وما اظن الساعة
قائمة يعني انه يكون شديد الرغبة في الدنيا عظيم النفرة عن الآخرة
فاذا آل الامر الى احوال الدنيا يقول انها لي واذا آل الامر
الى الآخرة يقول وما اظن الساعة قائمة والنوع الثالث
من كلامهم الفاسد ان يقولوا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى يعني ان الغالب على الظن ان القول بالبعث والقيامة
باطل وبتقدير ان يكون حقا فان لي عنده للحسنى وهذه
الكلمة تدل على جزمهم بوصولهم الى الثواب من وجوه الاول
ان كلمة ان تفيد التاكيد الثاني ان تقديم كلمة لي يدل
على هذا التاكيد الثالث قوله عنده يدل على ان تلك
الخيرات حاضرة مهياة عنده كما تقول لي عند فلان كذا من
الدنانير فان هذا يفيد كونها حاضرة عنده فلو قلت ان لي
عند فلان كذا من الدنانير لا يفيد ذلك ه والرابع
قوله للحسنى يفيد التاكيد الخامس للحسنى يفيد الكمال في الحسنى
ولما حكى الله عنهم هذه الاقوال الثلاثة الفاسدة

قال فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ
اي يظهر لهم ان الامر على ضد ما اعتقدوه وعلى عكس ما صوروه
قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
ولنذيقنهم من عذاب غليظ في مقابلة قوله ان لي عنده
للحسنى ۝ ولما حكى الله تعالى احوال الذين انعم
عليه بعد وقوعه في الآفات حكى افعاله ايضا فقال واذا
انعمنا على الانسان اعرض اي بجانبه اعرض عن التعظيم لامر الله
والشفقة على خلق الله ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر
وتعظم ثم اذا مسه الضر والفقر اقبل على دوام الدعاء
واخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء
ودوامه وهو من صفات الاجرام ويستعار له الطول
ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب واعلم انه تعالى
لما ذكر الوعيد العظيم على الشرك وبين ان المشركين يرجعون
عن القول بالشرك في يوم القيمة ويظهرون من انفسهم الذل والخضوع
بسبب استيلاء الخوف عليهم وبين ان الانسان
جبل على التبدل فان وجد لنفسه قوة بالغ في التكبر والتعظم
وان احس بالفتور والضعف بالغ في اظهار الذلة والمسكنة
ذكر عقيبه كلاما اخر يوجب على هؤلاء الكفار ان لا يبالغوا
في اظهار النفرة من قبول التوحيد وان لا يفرطوا في اظهار
العداوة مع الرسول فقال قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم
به من اضل ممن هو في شقاق بعيد ۝ وتقدير هذا الكلام
انكم سمعتم هذا القرآن اعرضتم عنه وما تأملتم فيه وبالغتم في النفرة

عنه حتى قلتم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر
ثم من المعلوم بالضرورة انه ليس العلم بكون القرآن باطلا
وليس العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة علما بديهيا
فقبل الدليل يحتمل ان يكون صحيحا وان يكون فاسدا فبتقدير
ان يكون صحيحا كان اصراركم على دفعه من اعظم موجبات
العقاب فهذا الطريق يوجب عليكم ان تتركوا هذه النفرة وان
ترجعوا الى النظر والاستدلال فان دل الدليل على صحته قبلتموه
وان دل على فساده تركتموه فاما قبل الدليل فالاصرار على
الدفع والاعراض بعيد عن العقل ۝ وقوله ممن هو في
شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم
ولما اورد هذه الوجوه الكثيرة في تقرير التوحيد والنبوة
واجاب عن شبهات المشركين وتمويهات الضالين قال
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق
قال الواحدي واحد الآفاق افق وهي الناحية من نواحي الارض
وكذلك آفاق السماء نواحيها واطرافها وفي تفسير قوله سنريهم
آياتنا في الآفاق وفي انفسهم قولان الاول ان المراد
بآيات الآفاق الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار
وآيات الاضواء والظلال والظلمات وآيات عالم العناصر الاربعة
وعجائب الله فيهن في القرآن وفي قوله وفي انفسهم المراد منها الدلائل
المأخوذة من كيفية تكون الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء
العجيبة والتركيبات الغريبة كما قال تعالى وفي انفسكم
افلا تبصرون يعني نريهم هذه الدلائل مرة اخرى الى ان تزول

الشبهات عن قلوبهم ويحصل فيها تمام الجزم والقطع
بوجود الاله القادر العليم الحكيم المنزه عن المثل والضد
فان قيل هذا الوجه ضعيف لان قوله تعالى سنريهم
يقتضي انه تعالى ما اطلعهم على تلك الآيات الى الآن وسيطلعهم
عليها بعد ذلك والآيات الموجودة في العالم الاعلى والاسفل
قد كان الله اطلعهم عليها قبل ذلك فثبت انه تعذر
حمل هذا اللفظ على هذا الوجه قلنا ان القوم وان
كانوا قد رأوا هذه الاشياء الا ان العجائب التي
اودعها الله تعالى في هذه الاشياء مما لا نهاية لها فهو تعالى
يطلعهم على تلك العجائب زمانا فزمانا ومثاله ما من احد
رأى بنية الانسان وشاهدها الا ان العجائب التي ابدعها الله
تعالى في تركيب هذا البدن كثيرة واكثر الناس
لا يعرفونها والذي وقف على شيء منها فكلما ازداد وقوفا
على تلك العجائب والغرائب فصح بهذا الطريق قوله
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم والقول
الثاني ان المراد بالآيات الآفاق فتح البلاد المحيطة
بمكة وبالآيات في انفسهم فتح مكة والقائلون بهذا القول
رجحوه على القول الاول لان قوله سنريهم يليق
بهذا الوجه ولا يليق بالاول الا انا اجبنا عنه بان قوله
سنريهم آياتنا لا يليق بالوجه الاول كما قررناه فان قيل
حمل الآية على هذا الوجه بعيد لان اقصى ما في الباب ان محمدا
صلى الله عليه وسلم استولى على البلاد المحيطة بمكة ثم استولى

حمل

على

على مكة الا ان الاستيلاء على بعض البلاد لا يدل على كون المستولي
محقا فانا نرى ان الكفار قد يحصل لهم استيلاء على بلاد المسلمين
وعلى ملوكهم وذلك لا يدل على كونهم محقين ولهذا
السبب قلنا ان حمل الآية على الوجه الاول اولى ثم نقول
ان اردنا تصحيح هذا الوجه قلنا انا لا نستدل بمجرد استيلاء
محمد صلى الله عليه وسلم على تلك البلاد على كونه محقا في ادعاء النبوة
بل نستدل به من حيث انه صلى الله عليه وسلم اخبر عن انه سيستولي
عليها ويقهر اهلها وينصر اصحابه فامر بلا اعدا فهذا اخبار
عن الغيب وقد وقع مخبره مطابقا لخبره فيكون هذا اخبارا
صدقا عن الغيب والاخبار عن الغيب معجز فبهذا الطريق
يستدل بحصول هذا الاستيلاء على كون هذا الدين حقا ثم قال تعالى
اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد قوله بربك في موضع
الرفع على انه فاعل كفى وانه على كل شيء شهيد بدل منه
والمعنى اولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد ومعنى كونه تعالى شهيدا
على الاشياء انه خلق الدلائل الدالة عليها وقد استقصينا
ذلك في تفسير قوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد
والمعنى الم يكفهم هذه الدلائل الكثيرة التي اوضحها الله وقررها
في هذه السورة وفي كل سور القرآن الدالة على التوحيد
والتنزيه والعدل والنبوة والمعاد ثم ختم السورة بقوله
الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط اي
عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها فيعلم بواطن العباد
وظواهرهم ويجازي كل احد على فعله بحسب ما يليق به ان خيرا

[illegible] ٥٠٤

فخير وان شئت فسّر والاحاطه مشعرة بالنهايه فهذا
يقتضي ان يكون معلومه متناهيا قلنا ان قوله بكل شيء محيط
يقتضي ان يكون علمه محيطا بكل شيء واحد من الاشيا فهذا
يقتضي ان يكون كل واحد منها متناهيا لا ان يكون مجموعها متناهيا
والله اعلم بالصواب ٥

سورة حم عسق خمسون وثلاث آيات ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك
الله العزيز الحكيم له ما في السموات وما في الارض وهو
العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا
ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من
دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل
اعلم ان الكلام في امثال هذه الفواتح
معلوم الا ان في هذا الموضع سؤالا زايدا وهو ان
يقال ان هذه السور السبعة مصدرة بقوله حم فما
السبب في اختصاص هذه السورة بمزيد عسق الثاني
انهم اجمعوا على انه لا يفصل بين كهيعص وههنا يفصل

بين حم وبين عسق فما السبب فيه واعلم ان الكلام في
مثل هذه المواضع يضيق وفتح باب المجازفات مما لا سبيل اليه
فالاولى ان يفوض علمها الى الله وقرا ابن عباس وابن مسعود
حم سق اما قوله كذلك يوحي اليك فالكاف معناه
المثل وذا للاشارة الى شيء سبق ذكره فيكون المعنى مثل حم عسق
يوحي اليك والى الذين من قبلك وعند هذا حصل قولان
الاول نقل عن ابن عباس انه قال لا نبي صاحب
كتاب الا وقد اوحي اليه حم عسق وهو اعتقادي بعيد
والثاني ان يكون المعنى مثل الكتاب المسمى بحم عسق
يوحي الله اليك والى الذين من قبلك وهذه المماثلة
المراد منها المماثلة في الدعوة الى التوحيد والعدل والنبوة
والمعاد وتقبيح احوال الدنيا والترغيب في التوجه الى الاخرة
والذي يؤكد هذا ما بينا في تفسير سورة سبح اسم ربك
الاعلى ان اولها في تقرير التوحيد واوسطها في تقرير
النبوة واخرها في تقرير المعاد ولما تم الكلام في تقرير
هذه المطالب الثلاثة قال ان هذا لفي الصحف الاولى
صحف ابرهيم وموسى يعني ان المقصود من انزال جميع الكتب
الالهية ليس الا هذه المطالب الثلثة فكذلك ههنا يعني
مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحي الله اليك والى الذين من قبلك
من الانبياء والمراد بهذه المماثلة الدعوة الى هذه
المطالب العالية والمباحث المقدسة الالهية قال
صاحب الكشاف ولم يقل اوحي اليك ولكن قال يوحي
اليك على لفظ المضارع ليدل على ان ايحا مثله عادته

ابن كثير يوحى اليك بفتح الحاء على ما لم يسم فاعله وهي احدى
الروايات عن ابي عمرو وعن بعضهم نوحي بالنون وقرا الباقون
يوحي اليك والى الذين من قبلك بكسر الحاء فان قيل
فعلى القراءة الاولى ما رافع اسم الله تعالى قلنا ما دل
عليه يوحى كانه قيل من الوحي فقيل الله من يقرأ
قراءة المسلمين وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم فان قيل
ما رافعه فيمن قرا نوحي بالنون قلنا العزيز ترتفع بالابتدا
والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان
والظرف خبر ولما ذكر ان هذا الكتاب حصل بالوحي بين
ان الموحي من هو فقال انه هو الله العزيز الحكيم وقد بينا
في اول سورة حم المؤمن ان كونه عزيزا يدل على كونه قادرا
وعلى ما لا نهاية له وكونه حكيما يدل على كونه عالما
بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات فيحصل لنا من
كونه عزيزا حكيما كونه قادرا على جميع المقدورات
عالما بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات ومن كان
كذلك كانت افعاله واقواله حكمة وصوابا وكانت
مبراة عن العيب والعبث قال مصنف الكتاب وقلت
وقصيدة

الحمد لله ذي الالاء والنعم والفضل والجود والاحسان والكرم
منزه الفعل عن عيب وعن عبث مقدس الملك عن عزل وعن عدم

والصفة الثالثة قوله له ما في السموات وما في الارض
وهذا يدل على مطلوبين الاول انه احدها كونه موصوفا

بقدرة كاملة نافذة في جميع اجزاء السموات والارض في
عظمتها وسعتها بالايجاد والاعدام والتكوين والابطال
والثاني انه لما بين بقوله له ما في السموات وما في الارض
ان كل ما في السموات وما في الارض فهو ملكه ومملوكه وجب
ان يكون منزها عن كونه حاصلا في السموات وفي الارض والا
لزم كونه ملكا لنفسه واذا ثبت انه ليس في شيء من السموات
والارض امتنع ايضا كونه في العرش لان كل ما سماك
فهو سماء فاذا كان العرش موجودا فوق السموات كان في
الحقيقة سماء فوجب ان يكون كل ما كان حاصلا في العرش
ان يكون ملكا لله وان يكون مملوكا له فوجب ان يكون
منزها عن كونه حاصلا فيه فان قالوا انه تعالى قال له
ما في السموات وكلمة ما لا تتناول من يعقل قلنا الجواب عنه
من وجهين الاول ان لفظ ما وارد في حق الله تعالى
قال تعالى والسماء وما بناها والارض وما طحاها
وقال لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد
والثاني ان صيغة من وردت في مثل هذه السورة قال تعالى
ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا وكلمة من لا شك
انها واردة في حق الله تعالى فدلت هذه الاية على ان كل من في
السموات والارض فهو عبد الله فلو كان الله موجودا في
السموات وفي العرش لكان هو من جملة من في السموات
فوجب ان يكون عبد الله ولما ثبت بهذه الاية ان كل من
كان موجودا في السموات وفي العرش فهو عبد الله فوجب
فيمن يعتقد ثبوت كبريا وعن عظمة المعبود به ان يكون منزها

عن الكون في المكان والجهة والعرش والكرسي وقد والصفة
الرابعة والخامسة قوله تعالى وهو العلي العظيم ولا يجوز ان يكون
المراد بكونه عليا العلو في الجهة والمكان لما سبقت الدلالة على
فساده ولا يجوز ان يكون المراد من العظيم العظمة بالجثة وكبر
الجسم لان ذلك يقتضي كونه مؤلفا من الاجزاء والابعاض
وذلك ضد قوله الله احد فوجب ان يكون المراد من العلي
المتعالي عن مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات
ومن العظيم العظمة بالقدرة والقهر وبالاستعلاء وكمال الالهية
ثم قال تعالى تكاد السموات يتفطرن من فوقهن وفيه مسائل
المسألة الاولى قرا ابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر
يكاد بالياء ينفطرن بالياء والنون وقرا ابن كثير وابن
عامر وحفص عن عاصم وحمزة تكاد بالتاء يتفطرن
بالتاء والياء وقرا نافع والكسائي تكاد بالتاء ويتفطرن
ايضا بالتاء قال صاحب الكشاف وروى يونس
عن ابي عمرو قراءة غريبة بالتاءين والنون ونظيرها حرف نادر روي
في نوادر ابن الاعرابي الابل تشمس المسألة الثانية
في فائدة قوله من فوقهن وجوه الاول روى عكرمة
عن ابن عباس انه قال تكاد السموات يتفطرن من فوقهن
قال والمعنى انها تكاد ينفطرن من ثقل الله عليها
واعلم ان هذا القول سخيف ويجب القطع براءة ابن عباس
عنه ويدل على فساده وجوه الاول ان قوله من
فوقهن لا يفيد من فوقهن وما ينبغي انه يحصل ذلك الثقل
ثم قلنا ان هذا الحال انما حصلت من ثقل الملائكة عليها كما جاء في

الحديث

الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اطت السماء وحق لها ان تئط
ما فيها موضع شبر الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد
والثالث انه لا يجوز ان يكون المراد تكاد السموات يتشققن وينفطرن
من هيبة من فوقها فوقية الالهية والقهر والقدرة فثبت بهذه الوجوه
ان القول الذي ذكروه في غاية الفساد والركاكة
والوجه الثاني في تاويل الاية ما ذكره صاحب الكشاف
وهو ان كلمة الكفر انما جاءت من الذين تحت السموات فكان
القياس ان يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت الكلمة ولكن بولغ
في ذلك فجعلت مؤثرة من جهة الفوق كأنه قيل يكدن
يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره
في المبالغة قوله تعالى يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر
به ما في بطونهم والجلود فجعل مؤثرا في اجزائهم الباطنة
الوجه الثالث في تفسير الاية ان قوله من فوقهن
اي من فوق الارضين لانه تعالى قال قبل هذه الاية له ما في
السموات وما في الارض ثم قال تكاد السموات يتفطرن
من فوقهن اي من فوق الارضين والوجه الرابع في
التاويل ان يقال معنى من فوقهن اي من الجهة التي حصلت
هذه السموات فيها وتلك الجهة هي فوق فقوله من فوقهن
اي من الجهة الفوقانية التي هن فيها المسألة الثالثة اختلفوا
في ان هذه الهيبة لم حصلت وفيه قولان الاول
انه تعالى لما بين ان الموحي لهذا الكتاب هو الله تعالى من وصف
جلاله وكبريائه فقال تكاد السموات يتفطرن من هيبة جلاله
والقول الثاني ان السبب فيه اثباتهم الولد لله لقوله

العربي اعلم

يكاد السموات يتفطرن منه هاهنا السبب فيه
انما هو الشرك بالله لقوله تعالى الا لله الدين
الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء والصحيح هو الاول ٥ قوله تعالى
والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في
الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم واعلم ان مخلوقات الله تعالى
نوعان عالم الجسمانيات واعظمها السموات وعالم الروحانيات
واعظمها الملائكة والله سبحانه وتعالى يقرر كمال عظمته
لاجل نفاذ قدرته وهيبته في الجسمانيات ثم يردفه
بنفاذ قدرته واستيلاء هيبته على الروحانيات والدليل
عليه انه تعالى في سورة عم يتساءلون لما اراد تقرير العظمة والكبريا
بدا بذكر الجسمانيات فقال رب السموات والارض وما بينهما الرحمن
لا يملكون منه خطابا ثم انتقل الى ذكر عالم الروحانيات فقال يوم
يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا فكذلك القول في هذه الاية بين كمال عظمته
باستيلاء هيبته على الجسمانيات فقال تكاد السموات
يتفطرن من فوقهن ثم انتقل الى ذكر الروحانيات فقال والملائكة
يسبحون بحمد ربهم فهذا ترتيب شريف وبيان باهر واعلم
ان الموجودات على ثلثة اقسام مؤثر لا يقبل الاثر وهو الله سبحانه
وتعالى وهو اشرف الاقسام ومتاثر لا يؤثر وهو العالم
وهو الجسم وهو اخس الاقسام وموجود يقبل الاثر من القسم الاول
ويؤثر في القسم الثاني وهو الجوهر الروحاني المقدس وهو المرتبة
المتوسطة اذا عرفت هذا فنقول الجواهر الروحانية لها تعلقان
تعلق بعالم الكبرياء والجلال وهو تعلق القبول فان الجلال على الجواهر

الروحانية

الروحانية استضاءت جواهرها واشرقت ماهياتها ثم ان
الجواهر الروحانية اذا استفادت تلك القوى الروحانية
قويت بها على الاستيلاء على عوالم الجسمانيات واذا كان
كذلك فلها وجهان وجه الى جانب الكبرياء وحضرة الجلال
ووجه الى عالم الاجسام والوجه الاول اشرف
من الثاني اذا عرفت هذا فقوله يسبحون بحمد ربهم
اشارة الى الوجه الذي لهم الى الجلال والكبرياء وقوله
ويستغفرون لمن في الارض اشارة الى الوجه الذي
لهم الى عالم الاجسام فما احسن هذه اللطائف وما
اشرفها وما احسن تاثيرها في جذب الارواح من
حضيض الخلق الى اوج معرفة الحق اذا عرفت هذا فنقول
اما الجهة الاولى وهي الجهة العلوية المقدسة فقد اشتملت
على امرين احدهما التسبيح وثانيهما التحميد لان قوله
يسبحون بحمد ربهم يفيد هذين الامرين والتسبيح مقدم
على التحميد لان التسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغي
والتحميد عبارة عن وصفه بكونه معطيا لكل الخيرات وكونه منزها
في ذاته عما لا ينبغي مقدم بالرتبة على كونه فياضا للخيرات
لان وجود الشي متقدم على وجوده وحصوله في
نفسه مقدم على تاثيره في حصول غيره فلهذا السبب
كان التسبيح مقدما على التحميد فلهذا قال يسبحون بحمد ربهم
واما الجهة الثانية وهي الجهة التي لتلك الارواح الى
عالم الجسمانيات فالاشارة اليها بقوله ويستغفرون
لمن في الارض والمراد منه تاثيراتها في نظم احوال هذا العالم

وحصول الطريق الاصوب الاصلح فيها فهذه ملامح من المباحث
العالية الالهية المندرجة في هذه الايات المقدسة ولنرجع
الى ما يليق بعلم التفسير فان قيل كيف ان يستغفروا
لمن في الارض وفيهم الكفار وقد قال تعالى أولئك عليهم
لعنة الله والملائكة والناس فكيف يكونون لاعنين ومستغفرين
لهم قلنا الجواب من وجوه الاول ان قوله لمن في
الارض لا يفيد العموم لانه يصح ان يقال انهم استغفروا
لكل من في الارض وان يقال انهم استغفروا للبعض من في
الارض دون البعض ولو كان قوله لمن في الارض صريحا في
العموم لما صح ذلك التقسيم الثاني هب ان هذا النص
يفيد العموم الا انه تعالى حكى عن الملائكة في سورة حم المؤمن
فقال ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة
وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الثالث يجوز
ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب كما في قوله تعالى
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما
غفورا الرابع يجوز ان يقال انهم يستغفرون لكل من في
الارض اما في حق الكفار فبواسطة طلب الايمان لهم واما في
حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم فانا نقول اللهم
اهد الكفار وزين قلوبهم بنور الايمان وازل عن خواطرهم
وحشة الكفر وهذا في الحقيقة استغفار واعلم
ان قوله ويستغفرون لمن في الارض يدل على انهم لا يستغفرون
لانفسهم ولو كانوا مقترفين للمعصية لكان استغفارهم
لانفسهم مقدما على استغفارهم لمن في الارض حيث لم يذكر الله عز وجل

استغفارهم لانفسهم علمنا انهم مبرؤون عن كل الذنوب
والانبياء عليهم السلام لهم ذنوب والذي لا ذنب له افضل
ممن له ذنب وايضا فقوله ويستغفرون لمن في الارض
يدل على انهم يستغفرون للانبياء عليهم السلام لان الانبياء من جملة
من في الارض واذا كانوا مستغفرين للانبياء عليهم السلام
كان الظاهر انهم افضل منهم ولما حكى الله تعالى عن
الملائكة التسبيح والتحميد والاستغفار قال الا ان الله هو
الغفور الرحيم والمقصود التنبيه على ان الملائكة
وان كانوا يستغفرون للبشر الا ان المغفرة المطلقة
للحق سبحانه وتعالى وبيانه من وجوه الاول ان
اقدام الملائكة على طلب المغفرة للبشر من الله انما كان
لان الله سبحانه خلق في قلوبهم تلك الدواعي فقدموا على ذلك
الطلب واذا كان ذلك كذلك كان الغفور المطلق والرحيم
المطلق هو الله سبحانه الثاني ان الملائكة قالوا اول
الامر اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك ثم صاروا في اخر الامر يستغفرون لمن في
الارض واما رحمة الحق واحسانه فقد كان
موجودا في الاول والاخر فثبت ان الغفور المطلق
والرحيم المطلق هو الله تعالى الثالث انه تعالى حكى عنهم
فقال الا ان الله هو الغفور الرحيم يعني انه يعطي المغفرة
التي طلبوها ويضم اليها الرحمة الكاملة التامة ثم قال تعالى
والذين اتخذوا من دونه اولياء اي جعلوا له شركاء واندادا الله حفيظ عليهم
اي رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء وهو

محاسبهم عليها لا رقيب عليهم الا هو وحده وما انت يا محمد بموكل
بهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب ٥
قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام
القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة
وفريق في السعير ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل
من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ام اتخذوا
من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على
كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله
ربي عليه توكلت واليه انيب فاطر السموات والارض
جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير له مقاليد
السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
انه بكل شيء عليم ٥ اعلم ان كلمة كذلك للاشارة
الى شيء سبق ذكره فقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك قرانا
عربيا يقتضي تشبيه وحي الله بالقران بشيء سبق ذكره
وليس ههنا شيء سبق ذكره يمكن تشبيه وحي القران
به الا قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم
وما انت عليهم بوكيل يعني كما اوحينا اليك انك
لست حفيظا عليهم ولست وكيلا عليهم فكذلك
اوحينا اليك قرانا عربيا لتكون نذيرا لهم وقوله تعالى
لتنذر ام القرى لتنذر اهل ام القرى لان البلد لا تعقل وهو
هو كقوله تعالى واسأل القرية وام القرى اصل القرى يعني مكة
وسميت بهذا الاسم اجلالا لها لان فيها البيت ومقام

ابرهيم

والعرب تسمي اصل كل شيء امه حتى يقال هذه القصيدة من امهات
قصائد فلان ومن حولها من اهل البدو والحضر واهل المدر
والوبر والانذار هو التخويف فان قيل فظاهر هذا اللفظ
يقتضي ان الله تعالى انما اوحى اليه لينذر اهل مكة واهل
القرى المحيطة بمكة وهذا يقتضي ان يكون رسولا اليهم فقط
وان لا يكون رسولا الى كل العالمين والجواب ان
التخصيص بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما سواه فهذه الاية
تدل على كونه رسولا الى كل العالمين وايضا لما ثبت كونه
رسولا الى اهل مكة وجب ان يكون رسولا الى كل العالمين
لانه لما ثبت كونه رسولا الى اهل مكة وجب كونه
صادقا ثم انه نقل الينا بالتواتر انه كان يدعي انه رسول الى
كل العالمين والصادق اذا اخبر عن شيء وجب تصديقه
فيه فثبت انه رسول الى كل العالمين ثم قال تعالى وتنذر
يوم الجمع الاصل ان يقال انذرت فلانا بكذا فكان
الواجب ان يقال لتنذر ام القرى بيوم الجمع وايضا فيه اضمار
والتقدير لتنذر اهل ام القرى عذاب يوم الجمع وفي تسميته
بيوم الجمع وجوه الاول ان الخلائق يجمعون فيه قال تعالى
يوم يجمعكم ليوم الجمع فيجتمع فيه اهل السموات مع اهل الارض
الثاني انه يجمع بين الارواح والاجساد الثالث يجمع
بين كل عامل وعمله الرابع بين الظالم والمظلوم وقوله
لا ريب فيه صفة ليوم الجمع والتقدير ليوم الجمع الذي
لا ريب فيه وقوله فريق في الجنة وفريق في السعير

فان قيل قوله يوم الجمع يقتضي كون القوم مجتمعين والجمع بين الصفتين
محال قلنا انهم يجتمعون اولا ثم يصيرون فريقين ثم قال
ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة والمراد تقرير قوله والذين
اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل
اي لا تكن في قيد ان تحملهم على الايمان فلو شاء الله ذلك لفعله لانه
اقدر منك ولكنه جعل البعض مومنا والبعض كافرا فقوله
يدخل من يشاء في رحمته يدل على انه تعالى هو الذي ادخلهم
في الايمان والطاعة وقوله والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير
يعني انه تعالى ما ادخلهم في رحمته وهذا يدل على ان
الاولين انما دخلوا في رحمته لانه كان لهم ولي ونصير ادخلهم
في تلك الرحمة وهولاء ما كان لهم ولي ولا نصير
يدخلهم في رحمته ثم قال ام اتخذوا من دونه اولياء والمعنى
انه تعالى حكى عنهم اولا انهم اتخذوا من دونه اولياء ثم قال بعده
لمحمد صلى الله عليه وسلم لست عليهم رقيبا ولا حافظا
ولا يجب عليك ان تحملهم على الايمان شاووا ام ابوا فان هذا
المعنى لو كان واجبا لفعله الله لانه اقدر منك ثم انه تعالى
اعاد بعد ذلك الكلام على سبيل الاستنكار
فقال فقوله ام اتخذوا من دونه اولياء استفهام على سبيل
الانكار ثم قال تعالى فالله هو الولي وجواب
شرط مقدر كانه قال ان ارادوا اولياء بحق فالله هو
الولي سواه لانه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق
بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء ثم قال وما

اختلفتم

اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله وفيه مسائل **المسئلة الاولى**
وجه النظم انه تعالى كما منع الرسول صلى الله عليه وسلم ان يحمل الكفار
على الايمان قهرا فكذلك منع المومنين ان يشرعوا معهم في الخصومات
والمنازعات فقال وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه
الى الله وهو اثابة المحقين ومعاقبة المبطلين وقيل
وما اختلفتم فيه وتنازعتم فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته وقيل
وما وقع بينكم فيه خلاف من الامور التي لا تتصل بتكليفكم
لا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح فقال تعالى
ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي **المسئلة الثانية**
تقدير الاية كانه تعالى قال قل يا محمد وما اختلفتم فيه من شيء
فحكمه الى الله اما ان يكون المراد فحكمه مستفاد من القياس
على ما نص الله عليه والثاني باطل لانه يقتضي كون كل الاحكام
مثبتة بالقياس وانه باطل فتعين الاول فوجب كون كل الاحكام
مثبتة بالنصوص وذلك ينفي العمل بالقياس ولقائل ان يقول
لم لا يجوز ان يكون المراد فحكمه معروف من بيان الله تعالى سواء
كان ذلك البيان بالنص او القياس اجيب عنه بان المقصود
من التحاكم الى الله قطع الاختلاف والرجوع الى القياس يقوي حكم الاختلاف
ولا يوضحه فوجب ان يكون الواجب هو الرجوع الى نصوص الله تعالى
ثم قال تعالى ذلكم الله ربي اي ذلكم الحاكم بينكم ربي عليه توكلت في دفع
كيد الاعداء وفي طلب كل خير واليه انيب اي ارجع في كل المهمات
وقوله عليه توكلت يفيد الحصر يعني لا اتوكل الا عليه وهو اشارة

من يشفع له من يتخذ غير الله وليا ثم قال تعالى فاطر
السموات والارض قرئ بالرفع والجر فالرفع على انه احد اخبار
ذلكم او خبر مبتدا محذوف والجر على تقدير ان يكون
الكلام هكذا وما اختلفتم فيه من شي فحكمه الى الله
فاطر السموات والارض وقوله ذلكم الله ربي
اعتراض وقع بين الصفة والموصوف جعل لكم من انفسكم
ازواجا ومن الانعام ازواجا ومعناه خلق لكم من
الانعام من نفسها ازواجا يذروكم يكثركم يقال ذرا الله
الخلق اي كثرهم وقوله فيه اي في هذا التدبير وهو
التزويج وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان
بين ذكرهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير
في يذروكم يرجع الى المخاطبين الا انه غلب فيه جانب
الناس من وجهين احدهما انه غلب فيه جانب العقلا
على غير العقلا والثاني انه غلب جانب المخاطبين على
الغايبين فان قيل ما معنى يذروكم في هذا التدبير
ولم يقل يذروكم به قلنا جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن لهذا
التكثير الا ترى انه يقال للحيوان في خلق الازواج تكثير
كما قال تعالى ولكم في القصاص حيوة ثم قال تعالى
ليس كمثله شي وهو السميع البصير وهذه الاية فيها مسايل

المسئلة الاولى احتج علما التوحيد قديما وحديثا بهذه الاية
في نفي كونه تعالى جسما مركبا من الاعضا والاجزا وحاصلا
في المكان والجهة قالوا لو كان جسما لكان مثلا لساير الاجسام

فيلزم حصول الامثال والاشباه له وذلك باطل بصريح قوله تعالى
ليس كمثله شي ويمكن ايراد هذه الحجة على وجه اخر فيقال اما
ان يكون المراد ليس كمثله في هذه الذات شي واما ان يكون
ليس كمثله في الصفات شي والثاني باطل لان العباد يوصفون
بكونهم عالمين قادرين كما ان الله تعالى يوصف بذلك وكذلك
يوصفون بكونهم معلومين مذكورين مع ان الله تعالى يوصف
بذلك فثبت ان المراد بالمماثلة المساواة في حقيقة الذات
فيكون المعنى ان شيا من الذوات لا يساوي الله تعالى
في الذاتية فلو كان الله تعالى جسما ذات لا صفة فاذا
كان ساير الاجسام مساوية له في الجسمية اعني في
كونها متحيزة طويلة عريضة عميقة حينئذ يكون ساير
الاجسام مماثلة لذات الله تعالى في كونه ذاتا والنص
نفي ذلك فوجب ان لا يكون جسما ٢ واعلم
ان محمد بن اسحق بن خزيمة اورد استدلال اصحابنا بهذه الاية
في الكتاب الذي سماه بالتوحيد وهو في الحقيقة كتاب
الشرك واعترض عليها وانا اذكر حاصل كلامه بعد
حذف التطويلات لانه كان رجلا مضطرب الكلام
قليل الفهم ناقص العقل فقال نحن نثبت لله وجها
ونقول ان لوجه ربنا من النور والضيا والبها ما لو كشف
حجابه لاحرقت سبحات وجهه كل شي ادركه بصره ووجه
ربنا منفي عنه الهلاك والفنا ونقول ان لبني ادم وجوها
كتب الله عليها الهلاك والفنا ونفى عنها الجلال والاكرام
غير موصوفة بالنور والضيا والبها ولو كان مجرد اثبات

الوجه لله تقتضي التشبيه لكان من قال إن لبني آدم وجوها وللحمار
والقرود والكلاب وجوها لكان قد شبه وجوه بني آدم
بوجوه الكلاب والخنازير والقردة ثم قال فلا شك أن
أن عقل الجهمية لو قيل له وجهك يشبه وجه الخنزير
والقرد لغضب وشافهه بالسوء فعلمنا أنه لا يلزم من
إثبات الوجه واليدين لله إثبات التشبيه بين الله تعالى
وبين خلقه من صفات لهم ولم يلزم منها أن يكون القائل
بها مشبها فكذا هاهنا وتحرير هذه الصور التي ذكرها
في الاستقصاء قال الأول أنه تعالى قال في حق
الإله وهو السميع البصير وقال في حق الإنسان
فجعلناه سميعا بصيرا الثاني قال وقل اعملوا فسيرى الله
عملكم وقال في حق المخلوق أولم يروا إلى الطير مسخرات
في جو السماء الثالث قال واصنع الفلك
بأعيننا واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وقال
في حق المخلوقين ترى أعينهم تفيض من الدمع الرابع
قال لإبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي
وقال بل يداه مبسوطتان وقال في حق
المخلوقين ذلك بما قدمت يداك فبما قدمت
أيديهم إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق
أيديهم الخامس قال تعالى الرحمن على العرش استوى
وقال في الذين يركبون الدواب لتستووا على ظهوره
وقال في سفينة نوح واستوت على الجودي السادس
سمى نفسه عزيزا فقال العزيز الجبار ثم ذكر هذا الاسم

في

في حق المخلوقين بقوله يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا يا أيها
العزيز مسنا وأهلنا الضر السابع سمى نفسه بالملك
وسمى بعض عبيده أيضا بالملك فقال وقال الملك ائتوني
به وسمى نفسه بالعظيم ثم أوقع هذا الاسم على المخلوق
فقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ثم طول في ضرب
الأمثلة من هذا الجنس ومن وقف على الأمثلة التي ذكرها
أمكنه أن لا يكاد منها فهذا ما أورده هذا الرجل في الكتاب
وأقول هذا المسكين الجاهل إنما وقع في أمثال
هذه الخرافات لأنه لم يعرف حقيقة المثلين وعلماء التوحيد
حققوا الكلام في المثلين ثم فرعوا عليه الاستدلال
بهذه الآية فيقولون المثلان هما الذاتان يقوم
كل واحد منهما مقام الآخر في حقيقته وماهيته وتحقيق
الكلام فيه مسبوق بمقدمة أخرى فنقول المعتبر
في كل شيء إما تمام الماهية وإما جزء من أجزاء الماهية وإما
أمر خارج عن الماهية ولكنه يكون من لوازم تلك الماهية
وهذا التقسيم مبني على الفرق بين ذات الشيء وبين
الصفات القائمة به وذلك معلوم بالبديهة فإنا نرى
الحبة من الحصرم كانت في غاية الخضرة والحموضة ثم صارت
في غاية السواد والحلاوة فالذات باقية والصفات مختلفة
والذات الباقية مغايرة للصفات المختلفة وأيضا نرى
الشعر قد كان في غاية السواد ثم صار في غاية البياض
فالذات باقية والصفات متبدلة والباقي غير المتبدل فظهر
بما ذكرنا أن الذوات مغايرة للصفات إذا عرفت هذا فنقول

اختلاف الصفات لا توجب اختلاف الذوات البتة لا ترى
الجسم الواحد كان ساكنا ثم يصير متحركا ثم يسكن بعد ذلك
فالذات باقية في الأحوال كلها على نهج واحد ونسق
واحد والصفات متعاقبة متزايلة فثبت بهذا أن اختلاف
الصفات والأعراض لا توجب اختلاف الذوات إذا عرفت
هذا فنقول الأجسام التي تألف منها وجه الكلب
والقرد متساوية للأجسام التي تألف منها وجه الإنسان
والفرس وإنما حصل الاختلاف بسبب الأعراض القائمة
في الذوات من الأشكال والخشونة والملاسة
وحصول الشعور فيه وعدم حصولها فيه فالاختلاف
إنما وقع بسبب الاختلاف في الصفات والأعراض
فأما ذوات الصفات ولاجرم يقولون إن وجه الإنسان
يخالف وجه الحمار لكن لعدم تحصيلهم بأنه حصلت المخالفة بسبب
الشكل واللون وسائر الصفات فأما الأجسام من حيث
أنها أجسام متماثلة متساوية فثبت أن الكلام الذي أورده
إنما ذكره لأجل أنه كان من العوام وما كان يعرف أن المعتبر
في التماثل والاختلاف حقائق الأشياء وماهياتها لا الأعراض
والصفات القائمة بها فهل بقي ها هنا ارتياب في الدليل على أن
الأجسام كلها متماثلة ثم نقول لنا ها هنا مقامان
المقام الأول أن نقول هذه المقدمة إما أن
تكون مسلمة فقد حصل المطلوب وإن كانت ممنوعة
فنقول لم لا يجوز أن يكون إله العالم هو الشمس
أو القمر أو الفلك أو العرش أو الكرسي ويكون ذلك الجسم مخالفا لماهية

الماهيات سائر الأجسام فكان هو أيضا أزليا واجب الوجود
وسائر الأجسام محدثة مخلوقة وأيضا الأولين والآخرين أجمعوا
على أن يسقطوا أهل الإسلام عن المجسمة لا يقدرون عليه
فإن قالوا هذا باطل لأن القرآن دل على أن الشمس والقمر
والأفلاك كلها محدثة مخلوقة فنقول هذا من
باب الحماقة المفرطة لأن صحة القرآن وصحة نبوة الأنبياء
مفرع على معرفة الإله فإثبات معرفة الإله بالقرآن وقول
النبي لا يقوله عاقل نعم إنا سيجيء والمقام الثاني أن
علماء الأصول أقاموا البرهان القاطع على تماثل الأجسام
في الذوات وفي الحقيقة وإذا ثبت هذا ظهر أنه لو كان
إله العالم جسما لكانت ذاته مساوية لذوات الأجسام
إلا أن هذا باطل بالعقل والنقل أما العقل فلأن
ذاته إذا كانت مساوية لذوات سائر الأجسام وجب أن يصح
عليه ما يصح على سائر الأجسام فيلزم كونه محدثا مخلوقا قابلا
للتفرق والتمزق وأما النقل فقوله ليس كمثله شيء
فهذا تمام الكلام في تقرير هذا الدليل وعند هذا ظهر
أما لا نقول بأنه متى حصل الاستواء في الصفة لزم حصول
الاستواء في تمام الحقيقة إلا أنا نقول لما ثبت أن
الأجسام متماثلة في تمام الماهية فلو كانت ذاته جسما
لكان ذلك الجسم مساويا لسائر الأجسام في تمام الماهية
وحينئذ يلزم أن يكون كل جسم مثلا له لما بينا أن المعتبر
في حصول المماثلة اعتبار الحقائق من حيث هي هي لا اعتبار

الصفات الثابتة لهما فظهر بالتقرير الذي ذكرناه ان حجة اهل التوحيد
في غاية القوة وان هذه الكلمات التي اوردها هذا الانسان انما
اوردها لانه كان بعيدا عن معرفة الحقائق يجري على منهج كلمات العوام
فاعتبر بتلك الكلمات التي ذكرناها ونسأل الله حسن الخاتمة

المسئلة الثانية وظاهر هذه الآية اشكال فانه يقال المقصود
منها نفي المثل عن الله تعالى وظاهرها يوجب اثبات المثل فانه يقتضي
نفي المثل عن مثله لا عنه وذلك يوجب اثبات المثل لله تعالى واجاب
العلماء عنه بان قالوا ان العرب تقول مثلك لا يبخل اي انت
لا تبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عنه ويقول الرجل
هذا الكلام لا ينال لمثلي اي لا ينال لي قال الشاعر
ومثلي كمثل جذوع النخيل
والمراد منه المبالغة وهو انه اذا كان
ذلك الحكم منتفيا عمن كان مشابها له بسبب كونه مشابها
له فلان يكون منتفيا عنه كان ذلك اولى ونظيره قولهم سلام على
المجلس العالي والمقصود ان سلام الله اذا كان واقعا على مجلسه
وموضعه فلان يكون واقعا عليه كان اولى فكذا ههنا قوله تعالى
ليس كمثله شيء المعنى ليس كهو شيء على سبيل المبالغة من الوجه
الذي ذكرناه وعلى هذا التقدير فلم يكن هذا اللفظ ساقطا عديم
الاثر بل كان مفيدا للمبالغة من الوجه الذي ذكرناه وزعم
جهم بن صفوان ان المقصود من هذه الآية بيان انه تعالى ليس مسمى باسم
الشيء قال لان كل شيء فانه يكون مثلا لمثل نفسه فقوله
ليس كمثله شيء معناه ليس مثل مثله شيء وذلك يقتضي ان لا يكون
هو مسمى اسم الشيء وعندي فيه طريقة اخرى وهي ان المقصود ذكر الجمع بين حرفي

التشبيه

التشبيه الدليل الدال على كونها منزها عن المثل وتقريره
انه تعالى لو كان له مثل لكان هو مثل مثله فالامر فيه ظاهر
واما بيان ان هذا محال فهو انه لو كان هو مثل مثل نفسه
لكان مساويا لمثله في تلك الماهية ومباينا له في تعينه وما به
المساواة غير ما به المباينة فيكون ذات كل واحد منهما مركبا
وكل مركب ممكن فثبت انه لو حصل لواجب الوجود مثل لما كان
هو في نفسه واجب الوجود اذا عرفت هذا فقوله ليس كمثله
شيء اشارة الى انه لو صدق عليه انه مثل مثل نفسه لما كان
هو مساويا على ما بينا انه لو حصل لواجب الوجود مثل لما
كان واجب الوجود فهذا ما يحتمله اللفظ

المسئلة الثالثة
هذه الآية دالة على نفي المثل وقوله تعالى ولله المثل
الاعلى يقتضي اثبات المثل ولا بد من الفرق بينهما فنقول
المثل هو الذي يكون مساويا له في بعض الصفات الخارجة عن
الماهية وان كان مخالفا في تمام الماهية

المسئلة الرابعة
قوله وهو السميع البصير يدل على كونه تعالى سامعا
للمسموعات بصيرا للمرئيات فان قيل يمتنع اجراء
هذا اللفظ على ظاهره وذلك لانه اذا حصل قرع او قلع
انفلت الهواء من بين ذينك الجسمين انفلاتا بعنف فيتموج
الهواء بسبب ذلك ويتادى ذلك التموج الى سطح
الصماخ فهذا هو السماع واما الابصار فهو عبارة عن تأثر الحدقة
بصورة المرئي فثبت ان السمع والبصر عبارة عن تأثر الحاسة
وذلك على الله تعالى محال فثبت ان اثبات السمع
والبصر على علمه تعالى بالمسموعات والمبصرات والجواب

الدليل على أن السماع مغاير لتلك الحاسة أنا إذا سمعنا الصوت علمنا
من أي الجوانب جاء فعلمنا أنا أدركنا الصوت حيث وجد ذلك الصوت
في نفسه وهذا يدل على أن إدراك الصوت حالة مغايرة لتأثر
الصماخ عن تموج ذلك الهواء وأما في الرؤية فالدليل على أنها مغايرة
لتأثر الحدقة وذلك لأن نقطة الناظر جسم صغير فيستحيل
انطباع الصورة العظيمة فيه فنقول الصورة المنطبعة
صغيرة والصورة المرئية في نصف العالم عظيمة وهذا يدل على أن
الرؤية حالة مغايرة لنفس ذلك الانطباع وإذا ثبت هذا فنقول
لا يلزم من امتناع التأثر في حق الله تعالى امتناع السمع والبصر في
حقه فإن قالوا هب أن السمع والبصر حالتان مغايرتان لتأثر
الحاسة إلا أن حصولهما مشروط بحصول ذلك التأثر فلما كان حصول
ذلك التأثر في حق الله تعالى ممتنعا كان حصول السمع والبصر في
حق الله تعالى ممتنعا فنقول ظاهر قوله وهو السميع
البصير يدل على كونه تعالى سميعا بصيرا فلم يجز لنا أن نعدل
عن هذا الظاهر إلا إذا قام الدليل على أن الحالة المسماة بالسمع
والبصر مشروطة بحصول التأثر والتأثر في حق الله تعالى ممتنع
فكان حصول الحالة المسماة بالسمع والبصر ممتنعا وأنتم المدعون
لهذا الاشتراط فعليكم الدلالة ~~الحاصلة~~ على حصوله وانحن
متمسكون بظاهر اللفظ إلى أن تذكروا ما يوجب العدول عنه
فإن قال قائل قوله وهو السميع البصير يفيد الحصر فما معنى
هذا الحصر مع أن العباد أيضا موصوفون بكونهم سميعين بصيرين
فنقول السميع البصير لفظان مشعران بحصول هاتين الصفتين
على سبيل الكمال والكمال في كل الصفات ليس إلا لله فهذا هو المراد

من هذا

من هذا الحصر أما قوله تعالى له مقاليد السموات والأرض واعلم
أن المراد منه الآية الأولى أنه تعالى فاطر السموات والأرض والأصنام
ليست كذلك وأيضا فهو خالق أنفسنا وأزواجنا وخالق
أزواجنا منا ومن أزواجنا والأصنام ليست كذلك وأيضا
فله مقاليد السموات والأرض والأصنام التي هي جمادات [illegible]
في المعبودية فقوله له مقاليد السموات والأرض يريد مفاتيح
الرزق من السموات والأرض فمقاليد السموات الأمطار ومقاليد
الأرض النبات وذكرنا تفسير المقاليد في سورة الزمر يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر لأن مفاتيح الأرزاق بيده إنه بكل شيء
من البسط والتقدير عليم ٥ قوله تعالى شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا
به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه
كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي
إليه من ينيب ۞ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين
أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع
واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل بما أنزل الله من كتاب
وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم
لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير والذين يحاجون
في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم
غضب ولهم عذاب شديد الله الذي أنزل الكتاب بالحق
والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين
لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق

نصف

آمنت

الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشا وهو القوي العزيز ١٥ اعلم انه تعالى لما عظم وحيه الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ذكر في هذه الاية تفصيل ذلك فقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى والمعنى شرع الله لكم يا اصحاب محمد من الدين ما وصى به نوحا ومحمدا وابرهيم وموسى وعيسى هذا هو المقصود من لفظ الاية وانما خص هولا الانبيا الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبيا واصحاب الشرايع العظيمة والاتباع الكثيرة الا انه بقي في لفظ الاية اشكال لانه احدها انه قال في اول الاية ما وصى به نوحا وفي اخرها وما وصينا به ابرهيم وفي الوسط والذي اوحينا اليك فما الفائدة في هذا التفاوت وثانيها انه ذكر نوحا عليه السلام على سبيل الغيبة فقال وما وصينا به ابرهيم وثالثها انه ذكر نوحا ليصير تقدير الاية شرع الله لكم من الدين الذي اوحينا اليك خطاب الحضور فهذا يقتضي الجمع بين خطاب الغيبة وخطاب الحضور في الكلام الواحد باعتبار الواحد وهو مشكل فهذه مضايق يجب البحث عنها والقوم ما داروا حولها وبالجملة فالمقصود من الاية انه تعالى قال شرع لكم من الدين دينا تطابقت الانبيا على صحته واقول يجب ان يكون المراد من هذا الدين شيئا مغايرا للتكاليف والاحكام وذلك لانها مختلفة متفاوتة قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة

ومنهاجا فيجب ان يكون المراد منه الامور التي لا تختلف باختلاف الشرايع وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والايمان يوجب الاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة والايمان السعي في مكارم الاخلاق والاحتراز عن رذايل الاحوال ويجوز عندي ان يكون المراد من قوله ولا تتفرقوا اي لا تتفرقوا بالالهة الكثيرة كما قال يوسف عليه السلام ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وقال ايضا وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ١٥ واحتج بعضهم بقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا على ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول الامر كان متعبدا بشريعة نوح عليه السلم والجواب ما ذكرناه انه عطف عليه ساير الانبيا وذلك يدل على ان المراد هو الاخذ بالشريعة المتفق عليها بين الكل ومحل ان اقيموا الدين اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله تعالى على سبيل الاتفاق والاجماع بدليل انهم قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب وههنا مسايل

المسئلة الاولى احتج نفاة القياس بهذه الاية فقالوا انه تعالى اخبر ان اكابر الانبيا اطبقوا على انه يجب اقامة الدين بحيث لا يفضي الى الاختلاف والنزاع والله تعالى ذكر في معرض المنة على عباده انه ارشدهم الى الدين الخالي عن التفرق والمخالفة ومعلوم ان فتح باب القياس

يفضي الى اعظم انواع الضرر والمفاسد فان الحس شاهد
بان هولاء الذين سودوا بينهم في الاحد بالقياس تفرقوا
تفرقا لا رجا في حصول الاتفاق وينتهي الى اعظم هام الفتنه
موجب ان يكون ذلك محرمًا ممنوعًا عنه المسئلة الثالثة
هذه الآية تدل على ان الشرائع على قسمين منها ما يمتنع
دخول النسخ والتغيير فيه بل يكون واجب البقا في
جميع الشرائع والاديان كالقول بحسن الصدق والعدل
والاحسان وقبح الكذب والظلم والايذا ومنها ما يختلف
باختلاف الشرائع والاديان ودلت هذه الآية على
ان سعي الشرع في تقرير النوع الاول اقوى من سعيه
في تقرير النوع الثاني لان المواظبة على القسم الاول
مهم في اكتساب الاحوال المعينة لحصول السعادة
في الدار الآخرة المسئلة الرابعة قوله تعالى ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه يشعر بان حصول الموافقة
امر مطلوب في الشرع والعقل وبيان منفعته من
وجوه الاول ان النفوس باسرها واذا تطابقت
النفوس وتوافقت على شي واحد قوي الحاصل الذي
لها اذا توافق صادق واحد منها معينا للآخر
فذلك المقصود الجليل وكثرة الاعوان يوجب
حصول المقصود اما اذا تخالفت تنازعت وتجادلت
ضعف ولا يحصل المقصود الثاني ان حصول
التنازع ضد العالم لانه يفضي الى الهرج والمرج والقتل
والنهب فلهذا السبب امر الله تعالى في هذه الآية باقامة الدين على وجه لا يفضي
الى التفرق وقال في آية اخرى ولا تنازعوا فتفشلوا قال تعالى

هذا الخير لانه اجتباهم واصطفاهم وخصهم بمزيد الرحمة
والكرامة الثاني انه انما كبر عليهم هذا الدعا من
الرسل لما فيه من الانقياد لهم تكبرا وانفة فبين تعالى
انه يخص من يشا بالرسالة ويلزم الانقياد لهم ولا
يعتبر بالحسب والنسب والمعتبر بالكل سوى انه يلزمهم
اتباع الرسل الذين اجتباهم الله تعالى واشتقاق لفظ الاجتبا
يدل على الضم ومنه جبى الخراج واجتبا الماء في الحوض
فقوله الله يجتبي من يشا اي يضم اليه ويقربه
منه تقريب الاكرام والرحمة وقوله من يشا هو كقوله تعالى
يعذب من يشا ويهدي من يشا ويهدي اليه من ينيب
وهو كما روي في الخبر من تقرب مني شبرا تقربت
اليه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة اي من
اقبل الي بطاعته اقبلت اليه بهدايتي وارشادي بان
اشرح له صدره واسهل امره واعلم انه تعالى لما بين
ان امر الكل من الانبيا والامم بالاخذ بالدين المتفق عليه
كان لقائل ان يقول فلماذا نجدهم متفرقين فاجاب الله
عنهم بقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
يعني انهم ما تفرقوا الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلالة
ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وطلب الرياسة فحملتهم الحمية
النفسانية الطبيعية على ان ذهب كل طائفة الى مذهب
ودعى الناس اليه وطلبا للذكر والرياسة فصار ذلك سببا
لوقوع الاختلاف ثم اخبر تعالى انهم استحقوا العذاب

بسبب هذا الفعل الا انه تعالى اخر عنهم ذلك العذاب لان
لكل عذاب عنده اجلا مسمى اي وقتا معلوما اما لمحض المشيئة
كما هو قولنا او لانه علم ان الصلاح تخصيصه كما عند المعتزلة
وهو معنى قوله ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي
بينهم والاجل المسمى قد يكون في الدنيا وقد يكون في القيمة
واختلفوا في الذين اريدوا بهذه الصفة من هم فقال الاكثرون
هم اليهود والنصارى والدليل عليه قوله تعالى في آل عمران
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم وقال في سورة لم يكن وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ولان قوله الا من
بعد ما جاءهم العلم لائق باهل الكتاب وقال آخرون
انهم هم العرب وهذا باطل للوجوه المذكورة ولان
قوله تعالى بعد هذه الاية وان الذين اورثوا الكتاب
من بعدهم لفي شك منه مريب هم اهل الكتاب الذين كانوا في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفي شك مريب منه
لا يؤمنون به حق الايمان ثم قال تعالى فلذلك
فادع واستقم كما امرت يعني لاجل ذلك التفرق ولاجل
ما حدث من الاختلافات الكثيرة في الدين فادع الى
الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم عليها وعلى
الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة
الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اي
باي كتاب صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب لان

لان المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض ونظيره قوله نؤمن ببعض
ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون ثم قال وامرت
لاعدل بينكم اي في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي قال
القفال معناه ان ربي امرني ان لا افرق بين نفسي ونفسكم
بان امركم بما لا اعمله او اخالفكم الى ما انهاكم عنه لكني
اسوي بينكم وبين نفسي وكذلك اسوي بين اكابركم
واصاغركم فيما يتعلق بحكم الله ثم قال الله ربنا
وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا
واليه المصير والمعنى ان اله الكل واحد وكل واحد مخصوص
بعمل نفسه فوجب ان يشتغل كل واحد في الدنيا بنفسه
فان الله يجمع بين الكل في يوم القيمة ويجازيه على عمله
والمقصود منه المتاركة واشتغال كل واحد منهم بنفسه
فان قيل كيف يليق بهذه المتاركة ما فعل بهم من القتل
وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء قلنا هذه
المتاركة كانت مشروطة بشرط ان يقبلوا الدين المتفق على
صحته بين كل الانبياء ودخل فيه التوحيد وترك عبادة
الاصنام والاقرار بنبوة الانبياء وبصحة البعث والقيمة
فلما لم يقبلوا هذا الدين فحينئذ فات الشرط فلا جرم فات
المشروط واعلم انه ليس المراد من قوله لا حجة بيننا وبينكم
تحريم ما يجري مجرى محاجتهم ويدل عليه وجوه الاول
ان هذا الكلام مذكور في معرض المحاجة فلو كان المقصود
من هذه الاية تحريم المحاجة لزم كونها محرمة لنفسها وهو
متناقض والثاني انه لولا الادلة لما توجه

التكليف لسائل ان الدليل يفيد العلم وذلك لا يمكن
تحصيله بل المراد ان القوم عرفوا بالحجة صدق محمد صلى الله
عليه وسلم وانما تركوا تصديقه بغيا وعنادا فبين تعالى
انه حصل الاستغناء عن محاجتهم لانهم عرفوا ولا
حاجة معهم الى المحاجة البتة ومما يقوي قولنا انه
لا يحرم المحاجة قوله وجادلهم بالتي هي احسن وقوله تعالى
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن
وقوله يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقوله
وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه ثم قال تعالى
والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم
داحضة عند ربهم اي يخاصمون في دينه من بعد ما استجيب
له اي من بعد ما استجاب الناس لذلك الدين حجتهم داحضة
اي باطلة وتلك المخاصمة هي ان اليهود قالوا السنا
نقول ان الاخذ بالمتفق اولى من الاخذ بالمختلف
فنبوة موسى عليه السلام وحقية التورية معلومة
بالاتفاق ونبوة محمد ليست متفقا عليها فاذا بنيتم
اولا في كلامكم في هذه الامة على ان الاخذ بالمتفق اولى
وجب ان يكون الاخذ باليهودية اولى فبين تعالى
ان هذه الحجة داحضة اي باطلة فاسدة وذلك لان اليهود
اطبقوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه السلام لاجل
ظهور المعجزات على وفق قوله وههنا ظهرت المعجزات
على وفق قول محمد صلى الله عليه وسلم واليهود شاهدوا

تلك المعجزات فان كان ظهور المعجز يدل على الصدق فههنا يجب
الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان كان لا يدل على
الصدق وجب في حق موسى ان لا يقروا بنبوته فاما ظهور
المعجزات يكون متناقضا ولما قرر تعالى انه لا سبيل
خوف المشركين بعذاب القيمة فقال الله الذي انزل الكتاب
بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب والمعنى انه تعالى
انزل الكتاب المشتمل على انواع الدلايل والبينات وانزل
الميزان وهو العقل الذي هو القسطاس المستقيم وانهم
لا يعلمون ان القيمة متى تفاجيهم ومتى كان الامر كذلك
وجب على العاقل ان يجد ويجتهد في النظر والاستدلال
ويترك طريقة اهل الجهل والتقليد ولما كان
الرسول صلى الله عليه وسلم يهددهم بيوم القيمة
واكثر في ذلك وانهم ما راوا منه اثرا قالوا على سبيل
السخرية فمتى تقوم القيمة وليتها قامت حتى يظهر لنا ان الحق
ما نحن عليه او الذي محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه عليه فلدفع
هذه الشبهة قال تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون
بها والذين امنوا مشفقون منها والمعنى ظاهر وانما يشفقون
ويخافون لعلمهم ان عندها تمتنع التوبة واما منكر
البعث فلانه لا يحصل له هذا الخوف ثم قال الا
ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد المماراة الملاحة
قال الزجاج الذين تدخلهم المرية والشك في وقوع
الساعة ويمارون فيها يجحدون لفي ضلال بعيد لان استيفا
حق المظلوم من الظالم واجب في العدل فلو لا حصول القيمة

لزم اسناد الظلم الى الله عز وجل وهذا من احل المحالات فلا جرم كان
انكار الفتنة ضلالا بعيدا ٥ قوله الله لطيف بعباده اى كثير الاحسان
بهم وانما حسن ذكر هذا الكلام هاهنا لانه انزل عليهم الكتاب المشتمل على
هذه الدلائل اللطيفة فكان ذلك من لطف الله بعباده
وايضا المتقدمون استوجبوا العذاب الشديد ثم انه تعالى
اخر عنهم ذلك العذاب فكان ذلك ايضا من لطف الله تعالى فلما
سبق ذكر ايصال اعظم المنافع اليهم ودفع اعظم المضار عنهم لا جرم
حسن ذكره هاهنا ثم قال يرزق من يشاء يعنى
ان اصل الاحسان والبر عام فى حق كل العباد وذلك هو
الاحسان والعقل والفهم واعطا ما لا بد منه من
الرزق ودفع اكثر الافات والبليات عنهم فاما
مراتب العطاء والبهجة فمتفاوتة مختلفة ثم قال وهو
القوى العزيز على كل ما يشا العزيز الذى لا يغالب
ولا يدافع **قوله تعالى** من كان يريد حرث الاخرة نزد
له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى
الاخرة من نصيب ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين
ما لم ياذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين
لهم عذاب اليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا
وهو واقع بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات فى روضات
الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل
الكبير ذلك الذى يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا
الصالحات قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى
ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ام يقولون

افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله
الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور وهو
الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما
يفعلون ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ٥ اعلم
انه تعالى لما بين انه لطيف بعباده كثير الاحسان اليهم
بين ان من اراد حرث الاخرة نزد له فى حرثه قال صاحب
الكشاف انه تعالى سمى ما يعمله العامل مما يطلب به الفائدة حرثا
على سبيل المجاز وفى الاية مسائل **المسئلة الاولى** انه تعالى
اظهر الفرق فى هذه الاية بين من اراد حرث الاخرة وبين من اراد
الدنيا من وجوه الاول انه قدم مريد حرث الاخرة
على مريد حرث الدنيا فى الذكر وذلك يدل على التفضيل لانه وصفه
بكونه اخرا ثم قدمه فى الذكر تنبيها على قوله نحن الاخرون
السابقون والثانى انه قال فى مريد حرث الاخرة انه يزيد
له فى حرثه وقال فى مريد حرث الدنيا نؤته منها
وكلمة من للتبعيض فالمعنى انه يعطيه بعض ما يطلبه ولا يؤتيه
كله وقال فى سورة بنى اسرائيل عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد واقول البرهان العقلى ساعد على الفرق
وذلك لان كل من عمل للاخرة وواظب على ذلك العمل فكثرة
الاعمال سبب لحصول الملكات فكلما كانت مواظبته على تلك
الاعمال اكثر كان ميل قلبه الى طلب الاخرة اكثر وكلما
كان الامر كذلك كان الابتهاج اكثر والسعادات

والسعادات أعظم وذلك هو المراد بقوله نزد له في
حرثه وأما طالب الدنيا فكلما كانت مواظبته على
أعمال ذلك الطلب أكثر كانت رغبته في الفوز بالدنيا أكثر
وميله إليه أشد وإذا كان الميل أبدا في التزايد
وكان حصول المطلوب باقيا على حاله كان الحرمان
لازما لا محالة الثالث أنه تعالى قال في طالب الآخرة
الله نزد له في حرثه ولم يذكر أنه تعالى يعطيه الدنيا أم لا بل
في الكلام ما يدل عليه نفيا وإثباتا وأما طالب حرث
الدنيا فإنه تعالى بين أنه لا يعطيه شيئا من نصيب
الآخرة على التنصيص وهذا يدل على التفاوت العظيم
كأنه يقول الآخرة أصل والدنيا تبع فواجد الأصل
يكون واجدا للتبع بقدر الحاجة إلا أنه لم يذكر ذلك تنبيها
على أن الدنيا أحقر من أن يقرن ذكرها بذكر الآخرة
الرابع أنه تعالى بين أن طالب الآخرة يزاد في مطلوبه
وبين أن طالب الدنيا يعطى بعض مطلوبه من الدنيا وأما
في الآخرة فإنه لا يحصل له منه نصيب البتة فبين بالكلام
الأول أن طالب الآخرة يكون حاله أبدا في الترقي والتزايد
وبين بالكلام الثاني أن طالب الدنيا يكون حاله في المقام
الأول في النقصان وفي المقام الثاني في البطلان التام
الخامس أن الآخرة نسيئة والدنيا نقد والنسيئة
مرجوحة بالنسبة إلى النقد لأن الناس يقولون النقد
خير من النسيئة فبين تعالى أن هذه القضية انعكست

بالنسبة

> حرث

> سابعه

إلى النقد لأن الناس يقولون النقد خير من النسيئة فبين تعالى
أحوال الآخرة والدنيا فالآخرة وإن كانت نسيئة إلا
أنها متوجهة إلى الزيادة والدوام فكانت أفضل وأكمل
والدنيا وإن كانت نقدا إلا أنها متوجهة إلى النقصان
إلى البطلان فكانت أخس وأرذل فهذا يدل على أن حال الآخرة
لا يناسب حال الدنيا البتة وأنه ليس في الدنيا من أحوال
الآخرة إلا الأسماء كما هو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه السادس
الآية دالة على أن منافع الآخرة والأولى ليست حاضرة
بل لا بد في البابين من الحرث والحرث لا يتأتى إلا
بتحمل المشاق في البذر ثم السقي والتنمية ثم الحصد
ثم التنقية فلما سمى الله كلا القسمين حرثا علمنا أن كل واحد
منهما لا يحصل إلا بتحمل المشاق والمتاعب ثم بين تعالى
أن مصير الآخرة إلى الزيادة والكمال وأن مصير الدنيا
إلى النقصان ثم الفناء وكأنه قيل إذا كان لا بد في القسمين
جميعا من متاعب الحراثة والسقي والتنمية والحصد والتنقية
فلأن تصرف هذه المتاعب إلى ما يكون في التزايد والبقاء
أولى من صرفها إلى ما يكون في النقصان والانقضاء

المسألة الثالثة في تفسير قوله نزد له في حرثه قولان الأول
المعنى إنا نزيد في توفيقه وإعانته وتسهيل سبل
الخيرات والطاعات عليه وقال مقاتل
نزد له في حرثه بتضعيف الثواب قال الله تعالى
ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله

> لعله الآخرة

> عن النبي صلى الله عليه وسلم

من اصبح وهمه الدنيا شتت الله تعالى همه وجعل فقره
بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن
اصبح وهمه الآخرة جمع الله عليه همه وجعل غناه في
قلبه واتته الدنيا وهي راغمة لفظ يقرب ان يكون هذا
معناه ظاهر اللفظ يدل على ان من
صلى لاجل طلب الثواب او لاجل دفع العقاب فانه يصح
صلاته واجمعوا على انها لا تصح والجواب انه تعالى
قال من كان يريد حرث الآخرة والحرث لا يتاتى الا بالقاء
البذر الصحيح في الارض والبذر الصحيح جمع الخيرات
والسعادات ليس الا عبودية الله سبحانه وتعالى
المسئلة الرابعة قال اصحابنا اذا توضأ بغير نية
لم يصح لو لا ان هذا الانسان ما اراد حرث الآخرة فوجب
ان لا يحصل له الوضوء العادي عن النية واعلم انه تعالى
لما بين القانون الاعظم والقسطاس الاقوم في اعمال الآخرة
والدنيا اردفه بالتنبيه على ما هو الاصل في باب الضلالة والشقاوة
فقال ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله
معنى الهمزة في ام للتقرير والتقريع وشركاؤهم
شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل
للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وقيل شركاؤهم اوثانهم
وانما اضيفت اليهم لانهم هم الذين اتخذوها شركاء لله ولما
كانت سببا للضلالة جعلت شارعة لدين الضلالة كما قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم رب انهن اضللن

كثيرا

كثيرا من الناس وقوله شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله
يعني ان تلك الشرائع باسرها على ضد دين الله ثم قال ولولا
كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاخير الجزاء او يقال ولولا
الوعد بان الفصل يكون بينهم يوم القيامة لقضي بينهم اي بين
الكافرين والمومنين او بين المشركين وشركائهم ومن يعضهم والا
نسخ الحكم في ان عطف له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة
الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في
الدنيا ثم انه تعالى ذكر احوال اهل العقاب واحوال اهل
الثواب اما الاول فهو قوله ترى الظالمين
مشفقين خائفين خوفا شديدا مما كسبوا من السيئات وهو
واقع بهم يريد ان وبال ما كسبوا واقع بهم سواء اشفقوا او لم يشفقوا
واما الثاني فهو احوال اهل الثواب فهو قوله تعالى
والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات روضة
الجنة اطيب بقعة فيها وفيه تنبيه على ان الفساق من اهل
الصلوة كلهم في الجنة لانه خص الذين امنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات وهي البقاع الشريفة من الجنة
فالبقاع التي دون تلك الروضات لا بد وان يكون مخصوصة
لمن كان دون الذين امنوا وعملوا الصالحات ثم قال
لهم ما يشاؤن عند ربهم وهذا يدل على ان كل الاشياء
حاصلة عنده مهياة ثم قال لهم في تعظيم هذه
الدرجة ذلك هو الفضل الكبير واصحابنا استدلوا بهذه
الاية على ان الثواب غير واجب على الله وانما يحصل بطريق الفضل

لانه

من الله تعالى ثم قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم هذا يدل على ان روضات الجنات وكل ما يريدونه انما كان جزاء على الايمان والاعمال الصالحة ثم قال تعالى ذلك هو الفضل الكبير وهذا تصريح ان الجزاء المرتب على العمل انما حصل بطريق الفضل لا بطريق الاستحقاق ثم قال ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال صاحب الكشاف قرئ يبشر من بشره ويبشر من ابشره ويبشر من بشره واعلم ان هذه الآيات دالة على تعظيم حال الثواب من وجوه الاول ان الله سبحانه رتب على الايمان وعمل الصالحات روضات الجنات والسلطان الذي اعظم الموجودات واكرمهم اذا رتب على اعمال شاقة جزاء دل ذلك على ان ذلك الجزاء قد بلغ الى حيث لا يعلمه الا الله تعالى الثاني انه تعالى قال لهم ما يشاؤون عند ربهم وقوله لهم ما يشاؤون يدخل في باب غير المتناهي لانه لا درجة الا والانسان يريد ما هو اعلى منها الثالث انه تعالى قال ذلك هو الفضل الكبير والذي يحكم بكبره من له الكبرياء والعظمة على الاطلاق كان في غاية الكبر الرابع انه تعالى اعاد البشارة على سبيل التعظيم فقال ذلك الذي يبشر الله عباده وذلك ايضا يدل على غاية العظمة نسأل الله الفوز بها والوصول اليها واعلم انه تعالى لما اوحى الى محمد

وجدان صح

ملكه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب الشريف العالي واودع فيه من الدلائل واصناف الدلائل ورتب على الطاعة الثواب وعلى المعصية العقاب بين اني لا اطلب منكم بسبب هذا التبليغ نفعا عاجلا ومطلوبا حاضرا لئلا يتخيل جاهل ان مقصود محمد صلى الله عليه وسلم من هذا التبليغ المال والجاه فقال قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وفيه مسائل

المسله الاولى

ذكر الناس في هذه الآية ثلاثة اقوال الاول قال الشعبي اكثر الناس علينا في هذه الآية فكتبنا الى ابن عباس نسأله عن ذلك فكتب ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم الا وقد ولده فقال الله قل لا اسألكم عليه على ما ادعوكم اليه اجرا الا ان تودوني لقرابتي منكم والمعنى انكم قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي والقول الثاني روى الكلبي عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس في يده سعة فقالت الانصار ان هذا الرجل قد هداكم وهو ابن اختكم وجاركم في بلدكم فاجمعوا له طائفة من اموالكم ففعلوا ثم اتوه بها فردها عليهم ونزل قوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى اي على الايمان الا ان تودوا اقاربي وتحثهم على مودة اقاربي القول الثالث ما ذكره الحسن قال الا ان تودوا الى الله فيما يقربكم اليه من العمل الصالح فالقربى على القول الاول القرابة التي هي بمعنى الرحم وعلى القول الثاني القرابة التي بمعنى الاقارب وعلى الثالث هي فعلى من القرب والتقرب

فان قيل الآية مشكلة وذلك لان طلب الاجر على تبليغ
الوحي لا يجوز ويدل عليه وجوه الاول انه تعالى
حكى عن اكثر الانبياء انهم صرحوا بنفي الاجر
فذكر في قصة نوح عليه السلام وما اسئلكم عليه من
اجر ان اجري الا على رب العالمين وكذا في قصة هود
وصالح وفي قصة لوط وشعيب عليهم السلام ورسولنا
افضل من سائر الانبياء عليهم السلام فكان بان
لا يطلب الاجر على النبوة والرسالة اولى ¤ والثاني
انه صلى الله عليه وسلم صرح بنفي طلب الاجر في سائر الايات
فقال قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين
وقال قل ما سألتكم من اجر فهو لكم والثالث
ان العقل يدل عليه وذلك لان ذلك التبليغ كان واجبا
عليه قال تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل
فما بلغت رسالته وطلب الاجر على اداء الواجب لا يليق
باقل الناس فضلا عن اعلم العلماء ¤ والرابع ان النبوة
افضل من الحكمة وقد قال تعالى في صفة الحكمة ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال في صفة الدنيا
قل متاع الدنيا قليل فكيف يحسن في العقل مقابلة اشرف
الاشياء باخس الاشياء ¤ والخامس ان طلب الاجر
كان يوجب التهمة وذلك ينافي القطع بصحة النبوة فثبت
بهذه الوجوه انه لا يجوز من النبي صلى الله عليه وسلم ان يطلب
اجرا البتة على التبليغ والرسالة وهو المودة في القربى
هذا تقرير السؤال والجواب عنه انه لا نزاع في انه

لا

لا يجوز طلب الاجر على التبليغ والرسالة بقي قوله الا المودة في
القربى فنقول الجواب عنه من وجهين الاول
ان هذا من باب قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن من
قراع الدارعين فلول ¤ يعني انا لا اطلب منكم
الا هذا وهذا في الحقيقة ليس اجرا لان حصول المودة بين المسلمين
امر واجب قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون
كالبنيان يشد بعضه بعضا والآيات والاخبار في هذا
الباب كثيرة واذا كان حصول المودة بين جمهور المسلمين
واجبا فحصولها في حق اشرف المسلمين واكابرهم اولى وقوله تعالى
قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى تقديره والمودة
في القربى ليست اجرا فرجع الحاصل الى انه لا اجر البتة ¤
والوجه الثاني في الجواب ان هذا استثناء منقطع وتم
الكلام عند قوله قل لا اسئلكم عليه اجرا ثم قال الا المودة في
القربى اي اذكركم قرابتي منكم وكانه في اللفظ اجر وليس
باجر ¤ المسئلة الثانية نقل صاحب الكشاف عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من مات على حب آل محمد مات شهيدا الا
ومن مات على حب آل محمد مات تائبا الا ومن مات على حب آل
محمد زف الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة
والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات
على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة هذا هو الذي رواه
صاحب الكشاف واقول آل محمد هم الذين يؤول امرهم اليه

اشد واكمل كانوا هم الآل وايضا اختلف الناس في الآل
فقيل هم الاقارب وقيل هم امته فان حملناه على القرابة فهم الآل وان
حملناه على الامة الذين قبلوا دعوته فهم ايضا آل فثبت ان على
جميع التقديرات هم آل محمد صلى الله عليه وسلم واما غيرهم
فهم ايضا آل فثبت ان على جميع التقديرات هم آل فهل يدخلون
تحت لفظ الآل فمختلف فيه فثبت على جميع التقديرات انهم
آل محمد صلى الله عليه وسلم وروى صاحب الكشاف انه لما نزلت
هذه الآية قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت
علينا مودتهم فقال فاطمة وزوجها وابناها فثبت ان هؤلاء
الاربعة اقارب النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يحب فاطمة وقال صلى الله عليه وسلم فاطمة
بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها وثبت بالنقل المتواتر عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحب عليا والحسن والحسين
واذا ثبت ذلك وجب على الامة مثله لقوله تعالى واتبعوه
لعلكم تهتدون ولقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره
ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ولقوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولقوله تعالى لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة الثالث ان الدعا
للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعا خاتمة التشهد في
الصلوات وهو قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم
محمدا وآل محمد وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل فكل
ذلك يدل على ان حب آل محمد واجب وقال الشافعي رضي الله عنه

فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان في مثل هذه الحالة
والمقصود من ذكر هذا الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد ومثاله
ان ينسب رجل بعض الامناء الى الخيانة فيقول الامين ذلك
لعل الله خذلني لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان
وعمى القلب لنفسه وانما يريد استبعاد صدور الخيانة عنه
ثم قال ويمح الله الباطل ويحق الحق اي ومن عادة الله ابطال
الباطل وتقرير الحق ولو كان محمد مبطلا كذابا لفضحه ولكشف عن
باطله ولما ايده بالقوة والنصرة ولما لم يكن الامر كذلك علمنا انه
ليس من الكاذبين المفترين على الله ويجوز ان يكون هذا وعدا من الله
لرسوله بانه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب
ويثبت الحق الذي كان محمد صلى الله عليه وسلم عليه ثم قال ان
الله عليم بذات الصدور اي بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك
وعن قتادة يختم على قلبك ينسيك القرآن ويقطع عنك الوحي
يعني لو افترى على الله الكذب لفعل الله به ذلك والله اعلم تعالى
لما قال ام يقولون افترى على الله كذبا ثم برأ رسوله مما
اضافوه اليه وكان من المعلوم انهم قد استحقوا بهذه الفرية
عقابا عظيما لا جرم ندبهم الله سبحانه وتعالى الى التوبة
وعرفهم انه يقبلها من كل مسيء وان عظمت اساءته
فقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات
وفي هذه الآية مسائل المسألة الاولى قال صاحب الكشاف
يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته
منه وجعلته مبدأ القبول ومنشأه ومعنى قبلته عنه
عزلته عنه وابنته عنه وقد سبق البحث المستقصى عن حقيقة
التوبة في سورة البقرة واقل ما لا بد منه الندم على الماضي

والترك في الحال والعزم على ان لا يعود اليه في المستقبل روي
جابر ان اعرابيا دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني
استغفرك واتوب اليك وكبّر فلما فرغ من صلاته قال
له علي عليه السلام يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين قال
يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة اشيا
على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة
ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية
واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية
والبكاء بدل كل ضحك ضحكته **المسألة الثانية** قالت
المعتزلة يجب على الله تعالى عقلا قبول التوبة وقال
اصحابنا لا يجب على الله شيء وكل ما يفعله فانما يفعله
بالكرم والفضل واحتجوا على صحة مذهبهم بهذه الاية
وقالوا انه تعالى تمدح بقبول التوبة ولو كان ذلك القبول
واجبا لما حصل التمدح العظيم الا ترى ان من مدح
نفسه بان لا يضرب الناس ظلما ولا يقتلهم غصبا كان ذلك
مدحا وثنا **المسألة الثالثة** قوله تعالى ويعفوا عن
السيئات اما ان يكون المراد منه ان يعفو عن الكبائر بعد الاتيان
بالتوبة او المراد انه يعفو عن الصغائر او المراد يعفو عن
الكبائر قبل التوبة والاول باطل والا لصار قوله
ويعفوا عن السيئات عين قوله وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده والتكرار خلاف الاصل والثاني ايضا
باطل لان ذلك واجب واداء الواجب لا يتمدح به فبقي القسم
الثالث فيكون المعنى انه يعفو بواسطة قبول التوبة

ذنابة

الاستغفار توبة

بها ذكا فقف بالمحصّب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا اذا فاض الحجيج الى منى فيضا كملتطم الفرات الفائض
ان كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان اني رافضي
المسألة الثالثة قوله الا المودة في القربى فيه منصب
عظيم للصحابة لانه تعالى قال والسابقون السابقون
اولئك المقربون فكل من اطاع الله كان مقربا عند الله تعالى
فدخل تحت قوله الا المودة في القربى والحاصل ان هذه الاية
تدل على وجوب حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب آله
وحب اصحابه وهذا المنصب لا يسلم الا على قول اصحابنا
اهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العترة والصحابة
وسمعت بعض المذكورين قال انه صلى الله عليه وسلم
قال مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا وقال اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ونحن الان في بحر التكليف
تضربنا امواج الشبهات والشهوات وراكب البحر يحتاج
الى امرين احدهما السفينة الخالية من العيوب والثقب
والثاني الكواكب الظاهرة الطالعة النيرة فاذا ركب تلك
السفينة ووقع نظره على تلك الكواكب الظاهرة كان رجا
السلامة غالبا فكذلك ركب اصحابنا اهل السنة سفينة حب آل
محمد ووضعوا ابصارهم على نجوم الصحابة رجوا من الله تعالى ان
يفوزوا بالسلامة والسعادة في الدنيا والاخرة ولنرجع الى
التفسير اورد صاحب الكشاف على نفسه سوالا فقال هلا
قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودة
في القربى واجاب عنه بان قال جعلوا مكانا للمودة ومقرا ا

لها الفوائد لذوي آل قرابة مودة . ولي فيهم هوى وحب شديد بريد اهمهم
وهم مكان حي ومحلهم قال تعالى ومن يقترف
حسنة نزد له فيها حسنا قيل نزلت هذه الاية في ابي بكر
رضي الله عنه والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما
ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل ذلك على ان المقصود
التاكيد في تلك المودة ثم قال تعالى ان الله غفور شكور
والشكور في حق الله مجاز والمعنى انه تعالى يحسن الى
المطيعين في ايصال الثواب اليهم وفي ان يزيد عليه انواعا
كثيرة من التفضيل ثم قال تعالى ام يقولون افترى
على الله كذبا واعلم ان الكلام في اول هذه السورة
انما ابتدا في تقرير ان هذا الكتاب انما حصل بوحي الله وهو قوله تعالى
كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم واتصل
الكلام في تقرير هذا المعنى وتعلق البعض بالبعض حتى
وصل الى هاهنا ثم حكى هاهنا شبهة القوم وهي
قولهم ان هذا ليس وحيا من الله تعالى فقال ام يقولون
افترى على الله كذبا قال صاحب الكشاف ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيه التوبيخ ايقع في قلوبهم ويجري في السنتهم
ان ينسبوا مثله الى الافترا على الله الذي هو افحش انواع
الفرية وافحشها ثم اجاب عنه بان قال فان
يشا الله يختم على قلبك وفيه وجوه الاول قال مجاهد
يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يشق عليك قولهم
انه مفتر كذاب الثاني يعني بهذا الكلام انه ان يشا الله
~~يختم على ابصارك~~ يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب

فانه

وتارة يعفو ابتداء من غير توبة ثم قال ويعلم ما يفعلون
قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالتاء على المخاطبة
والباقون بالياء على المغايبة والمعنى انه تعالى يعلمه فيثيب
على حسناته ويعاقب على سيئاته ثم قال ويستجيب
الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وفيه
قولان احدهما الذين امنوا رفع على انه فاعل بمعنى
ويجيب المومنين الله ويعدي ويستجيب للمومنين الا انه
حذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم وهذا
القول اولى لان الخبر فيما قبل وبعد عن الله تعالى لا عن ما
قبل الاية قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن
عباده ويعفو عن السيئات وما بعدها قوله ويزيدهم
من فضله يريد عطف على ويستجيب وعلى الاول يجيب
العبد ويزيد الله من فضله يريد عطف على ويستجيب وعلى الاول
يجيب العبد ويزيد الله من فضله اما من قال ان الفعل
للذين امنوا ففيه وجهان احدهما يجيب المومنون
فيما دعاهم الله والثاني يطيعونه فيما امرهم به والا
سبحانه الطاعة واما من قال ان الفعل لله ففيه احتمالان
يقبل يجيب الله دعا المومنين ويزيدهم من فضله فان قالوا
يخصص المومنين باجابة الدعا فهل يدل على ان الله تعالى
لا يجيب دعا الكافر قلنا قال بعضهم لا يجوز لان اجابة
الدعا تعظيم وذلك لا يليق بالكافر وقيل يجوز على بعض
الوجوه وفائدة التخصيص ان دعا المومنين يكون على سبيل

الاحسانه

الاستدراج ثم قال تعالى ويزيدهم من فضله اي يزيدهم
على ما طلبوا بالدعاء والكافرون لهم عذاب شديد والمقصود
التهديد **قوله تعالى** ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا
في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير وهو الذي
ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ومن
اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على
جمعهم اذا يشاء قدير وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا
عن كثير وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير في الاية مسائل **المسئلة الاولى**
اعلم انه تعالى لما قال في الاية الاولى انه يجيب دعاء المؤمنين
ورد عليه سؤال وهو ان المؤمن قد يكون في شدة وبلية وفقر
ثم يدعو فلا يشاهد اثر الاجابة فكيف الحال فيه مع ما تقدم
من قوله ويستجيب الذين امنوا فاجاب تعالى عنه بقوله
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولاقدموا
على المعاصي ولما كان ذلك محذورا وجب ان لا يعطيهم ما طلبوه
قال الجبائي هذه الاية تدل على قول المجبرة من وجهين
الاول ان حاصل الكلام انه تعالى لو بسط الرزق لبغوا
في الارض والبغي في الارض غير مراد فارادة بسط الرزق
غير حاصلة فهذا الكلام انما يتم اذا قلنا انه تعالى لا يريد البغي
في الارض وذلك يوجب فساد قول المجبرة الثاني انه تعالى
انما لم يرد بسط الرزق لانه يفضي الى المفسدة فلما بين انه
لا يريد ما يفضي الى المفسدة فبان لا يكون مريدا للمفسدة كان اولى

الجواب اصحابنا بان الميل الشديد الى البغي والقسوة والقهر صفة
حدثت بعد ان لم تكن فلا بد لها من فاعل وعلى هذا الاحوال اما العبد
او الله والاول باطل لانه انما يفعل هذه الاشياء لو مال طبعه اليها
فيعود السؤال في انه من المحدث لذلك الميل الثاني ويلزم التسلسل
وايضا فالميل الشديد ان الظلم والقسوة عيوب ونقصانات والعاقل
لا يرضى بتحصيل موجبات النقصان لنفسه ولما بطل هذا ثبت ان محدث
هذا الميل هو الله تعالى ثم اورد الجبائي في تفسيره على نفسه
سؤالا قال فان قيل اليس قد بسط الله الرزق لبعض
عباده مع انه بغى واجاب عنه بان الذي عنده الرزق
بغى كان المعلوم من حاله انه يبغي على كل حال سواء اعطي ذلك الرزق
او لم يعط واقول هذا الجواب فاسد ويدل عليه القران
والعقل اما القران فقوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه
استغنى حكم مطلقا بان حصول الغنى سبب لحصول الطغيان واما
العقل فهو ان النفس اذا كانت مائلة الى الشر لكنها فقدت
ان وجدان المال يوجب الطغيان **المسئلة الثانية** في بيان الوجه
الذي لاجله كان التوسع موجبا للطغيان ذكروا فيه وجوها
الاول ان الله تعالى لو سوى في الرزق بين الكل لامتنع
كون البعض محتاجا للبعض ولو صار الامر كذلك لخرب العالم
وتعطلت المصالح الثاني ان هذه الاية مختصة بالعرب
فانهم كلما اتسع رزقهم ووجدوا من المطر ما يرويهم
من الكلا والعشب ما يشبعهم اقدموا على النهب والغارة
الثالث ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى
والقدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهو التكبر

واذا وقع في شدة وبلية ومكروه انكسر فعاد الى التواضع
والطاعة **المسألة الثانية** قال خباب بن الارت
فينا نزلت هذه الاية وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة
والنضير وبني قينقاع فتمنيناها وقيل نزلت في اهل
الصفة تمنوا سعة الرزق والغنا ثم قال تعالى ولكن
ينزل بقدر ما يشاء قرا ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتشديد والباقون
مخففة قال صاحب الكشاف قرئ قنطوا بفتح النون
وكسرها واعلم ان انزال الغيث بعد القنوط ادعى الى الشكر
لان الفرح بحصول النعمة بعد البلية اتم فكان اقدام
صاحبه على الشكر اكثر وينشر رحمته اي بركات
الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن
عمر رضي الله عنه انه قيل اشتد القحط وقنط الناس فقال
وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا اذن اراد بهذه
الاية ويجوز ان يريد رحمته الواسعة في كل شيء كأنه
قيل ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر سائر انواع الرحمة
وهو الولي الحميد الولي الذي يتولى عباده باحسانه
الحميد المحمود على ما يوصل الى الخلق من انواع الرحمة ثم
ذكر آية اخرى تدل على الهيته فقال ومن آياته خلق
السموات والارض وما بث فيهما من دابة فنقول اما
دلالة خلق السموات والارض على وجود الاله الحكيم فقد
ذكرناها وكذلك دلالة وجود الحيوانات على وجود
الاله الحكيم فان قيل كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة
قلنا فيه وجوه الاول انه قد يضاف الفعل الى جماعة

وان

وان كان فاعله واحدا منهم يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله
واحد منهم ومنه قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الثاني
ان الدبيب هو الحركة والملائكة لهم حركة الثالث
لا يبعد ان يقال انه تعالى خلق في السموات انواعا من الحيوانات
يمشون مشي الاناسي على الارض ثم قال تعالى وهو على
جمعهم اذا يشاء قدير قال صاحب الكشاف اذا تدخل على
المضارع كما تدخل على الماضي قال تعالى والليل اذا يغشى
ومنه اذا يشاء قدير والمقصود انه تعالى خلقها متفرقة
لا لعجز ولكن لمصلحة فلهذا قال وهو على جمعهم اذا يشاء
قدير يعني الجمع للحشر والمحاسبة وانما قال تعالى وهو على
جمعهم جمع العقلا اذا يشاء قدير واحتج الجبائي
بقوله اذا يشاء قدير على ان مشيئته تعالى محدثة قال
ان كلمة اذا تفيد ظرف الزمان وكلمة يشاء صيغة المستقبل
فلو كانت مشيئته تعالى قديمة لم يكن لتخصيصها بذلك الوقت
المعين المستقبل فائدة ولما دل قوله اذا يشاء على هذا
التخصيص علمنا ان مشيئته تعالى محدثة والجواب ان
هاتين الكلمتين كما دخلتا على المشيئة فقد دخلتا على
لفظ القدير فيلزم على هذا ان يكون كونه قادرا صفة محدثة
ولما كان هذا باطلا فكذا القول فيما ذكرتم والله اعلم ○
ثم قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم وفي الاية مسائل **المسألة الاولى**
قرا نافع وابن عامر بما كسبت بغير فا وكذلك هي في مصاحف الشام

والمدينة والمأمون بالقاء وكذلك هي في مصاحفهم وتقدير الاول ان ما مبتدا بمعنى الذي وبما كسبت خبره والمعنى الذي اصابكم وقع بما كسبت ايديكم وتقديره الثاني تضمن كلمة ما معنى الشرط

المصائب م

المسئلة الثانية المراد بهذه الاحوال المكروهة نحو الالام والاسقام والقحط والغرق والصواعق واشباهها فاختلفوا في انها هل هي عقوبات على ذنوب سلفت ام لا منهم من انكر ذلك لوجوه الاول قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت بين تعالى ان الجزا انما يحصل يوم القيمة وقال تعالى في سورة الفاتحة مالك يوم الدين اي يوم الجزا واطبقوا على ان المراد منه يوم القيمة والثاني ان مصائب الدنيا يشترك فيها الزنديق والصديق وما يكون كذلك امتنع جعله من باب العقوبة على الذنوب بل الاستقرا يدل على ان حصول هذه المصائب للصالحين والمتقين اكثر منه للمذنبين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم خص البلا بالانبيا ثم الاوليا ثم الامثل فالامثل

م الامثل

الثالث ان الدنيا دار التكليف فلو حصل الجزا فيها لكانت الدنيا دار التكليف ودار الجزا معا وهو محال وأما القائلون بان هذه المصائب تكون اجزية على الذنوب المتقدمة فقد تمسكوا بهذه الاية وتمسكوا ايضا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يصيب ابن ادم خدش عود ولا غيره الا بذنب لفظ هذا معناه وتمسكوا ايضا بقوله تعالى بعد هذه الاية

او يوبقهن بما كسبوا وذلك تصريح بان ذلك الاهلاك بسبب كسبهم واجاب الاولون عن التمسك بهذه الاية فقالوا ان حصول هذه المصائب يكون من باب الامتحان في التكليف لا من باب العقوبة كما في حق الانبيا والاوليا ويحمل قوله فبما كسبت ايديكم على ان الاصلح عند اتيانكم بذلك الكسب انزال هذه المصائب عليكم وهذا الجواب عن بقية الدلائل والله اعلم

المسئلة الثالثة

احتج اهل التناسخ بهذه الاية على ان حصول المصائب لا يكون الا بسابقة الجرم ثم ان اهل التناسخ قالوا ان هذه المصائب حاصلة للاطفال والبهائم وليس لها جرم لوا فوجب ان هذه الاطفال والبهائم كانت موجودة في بدن اخر لفساد القول بالتناسخ يوجب القطع بانها لا نسلم ان الالم مصيبة والجواب ان قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم خطاب مع من يفهم ويعقل فلا يدخل فيه البهائم والاطفال ولم يقل تعالى ان جميع ما يصيب الحيوان من المكاره فانه بسبب ذنب سابق

المسئلة الرابعة

قوله تعالى فبما كسبت ايديكم يقتضي اضافة الكسب الى اليد والكسب لا يكون الا بالقدرة القائمة باليد فهذا يقتضي من اضافة الكسب الى اليد والكسب لا يجوز الا باليد الا ان المراد من لفظ اليد ههنا القدرة واذا كان هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تعالى عن الاعضاء والاجزاء والله اعلم ثم قال تعالى ويعفو عن كثير ومعناه انه تعالى

بالله

فلا ينزل الحمى من من الله بذات تفضله ورحمته عن
الحسن قال دخل على عمران بن حصين في الوجع الشديد
فقيل له انا لنغتم لك من بعض ما نرى فقال لا تفعلوا
فوالله ان احبه الى احبه الى وقرا وما اصابكم من
مصيبة فبما كسبت ايديكم فهذا بما كسبت يداي
وما بقي يعفو لي وقد روى ابو سخيلة عن علي بن
ابي طالب عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية
وقال ما عفا الله عنه فهو اعز واكرم من ان يعود اليه
في الاخرة وما عاقب عليه في الدنيا فالله اكرم من ان
يعيد العذاب عليه في الاخرة رواه الواحدي في البسيط
وقال اذا كان كذلك فهذه ارجى اية في كتاب الله لان
الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنف كفره عنهم بالمصائب
وصنف عفا عنه في الدنيا وهو كريم لا يرجع
في عفوه فهذه سنة الله مع المؤمنين واما الكافر
فلانه لا تعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم
القيمة ثم قال تعالى وما انتم بمعجزين في الارض
اي لا تعجزون حيث ما كنتم فلا تسبقوني يستمهلكم
في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
والمراد منه من يعبد الاصنام بين انه لا فائدة فيها
البتة والنصير هو الله تعالى فلا جرم هو الذي يحسن
عبادته **قوله تعالى** ومن اياته الجوار
في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن
رواكد على ظهره ان في ذلك لايات لكل صبار شكور

الله ؟

او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في اياتنا
ما لهم من محيص فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها
وما عند الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون
والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما
غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم واقاموا
الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون
والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون في الاية
مسائل قرا نافع وابو عمرو الجواري بياء في الوصل ولما
الوقف فاثباتها على الاصل وحذفها للتخفيف
المسئلة الاولى اعلم انه تعالى ذكر من اياته اصنافه
السفن العظيمة التي تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح
واعلم ان المقصود من ذلك امران احدهما ان يستدل
به على وجود القادر الحكيم والثاني ان يعرف ما فيه
من النعم العظيمة لله تعالى على العباد اما الوجه الاول
فقد اتفقوا على ان المراد بالاعلام الجبال قالت
الخنساء في مرثية اخيها
وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم في راسه نار
المسئلة الثانية نقل ان النبي صلى الله عليه وسلم استنشد
قصيدتها هذه فلما وصل الراوي هذا البيت قال قاتلها الله
ما رضيت تشبيهه بالجبل حتى جعلت على راسه نارا
اما عرفت هذا فنقول هذه السفن العظيمة التي تكون
كالجبال تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح على اسرع
الوجوه وعند سكون هذه الرياح تقف وقد بينا بالدليل

في سورة النحل ان محرك الرياح ومسكنها هو الله تعالى
اذ لا يقدر واحد على تحريكها من البشر ولا على تسكينها وذلك
يدل على وجود الاله القادر وايضا ان تلك السفينة تكون في
غاية الثقل ثم انها مع ثقلها تبقى على وجه الماء وهو ايضا
دلالة اخرى والوجه الثاني وهو ما فيها من المنافع
هو انه تعالى خص كل جانب من جوانب الارض بنوع من
الامتعة واذا نقل متاع هذا الجانب الى ذلك الجانب
في السفن وبالعكس حصلت المنافع العظيمة في التجارة
فلهذه الاسباب ذكر الله تعالى حال هذه السفينة
ثم قال تعالى ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد
على ظهره قرأ ابو عمرو والجمهور يسكن بسكون
الهمزة علامة للجزم وعن ورش عن نافع بلا همز
وقرأ نافع وحده يسكن الرياح على الجمع والباقون
الريح على الواحد قال صاحب الكشاف قرئ فيظللن
بفتح اللام وكسرها من ظل يظل وظل وقوله تعالى
رواكد اي ثوابت على ظهره لا تجري على ظهر البحر ان في
ذلك لآيات لكل صبار شكور صبار على بلاء الله شكور على نعمائه
والمقصود التنبيه على ان المؤمن يجب ان لا يكون غافلا
عن دلائل معرفة الله البتة لانه لا بد وان يكون في البلاء
والنعماء فان كان في البلاء كان من الشاكرين وعلى
هذا التقدير فانه لا يكون البتة من الغافلين ثم قال تعالى
او يوبقهن بما كسبوا اي او يهلكهن يقال اوبقه اي اهلكه
ويقال للمجرم اوبقته ذنوبه اي اهلكته والمعنى

انه تعالى

لنعمائه

انه تعالى ان شاء ابتلى المسافرين في البحر باحدى بليتين اما
ان يسكن الريح فتركد الجواري على متن البحر وتقف
واما ان يرسل الريح عاصفة فيهلكهن بسبب
الاغراق وعلى هذا التقدير فقوله او يوبقهن معطوف على
قوله يسكن لان التقدير ان يشأ يسكن الريح
فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها وقوله ويعف
عن كثير معناه ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق
العفو عنهم فان قيل فما معنى ادخال العفو في حكم الايباق
حيث جعل مجزوما مثله قلنا معناه ان يشأ يهلك
ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم واما من قرأ ويعفو فقد
استأنف الكلام ثم قال ويعلم الذين يجادلون في
آياتنا ما لهم من محيص قرأ نافع وابن عامر ويعلم بالرفع
على الاستئناف وقرأ الباقون بالنصب فالقراءة بالرفع
على الاستئناف واما بالنصب فالعطف على تعليل
محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون
والعطف
على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى
ولنجعله آية للناس وقوله خلق السموات والارض
بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت قال صاحب الكشاف
ومن قرأ على جزم ويعلم فكأنه قال او ان يشأ يجمع بين ثلاثة
امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين
اذا عرفت هذا فنقول معنى الاية وليعلم الذين
يجادلون اي ينازعون على وجه التكذيب انه لا خلاص لهم
اذا وقفت السفن واذا عصفت الرياح فيصير ذلك

سببا لاعترافهم بان الاله النافع الضار ليس الا الله واعلم
انه لما ذكر دلائل التوحيد اردفها بالتنفير عن الدنيا
وتحقير شانها لان الذي يمنع من قبول الدليل انما هو الرغبة
في الدنيا بسبب الرياسة وطلب الجاه فاذا احقرت
الدنيا في عين الرجل لم يلتفت اليها فحينئذ ينتفع
بهذه الدلائل فقال وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة
الدنيا وسماه متاعا تنبيها على قلته وحقارته ولان
الحس شاهد بتسميتها بالمتاع ونبه على تواضعها
بان جعلها من الدنيا واما الاخرة فانها خير وابقى
وصريح العقل يقتضي ترجيح الخير على الخسيس ثم
بين ان هذه الخيرية انما تحصل لمن كان موصوفا
بالصفات الصفة الاولى ان يكون من المومنين بدليل
قوله وعلى ربهم يتوكلون فمن زعم ان الطاعة
توجب الثواب فهو متكل على عمل نفسه لا على الله
الصفة الثانية ان يكونوا مجتنبين
كبائر الاثم والفواحش عن ابن عباس كبير الاثم
هو الشرك نقله صاحب الكشاف وهو عندي بعيد لان
شرط الايمان مذكورا اولا وهو يغني عن عدم الشرك وقيل
المراد بكبائر الاثم ما يتعلق بالبدع واستخراج الشبهات
وبالفواحش ما يتعلق بالقوة الشهوانية وقوله واذا ما
غضبوا هم يغفرون ما يتعلق بالقوة الغضبية وانما خص
الغضب بلفظ الغفران لان الغضب على طبع النار
واستيلاوه شديد ومقاومته صعبة فلهذا السبب

حصة

حصة بهذا اللفظ والله اعلم الصفة الرابعة
قوله تعالى والذين استجابوا لربهم والمراد منه تمام الانقياد
فان قيل اوليس انه لما جعل الايمان فيه شرطا فقد دخل في
الايمان اجابة الله قلنا الاقرب عندي ان يحمل هذا على الرضا
بقضاء الله من صميم القلب وان لا يكون في قلبه منازعة في
امر من الامور ولما ذكر هذا الشرط قال واقاموا الصلوة
والمراد منه اقامة الصلوات الواجبة لان هذا هو الشرط
في حصول الثواب واما قوله تعالى وامرهم شورى بينهم فقيل
لانه اذا وقعت بينهم واقعة اجتمعوا وتشاوروا
واثنى الله عليهم اي لا ينفردون برأي بل ما لم يجتمعوا عليه لا يقدمون
عليه ما تشاوروا قوم الا هدوا لارشد امرهم والشورى
مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله وامرهم
شورى الصفة الخامسة قوله تعالى والذين
اذا اصابهم البغي هم ينتصرون والمعنى ان يقتصروا
في الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا
وعن النخعي انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان
يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم السفهاء فان قيل
هذه الاية مشكلة لوجهين الاول انه لما ذكر
قبله واذا ما غضبوا هم يغفرون فكيف يليق ان يذكر معه
ما يجري مجرى الضد له وهو قوله والذين اذا اصابهم
البغي هم ينتصرون الثاني وهو انه جميع الايات
دالة على ان العفو احسن قال تعالى وان تعفوا اقرب
للتقوى وقال واذا مروا باللغو مروا كراما وقال

خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال وإن
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
هذه الآية تناقض مدلول الآية والجواب أن العفو
على قسمين أحدهما أن يصير العفو سببًا لتسكين الفتنة وجناية
الجاني ورجوعه عن جنايته والثاني أن يصير العفو سببًا
لمزيد جراءة الجاني وقوة غيظه وغضبه والآيات في العفو
محمول في القسم الأول وهذه الآية محمولة على القسم الثاني
وحينئذ يزول التناقض والله أعلم محمولة على القسم الثاني الا
نرى أن العفو عن المصر يكون كالإغراء له ولغيره فلو أن رجلا
وجد عبده قد فجر بجاريته وهو مصر فلو عفا عنه كان مذمومًا
وروي أن زينب أقبلت على عائشة تشتمها فنهاها النبي
صلى الله عليه وسلم عنها فلم تنته فقال صلى الله عليه وسلم
سبيها وأيضًا أنه تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين أنه مشروع
فقط ثم بين أن شرعه مشروط برعاية المماثلة ثم بين أن العفو
أولى بقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله فزال السؤال ٥
قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح
فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك
ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون
في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر
إن ذلك لمن عزم الأمور ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى
الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل وتراهم يعرضون
عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال
الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة

ألا إن الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء
ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل ٥
اعلم أنه تعالى لما قال والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون
أردفه بما يدل على أن ذلك الانتصار يجب أن يكون مقيدًا بالمثل
فإن النقصان حيف والزيادة ظلم والمساوي هو العدل الذي
قامت به السموات والأرض فلهذا السبب قال وجزاء
سيئة سيئة مثلها وفي الآية مسائل **المسألة الأولى** لقائل أن
يقول جزاء السيئة مشروع مأذون فيه فكيف سمي بالسيئة
أجاب صاحب الكشاف عنه كلتا الفعلتين الأولى
وجزاؤها سيئة لأنها تسوء من تنزل به قال تعالى
وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوؤهم
من المصائب والبلايا وأجاب غيره بأنه لما جعل
في مقابلة الأولى أطلق اسم أحدهما على الآخر على سبيل المجاز
والحق ما ذكره صاحب الكشاف ٥ **المسألة الثانية** هذه
الآية أصل كبير في علم الفقه فإن مقتضاها أن تقابل كل جناية
بمثلها وذلك لأن الإهدار يوجب فتح باب الشر والعدوان
لأن في طبع كل أحد الظلم والبغي والعدوان فإذا لم
يزجر عنه أقدم عليه ولم يتركه وأما الزيادة على قدر
الذنب فهو ظلم والشرع منزه عنه فلم يبق إلا أن يقابل بالمثل
ثم تأكد هذا النص بنصوص أخرى كقوله تعالى وإن عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقوله تعالى من عمل سيئة
فلا يجزى إلا مثلها وقوله عز وعلا والجروح قصاص
وقوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى والقصاص

عبارة عن المساواة والمماثلة وقوله تعالى ولكم في القصاص حياة
هذه النصوص بأسرها تقتضي مقابلة الشيء بمثله ثم ههنا
دقيقة وهي أنه إذا لم يمكن استيفاء الحق إلا باستيفاء الزيادة
فههنا وقع التعارض بين إلحاق زيادة الضرر بالجاني
وبين منع المجني عليه من استيفاء حقه فأيهما أولى فههنا
محل اجتهاد المجتهدين ويختلف ذلك باختلاف الصور
ويتفرع على هذا الأصل بعض المسائل تنبيها على الباقي
المسألة الأولى احتج الشافعي رضي الله عنه على أن المسلم
لا يقتل بالذمي وأن الحر لا يقتل بالعبد بأن قال
المماثلة شرط لجريان القصاص وهي مفقودة في هاتين
المسألتين فوجب أن لا يجري القصاص بينهما أما بيان
المماثلة شرط لجريان القصاص فهي النصوص المذكورة وكيفية
الاستدلال بها أن نقول إما أن نحمل المماثلة المذكورة في
هذه النصوص على المماثلة في كل الأمور إلا ما خصه الدليل
أو نحملها على المماثلة في أمر معين والثاني مرجوح لأن ذلك
الأمر المعين غير مذكور في الآية فلو حملنا الآية عليها لزم
الإجمال ولو حملنا النص على القسم الأول لزم تحمل التخصيص
ومعلوم أن دفع الإجمال أولى من دفع التخصيص فثبت أن
الآية تقتضي رعاية المماثلة في كل الأمور إلا ما خصه دليل
العقل ودليله عنه تعالى منفصل وإذا ثبت هذا فنقول
رعاية المماثلة في قتل المسلم بالذمي وفي قتل الحر بالعبد لأن
الإسلام اعتبره الشرع في إحداث العمل لتحصيله عند عدمه كما في
حق الكافر الأصلي ولإبقائه عند وجوده كما في حق المرتد وأيضا

الحرمة

٧٢

الحرمة صفة اعتبرها الشرع في حق القضاء والإمامة
والشهادة فثبت أن المماثلة شرط لجريان القصاص
وهي مفقودة ههنا فوجب المنع من القصاص المسألة
الثانية احتج الشافعي رضي الله عنه في أن الأيدي تقطع باليد الواحدة
فقال لا شك أنه صدر كل القطع أو بعضه عن كل واحد
من القاطعين أو عن بعضهم فوجب أن يشرع في حق أولئك القاطعين
مثله لهذه النصوص وكل من قال يشرع القطع إما كله
أو بعضه في حق كلهم أو بعضهم قال بالجناية على الكل بقي أن يقال
فيلزم منه استيفاء الزيادة من الجاني وهو ممنوع قلنا لا
إنا لو لم نقل بها وقع التعارض بين جانب الجاني وبين
جانب المجني عليه كان جانب المجني عليه بالرعاية أولى
المسألة الثالثة شريك الأب يشرع في حقه القصاص
والدليل عليه أنه صدر عنه الجرح فوجب أن يقابل بمثله
لقوله تعالى والجروح قصاص وإذا ثبت هذا ثبت تمام
القصاص لأنه لا قائل بالفرق المسألة الرابعة
قال الشافعي رحمه الله من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه
والدليل عليه هذه النصوص الدالة على مقابلة كل شيء بمثله
المسألة الخامسة شهود القصاص إذا رجعوا وقالوا
تعمدنا الكذب يلزمهم القصاص لأنهم بتلك الشهادة أهدروا دمه
فوجب أن يهدر دمهم لهذا لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة
مثلها المسألة السادسة قال الشافعي رضي الله عنه
المكره يجب عليه القود لأنه صدر عنه القتل ظلما فوجب مثله
أما أنه صدر عنه القتل فالحس يدل عليه وأما أنه قتل ظلما

ولان المسلمين اجمعوا على انه مكلف من قبل الله تعالى بان لا يفعل واجمعوا
على انه لا يستحق بالاثم العظيم والعقاب الشديد واذا ثبت هذا وجب
ان يقابل بمثله لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها المثال
السابع قال الشافعي رضي الله عنه يقتل بالمثقل يوجب القود
والدليل عليه ان الجاني ابطل حيوته فوجب ان يتمكن ولي المقتول
من ابطال حيوة القاتل لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
الثامن الحر لا يقتل بالعبد قصاصا ونحن وان ذكرنا هذه
المسئلة في المثال الاول الا انا ذكرناها هاهنا لوجه اخر من البيان
فنقول ان القاتل اتلف على مالك العبد شيئا يساوي
عشرة دنانير مثلا فوجب ان يجب عليه اداء عشرة دنانير لقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها واذا وجب الضمان وجب ان لا
يجب القصاص لانه لا قائل بالفرق المثال التاسع
منافع الغصب مضمونة عند الشافعي رضي الله عنه والدليل عليه ان
الغاصب فوت على المالك منافع تقابل في العرف شيئا فوجب
ان يفوت على الغاصب مثله من المال لقوله تعالى وجزاء سيئة
سيئة مثلها وكل من اوجب تفويت هذا القدر على الغاصب
قال بانه يجب اداؤه الى المغصوب منه المالك العاشر
الحر لا يقتل بالعبد قصاصا لانه لو قتل بالعبد لانه مساو بالحر في
المعاني الموجبة للقصاص لقوله من عمل سيئة فوجب ان يكون
عبد غيره مساويا بالعبد نفسه في المعاني الموجبة للقصاص لقوله من
عمل سيئة فوجب ان يكون عبد غيره مساويا بالعبد نفسه في المعاني
الموجبة للقصاص ولو قتل الحر بعبد غيره لقتل بعبد نفسه بالبيان
الذي ذكرناه ولا يقتل بعبد نفسه فوجب ان لا يقتل بعبد غيره
وعدد ذكرنا هذه الامثلة العشرة في النوع تفريع كثير من مسائل الشريعة

[illegible]

قال في قطع الايدي لا شك انه صدر من كل القطع او بعضه
من كلهم او من بعضهم الا انه لا يمكن استيفاء ذلك الحق الا باستيفاء
الزيادة لان تفويت عشرة من الايدي ازيد من تفويت يد واحدة
فوجب ان يبقى على اصل الحرمة فقال الشافعي رضي الله عنه لو كان
تفويت عشرة من الايدي في مقابلة يد واحدة حراما لكان تفويت
عشرة من النفوس في مقابلة نفس واحدة حراما لان تفويت النفس
تشتمل على تفويت اليد فتفويت عشرة من النفوس في مقابلة النفس
الواحدة يوجب عشرة من الايدي في مقابلة اليد الواحدة فلو كان
تفويت عشرة من الايدي في مقابلة اليد الواحدة حراما
لكان تفويت عشرة من النفوس لاجل النفس الواحدة مشتمل
على الحرام والمشتمل على الحرام حرام وكان يجب ان يحرم قتل
النفوس العشرة في مقابلة النفس الواحدة اجمعنا على
انه لم يحرم علمنا ان ما ذكرتم من استيفاء الزيادة غير
ممنوع شرعا والله اعلم المسئلة الثالثة قد بينا ان قوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها تقتضي وجوب رعاية المماثلة
مطلقا في كل الاحوال الا فيما خصه الدليل والفقهاء
ادخلوا التخصيص فيه في صور كثيرة فتارة بناء على نص اخر
وتارة بناء على القياس ولا شك ان من ادعى التخصيص فعليه
البيان والمكلف يكفيه ان يتمسك بهذا النص في جميع
المطالب قال مجاهد والسدي اذا قال له اخزاه الله
قال له اخزاه الله واذا قذفه قذفا يوجب الحد فليس
له ذلك بل الحد الذي امر الله به ثم قال تعالى فمن عفا
واصلح فاجره على الله ... بالعفو والاصلاح قال تعالى فاذا

الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم فأجره على الله وهو
وعد منه فلا يقاس أمره في التعظيم ثم قال تعالى
إنه لا يحب الظالمين وفيه قولان الأول أن المقصود
منه التنبيه على أن المجني عليه لا يجوز استيفاء الزيادة
من الظالم لأن الظلم فيما وراءه معصوم والانتصار
لا يكاد يؤمن فيه تجاوز التسوية والتعدي
خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية وربما صار
المظلوم عند الإقدام على استيفاء القصاص ظالما
عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيمة نادى مناد
من كان له على الله أجر فليقم قال فيقوم خلق
فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا
عن الظالم ثم أجره مع ذلك لا يحب سببها على أنه
أداه ذلا يحبه ومع ذلك فإنه ندب إلى العفو فلو من
الذي هو حبيب الله بسبب إساءته أولى أن يعفو عنه
ثم قال تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه أي ظلم الظالم إياه
وهذا من باب إضافة المصدر إلى المفعول فأولئك
يعني المنتصرين ما عليهم من سبيل لعقوبة ومؤاخذة
لأنهم أتوا بما أبيح لهم من الانتصار واحتج الشافعي
رضي الله عنه بهذه الآية في أن سراية القود مهدرة
فقال الشرع إما أن يقال إنه أذن له في القطع مطلقا
أو بشرط أن لا يحصل منه السريان والثاني باطل
لأن الإقدام على القطع الحد فإذا كان يجوز معلقا بشرط
السريان وهذا الشرط مجهولا وجب أن يبقى ذلك القطع

على الحرمة لأن الأصل فيها هو الحرمة والحل وإنما يحصل معلقا
على شرط مجهول وجب أن يبقى على أصل الحرمة وحيث لم يكن ذلك
علمنا أن الشرع أذن له في القطع كيف كان سواء سرى أو لم
يسر وإذا كان كذلك وجب أن لا يكون السريان مضمونا
لأنه قد انتصر من بعد ظلمه فوجب أن لا يحصل لأحد عليه
سبيل ثم قال إنما السبيل على الذين يظلمون الناس
ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ثم قال تعالى
ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ولمن صبر بأن لا يقتص
وغفر وتجاوز فإن ذلك الصبر والتجاوز من عزم الأمور
يعني إن عزمه على ترك الانتصار لمن عزم الأمور وهذا من
من الجملة وحذف الراجع لأنه مفهوم كما حذف من
قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى أن رجلا سب
رجلا في مجلس الحسن وكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح
العرق ثم قام وتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها
والله وفهمها لما ضيعها الجاهلون ثم قال تعالى
ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده أي فليس له ناصر يتولاه
من بعد خذلانه أي من بعد إضلال الله إياه وهذا
صريح في جواز الإضلال من الله وفي أن الهداية ليست
مقدورة لأحد سوى الله عز وجل قال القاضي المراد ومن
يضلل الله عن الجنة لجنايته فما له من ولي من بعده يحميه
والجواب أن تقييد الإضلال بهذه الصورة المعينة
خلاف الدليل وأيضا فالله تعالى ما أضله عن الجنة عنده
بل هو أضل نفسه عن الجنة ثم قال تعالى وترى الظالمين

لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل والمراد
انهم يطلبون الرجوع الى الدنيا لعظم ما شاهدوا من
العذاب ثم ذكر حالهم عند عرضهم على النار حال كونهم خاشعين
حقيرين مهينين بسبب ما لحقهم من الذل ثم قال من
الذل ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم من تحريك
اجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى الذي يتيقن انه
يقتل فانه ينظر الى السيف ولا يقدر ان يفتح اجفانه عليه
ويملا عينيه منها كما يفعل في نظره الى المحبوبات فان قيل
اليس انه تعالى قال في صفة الكفار انهم يحشرون عميا
فكيف قال هاهنا انهم ينظرون من طرف خفي قلنا
لعلهم يكونون في الابتداء هكذا ثم يصيرون عميا
او لعل هذا في قوم وذاك في قوم آخرين ولما وصف
الله تعالى حال الكفار حكى ما يقوله المؤمنون فيهم
تعالى وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا
انفسهم واهليهم يوم القيامة اما ان يتعلق بخسروا
ويكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا واما ان يتعلق
بقال اي يقولون يوم القيامة اذا راوهم على تلك الصفة
ثم قال الا ان الظالمين في عذاب مقيم اي دائم قال
القاضي وهذا يدل على ان الكافر والفاسق يدوم
عذابهما والجواب ان لفظ الظالم المطلق في القرآن
مخصوص بالكافر قال تعالى والكافرون هم الظالمون
والذي يؤكد هذا انه تعالى قال بعده وما كان لهم
من اولياء ينصرونهم من دون الله والمعنى ان الاصنام

الذ

التي كانوا يعبدونها لاجل ان تشفع لهم عند الله تعالى ما اتوا بتلك
الشفاعة ومعلوم ان هذا لا يليق الا بالكافر ثم قال
ومن يضلل الله فما له من سبيل وهذا يدل على ان الضلال
والهداية من الله تعالى على ما هو قولنا ومذهبنا والله اعلم ○
قوله تعالى استجيبوا لربكم من قبل
ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم
من نكير فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا
البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها
وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان
كفور لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء
يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا
واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير ○ اعلم انه تعالى
لما اطنب في الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود
فقال استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله
وقوله من الله يجوز ان يكون صلة لقوله لا مرد له يعني
لا يرده الله بعدما حكم به ويجوز ان يكون صلة لقوله
ياتي اي من قبل ان ياتي من الله يوم لا يقدر احد على رده
واختلفوا في المراد بذلك اليوم فقيل هو ورود
الموت وقيل يوم القيامة ووصف ذلك اليوم بانه
لا مرد له وهذا الوصف موجود في كلا اليومين ويحتمل
ان يكون معنى قوله لا مرد له انه لا يقبل التقديم ولا
التاخير وان يكون معناه انه لا مرد فيه الى حال التكليف
حتى يحصل فيه التلافي ثم قال تعالى ووصف ذلك

ذلك اليوم ما لكم من ملجأ تلجؤون اليه يوم التخلص من العذاب وما لكم من نكير
اي ما لكم من ينكر ذلك حتى يتغير حالكم بسبب ذلك المنكر ويجوز ان
يكون المراد من النكير الانكار اي لا تقدرون ان تنكروا شيئا مما
اقترفتم من الاعمال. فان اعرضوا اي هؤلاء الذين امرتهم
بالاستجابة ان لم يقبلوا هذا الامر فما ارسلناك عليهم
حفيظا بان تحفظ اعمالهم وتحصيها ان عليك الا البلاغ ليس
لك الا البلاغ وذلك تسلية من الله تعالى للنبي ثم انه تعالى بين
ان السبب في اصرارهم على مذاهبهم الباطلة وذلك انهم
وجدوا في الدنيا سعادة وكرامة والفوز بمطالب الدنيا
يفيد الغرور والفجور والتكبر وعدم الانقياد الى الحق
فقال وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها ونعم الله
في الدنيا وان كانت عظيمة الا انها بالنسبة الى السعادات
المعدة في الاخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر فلذلك سماها
ذوقا فبين تعالى ان الانسان اذا فاز بهذا القدر الحقير
الذي حصل في الدنيا فانه يفرح بها ويعظم غروره بسببها
ويقع في العجب والكبر ويظن انه فاز بكل المنى ووصل الى
اقاصي السعادات وهذه طريقة من يضعف اعتقاده
في سعادات الاخرة وهذه الطريقة مخالفة لطريقة
المؤمن الذي لا يعد نعم الدنيا الا كالوصلة الى نعم
الاخرة ثم انه بين انه متى اصابتهم سيئة اي شيء يسوءهم
في الحال كالمرض والفقر وغيرهما فانه يظهر منه الكفر
وهو معنى قوله ان الانسان كفور والكفور الذي يكون
بالغا في الكفران ولم يقل فانه كفور ليبين ان طبيعة الانسان

يقتضي هذه الحالة الا اذا ادبها الرجل بالاداب التي ارشد الله
اليها ولما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع
ذلك بقوله لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء والمقصود
منه ان لا يغتر الانسان بما ملكه من المال والجاه بل اذا علم
ان الكل ملك الله وملكه وانما حصل ذلك القدر تحت يده لان الله
انعم عليه به فحينئذ يصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة
والخدمة واما اذا اعتقد ان تلك النعم انما تحصل بسبب
عقله وحيله واجتهاده بقي مغرورا بنفسه معرضا عن
طاعة الله تعالى ثم ذكر من اقسام تصرف الله في العالم انه
يخص البعض بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض
بهما والبعض بان يجعله محروما عن الكل وهو المراد من
قوله ويجعل من يشاء عقيما واعلم ان اهل الطبايع
يقولون السبب في حصول الولد صلاح حال النطفة
والرحم وسبب الذكورة استيلاء الحرارة وسبب الانوثة
استيلاء البرودة وقد ذكرنا هذا الفصل بالاستقصاء
في سورة النحل وابطلناه بالدلايل اليقينية وظهر ان الله تعالى
لا من الطبايع والانجم والافلاك وفي الاية سؤالات السؤال
الاول انه قدم الاناث في الذكر على الذكور فقال
يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ثم في الاية الثانية
قدم الذكور على الاناث فقال او يزوجهم ذكرانا واناثا
فما السبب في هذا التقديم والتاخير السؤال الثاني
انه ذكر الاناث على سبيل التنكير فقال يهب لمن يشاء
اناثا وذكر الذكور بلفظ التعريف فقال ويهب لمن يشاء الذكور

قال في إعطاء الصنفين معا أو يزوجهم ذكرانا وإناثا
السؤال الرابع لما كان حصول الولد هبة من الله
فيكفي في عدم حصوله أن لا يهب فأي حاجة في عدم حصوله
إلى أن يقول ويجعل من يشاء عقيما السؤال الخامس
هل المراد من هذا الحكم جمع معينون أو المراد الحكم على
الإنسان المطلق والجواب عن ذلك من وجوه الأول
أن الكريم يسعى في أن يقع الختم على الخير والراحة والسرور والبهجة
فإذا وهب الولد الأنثى أولا ثم أعطى الذكر بعده فكأنه نقله من
الغم إلى الفرح وهذا غاية الكرم أما إذا أعطى الولد أولا
ثم أعطى الأنثى ثانيا فكأنه نقله من الفرح إلى الغم فذكر
تعالى هبة الولد الأنثى أولا وثانيا هبة الولد الذكر
حتى يكون قد نقله من الغم إلى الفرح فيكون ذلك أليق
بالكرم الوجه الثاني أنه إذا أعطى الولد الأنثى
أولا علم أنه لا اعتراض له على الله تعالى فرضي به فإذا
أعطاه الولد الذكر بعد ذلك علم أن هذه الزيادة فضل من
الله عز وجل وإحسان إليه فيزداد شكره وطاعته ويعلم
أن ذلك إنما حصل بمحض الفضل والكرم الوجه
الثالث قال بعض المذكرين الأنثى ضعيفة ناقصة عاجزة
فقدم الله ذكرها تنبيها على أنه لما كانت العجز والحاجة أتم كانت
عناية الله به أكثر الوجه الرابع كأنه قال أيها
المرأة العاجزة الضعيفة إن أباك وأمك يكرهان وجودك
فإن كانا قد كرها وجودك فأنا قدمتك في الذكر ليعلم أن
المحسن الأكرم هو الله تعالى فإذا علمت المرأة ذلك زادت

في الطاعة والخدمة والبعد عن موجبات الطعن والذم فقوله المعايب
هي أنثى لا جرم وقع ذكر الإناث مقدما على ذكر الذكور وأما تقديم
ذكر الذكور بعد ذلك على ذكر الإناث لأن الذكر أكمل وأفضل من
الأنثى والأكمل الأفضل مقدم على الأخس الأرذل والحاصل
إذا نظرنا إلى كونه ذكرا وأنثى يقتضي تقديم ذكر الذكر على ذكر
الأنثى أما العوارض الخارجية التي ذكرناها فقد أوجبت تقديم
ذكر الأنثى على ذكر الذكر فلما حصل المقتضي للتقديم في البابين لا جرم
قدم هذا مرة وقدم ذاك مرة أخرى والله أعلم وأما السؤال
الثاني وهو قوله لم عبر عن الإناث بلفظ التنكير وعن الذكور
بلفظ التعريف فجوابه أن المقصود منه التنبيه على كون
الذكر أفضل من الأنثى وأما السؤال الثالث وهو قوله لم
قال في إعطاء الصنفين أو يزوجهم ذكرانا وإناثا فجوابه أن كل
شيئين يقرن أحدهما بالآخر فهما زوجان فكل واحد منهما يقال
له زوج والكناية في يزوجهم عائدة على الإناث والذكور التي في
الآية الأولى والمعنى يقرن الإناث والذكور فيجعلهم أزواجا
وأما السؤال الرابع فجوابه أن العقيم هو الذي لا يولد
له يقال رجل عقيم لا يولد له وامرأة عقيم لا تلد وأصل العقم
القطع ومنه قيل الملك عقيم لأنه يقطع فيه الأرحام بالقتل
والعقوق وأما الخامس فجوابه قال ابن عباس يهب لمن
يشاء إناثا يريد لوطا وشعيبا لم يكن لهما إلا البنات ويهب لمن
يشاء الذكور يريد إبراهيم لم يكن له إلا الذكور أو يزوجهم ذكرانا
وإناثا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم كانت له من البنين ثلاثة
على الصحيح القاسم وعبد الله وإبراهيم ومن البنات أربعة زينب ورقية

وأم كلثوم وفاطمة ويجعل من يشاء عقيما يريد عيسى
ويحيى وقال الاكثرون من المفسرين هذا الحكم
عام في حق كل الناس لان المقصود نفاذ قدرة الله في
تكوين الاشياء كيف شاء واراد فلم يكن للتخصيص معنى والله اعلم
ثم ختم الآية بقوله انه عليم قدير قال
ابن عباس عليم بما خلق قدير على ما يشاء ان يخلقه
والله اعلم **قوله تعالى** وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشاء انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا
نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم
صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله
تصير الامور اعلم انه لما بين حال قدرته وعلمه وحكمته
اتبعه ببيان انه كيف يخص انبياءه بوحيه وكلامه
وفي الآية مسائل **المسألة الاولى** وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا على احد ثلاثة اوجه اما على الوحي
وهو الالهام والقذف او المنام كما اوحى الله الى ام
موسى وابرهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن
مجاهد اوحى الله تعالى الزبور الى داود عليه السلام في
صدره واما على ان يسمع كلامه من غير واسطة وهذا
ايضا وحي يدل ان الله تعالى اسمع موسى كلامه من غير
واسطة مع انه سماه وحيا قال تعالى فاستمع
لما يوحى واما على ان يرسل الله رسولا من الملائكة فيبلغ ذلك

الملك

قال

وما صح لاحد
من البشر

ما سعه

ذلك الوحي الى الرسول البشر وطريق الحصر ان يقال وصول الوحي من الله الى
البشر اما ان يكون من غير واسطة مبلغ او يكون بواسطة مبلغ فان كان
الاول وهو ان يصل اليه وحي الله تعالى لا بواسطة شخص آخر فههنا
اما ان يقال انه لم يسمع عين كلام الله او سمعه اما الاول وهو انه وصل
اليه الوحي لا بواسطة آخر وما سمع عين كلام الله فهو المراد بقوله
الا وحيا واما الثاني وهو انه وصل اليه الوحي لا بواسطة شخص آخر
ولكنه سمع عين كلام الله فهو المراد من قوله او من وراء حجاب
واما الثالث وهو انه وصل اليه الوحي بواسطة شخص آخر
فهو المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء واعلم
ان كل واحد من هذه الاقسام الثلاثة وحي الا انه تعالى
خصص القسم الاول باسم الوحي لان ما يقع في القلب على سبيل
الالهام فهو يقع دفعة فكان تخصيص لفظ الوحي به اولى فهذا
هو الكلام في تمييز هذه الاقسام بعضها عن بعض
المسألة الثانية القائلون بان الله في مكان احتجوا
بقوله او من وراء حجاب بقوله او من وراء حجاب وذلك لان
التقدير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا على احد ثلاثة اوجه
واحدها ان يكلمه من وراء حجاب وانما يصح ذلك لو كان تعالى
مختصا بمكان معين وجهة معينة والجواب ان ظاهر
اللفظ وان اوهم ما ذكرتم الا انه دلت الدلائل العقلية
والنقلية على انه تعالى يمتنع حصوله في المكان والجهة
فوجب حمل هذا اللفظ على التأويل والمعنى ان الرجل اذا سمع
كلاما مع انه لا يرى ذلك المتكلم كان ذلك شبيها
بما اذا تكلم من وراء حجاب والمشابهة سبب لجواز المجاز

شخص

المسئلة الثالثة قالت المعتزلة هذه الآية تدل على أن الله تعالى لا يرى وذلك لأنه تعالى حصر أقسام وحيه في هذه الثلاثة ولو صحت رؤية الله تعالى لصح من الله تعالى أن يتكلم مع العبد حال ما يراه العبد فحينئذ يكون ذلك قسمًا رابعًا زائدًا على هذه الأقسام والله تعالى نفى القسم الرابع بقوله وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا على أحد هذه الأوجه الثلاثة والجواب نمنع في اللفظ قد يكون بالغرر وما كان لبشر أن يكلمه الله في الدنيا إلا على أحد هذه الثلاثة الأقسام وحينئذ لا يلزم ما ذكرتموه وزيادة هذا القيد وإن كانت على خلاف الظاهر لكنه يجب المصير إليها للتوفيق بين هذه الآية ومن الآيات الدالة على حصول الرؤية في يوم القيامة والله أعلم

المسئلة الرابعة أجمعت الأمة على أن الله تعالى متكلم ومن سوى الأشعري وأتباعه اتفقوا على أن كلام الله هي هذه الحروف المسموعة والأصوات المؤلفة وأما الأشعري وأتباعه فإنهم زعموا أن كلام الله صفة قديمة يعبر عنها بهذه الأصوات والحروف أما الفريق الأول وهم الذين قالوا إن كلام الله تعالى هو هذه الحروف والكلمات فهم فريقان أحدهما الحنابلة الذين قالوا بقدم هذه الحروف وهم أخس من أن يذكروا في زمرة العقلاء واتفق أني قلت يومًا لبعضهم لو تكلم الله بهذه الحروف إما أن يتكلم بها دفعة واحدة أو على التعاقب والتوالي والأول باطل لأن التكلم بها على التوالي والتعاقب كانت

محدثة ولما سمع ذلك الرجل هذا الكلام قال الواجب علينا أن نقر ونمر يعني نقر بأن القرآن قديم ونمر هذا الكلام على وفق ما سمعناه فتعجبت من سلامة قلب ذلك القائل وأما العقلاء من الناس فقد اتفقوا على أن هذه الحروف والأصوات كائنة بعد أن لم تكن حاصلة بعد أن كانت معدومة ثم اختلفت عباراتهم في أنها هل هي مخلوقة أو لا وبعد ذلك قالوا إنها حادثة أو نعبر عنها بعبارة أخرى واختلفوا أيضًا في أن هذه الحروف هل هي قائمة بذات الله تعالى أو يخلقها في جسم آخر فالأول هو قول الكرامية والثاني قول المعتزلة وأما الأشعرية الذين زعموا أن كلام الله صفة قديمة يدل عليها هذه الألفاظ والعبارات فقد اتفقوا على أن موسى سمع من وراء حجاب هو أن الملك والرسول يسمع ذلك الكلام المنزه عن الحرف والصوت من وراء حجاب قالوا وكما لا يمتنع أن ترى ذات الله مع أنه ليس بجسم ولا في حيز فكذلك لا يبعد أن يسمع كلام الله مع أنه لا يكون حرفًا ولا صوتًا وزعم أبو منصور الماتريدي السمرقندي أن تلك الصفة يمتنع كونها مسموعة وإنما المسموع حروف وأصوات يخلقها الله تعالى في الشجرة وهذا القول قريب من قول المعتزلة والله أعلم

المسئلة الخامسة قال القاضي هذه الآية تدل على حدوث كلام الله عز وجل من وجوه الأول أن قوله أن يكلمه الله يدل عليه لأن كلمة أن مع المضارع تفيد الاستقبال الثاني أنه وصف الكلام بأنه وحي لأن لفظ الوحي يفيد أنه وقع على أسرع الوجوه الثالث

ان قوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا ويقتضي
ان يكون الكلام الذي يبلغه الملك الى الرسول البشري مثل
الكلام الذي سمعه والذي يبلغه الى الرسول البشري حادث
فان الكلام الذي سمعه من الله مثل الذي يبلغه الى الرسول
البشري وهذا الذي يبلغه الى الرسول البشري حادث ومثل
الحادث حادث وجب ان يقال ان الكلام الذي سمعه من الله
حادث البحث الرابع ان قوله او يرسل رسولا فيوحي يقتضي
كون الوحي حاصلا بعد الارسال وما كان حصوله متاخرا
عن حصول غيره كان حادثا والجواب انا نصرف كل هذه
الوجوه التي ذكرتموها الى الحروف والاصوات ونعترف
بانها حادثة كائنة بعد ان لم يكن وبديهة العقل
شاهدة بان الامر كذلك واي حاجة الى اثبات هذا المطلوب
الذي علمت صحته ببديهة العقل بظواهر القران والله اعلم

المسئلة الثانية

ثبت ان الوحي من الله تعالى اما ان لا يكون
بواسطة شخص اخر واما ان يكون بواسطة شخص اخر وممتنع ان
يكون كل وحي حاصلا بواسطة شخص اخر والا لزم اما
التسلسل واما الدور وهما محالان فلا بد من الاعتراف
بحصول وحي يحصل لا بواسطة شخص اخر ثم هاهنا ابحاث
البحث الاول ان الشخص الاول الذي سمع وحي الله لا بواسطة
شخص اخر كيف يعرف ان الكلام الذي سمعه كلام الله فان
قلنا انه سمع تلك الصفة القديمة المنزهة عن كونها حرفا
وصوتا فلم يبعد انه اذا سمعها علم بالضرورة كونها كلام الله تعالى
ولم يبعد ان يقال انه يحتاج بعد ذلك الى دليل زايد اما ان

قلنا ان المسموع هو الحروف والاصوات امتنع ان يقطع بكونه كلاما
لله تعالى الا اذا ظهرت دلالة تدل على ان ذلك المسموع هو كلام الله تعالى
البحث الثاني ان الرسول اذا سمعه من الملك كيف يعرف ان ذلك
المبلغ ملك معصوم لا شيطان مضل والحق انه لا يمكن
القطع بذلك الا بناء على معجزة تدل على ان ذلك المبلغ ملك
معصوم لا شيطان وعلى هذا التقدير فالوحي
من الله تعالى لا يتم الا بثلاث مراتب في ظهور المعجز المرتبة
الاولى ان الملك اذا سمع ذلك الكلام من الله تعالى
فلا بد له من معجز يدل على ان ذلك الكلام كلام الله والمرتبة
الثانية ان ذلك الملك اذا اوصله الى الرسول لا بد
له من معجز والمرتبة الثالثة ان ذلك الرسول اذا
ارسله للامة فلا بد له ايضا من معجز فثبت ان التكليف
لا يترتب على الخلق الا بعد وقوع ثلاث مراتب في المعجزات
البحث الثالث انه لا شك ان احدا من الملائكة قد سمع
الوحي من الله تعالى ابتدا وذلك الملك هو جبريل عليه السلام
فيقال لعل جبريل سمعه من ملك اخر فكل يحتمل
كونها له واسطة ولم يوجد ما يدل على القطع بواحد من هذه
الوجوه البحث الرابع هل في البشر من سمع وحي الله تعالى
من غير واسطة المشهور ان موسى عليه السلام سمع كلام الله
من غير واسطة بدليل قوله تعالى فاستمع لما يوحى وقيل
ايضا ان محمدا صلى الله عليه وسلم سمعه لقوله تعالى فاوحى الى
عبده ما اوحى البحث الخامس ان الملائكة يقدرون
على ان يظهروا انفسهم على اشكال مختلفة فيقدر ان يراه الرسول

في كل مرة روحـا ان يحتاج الى المعجزة ليعرف ان هذا الذي راه
في هذه المرة غير ما راه في المرة الاولى وان كان
لا يرى شخصه كانت الحاجة الى المعجزة اقوى لاحتمال
ان حصل الاشتباه في الصوت الا ان الاشكال
ان الحاجة الى اظهار المعجزة في كل مرة لم يقل به احد
المسئلة السابعة ذلك المخاطرات المذكورة في القران
بين الله تعالى وبين ابليس على انه تعالى كان يسمع
ابليس من غير واسطة فهل ذلك هل يسمى وحيا
من الله تعالى الى ابليس ام لا الاظهر منعه ولا بد في
هذا الموضع من بحث غامض **المسئلة الثامنة** قال
قرا نافع او يرسل رسولا فيوحي برفع اللام وسكون
الياء ومحله رفع على تقدير او هو يرسل ويوحي والباقون
بالنصب على تقدير كانه قيل ما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا او اسماعا من كلامه من وراء حجاب
او يرسل لكن فيه اشكال لان قوله وحيا او اسماعا
اسم وقوله او يرسل فعل وعطف الفعل على الاسم
قبيح واجيب عنه بان التقدير وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا ان يوحي اليه وحيا او يسمع سماعا من وراء حجاب او يرسل
رسولا **المسئلة التاسعة** الصحيح عند اهل الحق ان
عند ما يبلغ الملك الوحي الى الرسول لا يقدر الشيطان
على القاء الباطل في اثناء ذلك الوحي وقال بعضهم
يجوز ذلك لقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي

الا

الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته وقال لو القى الشيطان الوحي في
اثناء سورة النجم تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى
وكان صديقنا الملك سام بن محمد رحمه الله وكان من اهل
من لقيته من ارباب السلطنة يقول هذا الكلام بعد الدلائل
القوية الباهرة باطل من وجهين احدهما الاول ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من راني في المنام فقد راني فان
الشيطان لا يتمثل في فاذا لم يقدر الشيطان ان يتمثل بصورة
الرسول فكيف قدر على التشبه بجبريل حال اشتغاله
بوحي الله والثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما سلك
عمر فجا الا سلك الشيطان فجا اخر فاذا لم يقدر الشيطان
ان يحضر مع عمر في فج واحد فكيف يقدر على ان يحضر مع جبريل
في موقف تبليغ الله تعالى **المسئلة العاشرة** وله قوله
انه يوحي
باذنه ما يشا فيوحي ذلك الملك باذن الله ما يشا وهذا
يقتضي ان الحسن لا يحسن لوجه عائد اليه وان القبيح لا يقبح لوجه
عائد اليه بل لله ان يامر بما يشا من غير تخصيص وان ينهى عما
يشا من غير تخصيص اذ لو لم يكن الامر كذلك لما صح قوله
ما يشا والله اعلم ثم قال تعالى انه علي حكيم
يعني انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري افعاله
على الحكمة فيتكلم تارة بغير واسطة على سبيل الالهام واخرى
باسماع الكلام وتارة بواسطة الملائكة الكرام
ولما بين الله تعالى كيفية اقسام الوحي الى الانبياء عليهم السلام
قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا والمراد به القران وسماه

دوحالانه يفيد الحيوة من موت الجهل او الكفر ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان واختلفت العلماء في هذه الاية
مع الاجماع على انه لا يجوز ان يقال الرسل كانوا قبل
الوحي على الامر وذكروا في الجواب وجوها الاول
ما كنت تدري ما الكتاب اى القران ولا الايمان اي
الصلوة لقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اى
صلاتكم الثاني ان نحمل هذا على حذف المضاف
اى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان حين كنت
طفلا في المهد الرابع الايمان عبارة عن الاقرار
بجميع ما كلف الله تعالى به وانه قبل النبوة ما كان
عارفا بجميع تكاليف الله تعالى بل انه كان
عارفا بالله تعالى وذلك لا ينافي ما ذكرناه
الخامس صفات الله تعالى على قسمين منها
ما يمكن معرفته بمحض دلائل العقول ومنها ما لا
يمكن معرفته الا بالدلائل السمعية فهذا القسم الثاني
لم تكن معرفته حاصلة قبل النبوة ثم قال تعالى
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
اختلفوا في الضمير في قوله ولكن جعلناه منهم
من قال انه راجع الى الايمان لانه هو الذي يعرف
به الاحكام ولا جرم شبهه بالنور الذي يهتدى به
ومنهم من قال انه راجع اليهما معا وحسن ذلك
لان معناهما واحد لقوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها ثم قال تعالى نهدي به من نشاء من عبادنا

وهذا

المراد دون ج

وهذا يدل على انه تعالى بعد ان جعل القران في نفسه
هدى كما قال هدى للمتقين فانه قد يهدي به
البعض دون البعض وهذه الهداية ليست عبارة عن
الدعوة وايضا الادلة لانه تعالى قال في صفة محمد صلى الله
عليه وسلم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فيفيد العموم بالنسبة
الى الكل وقوله نهدي به من نشاء من عبادنا يفيد الخصوص
فثبت ان الهداية بمعنى الدعوة عامة والهداية في
قوله نهدي به من نشاء من عبادنا خاصة والهداية الخاصة
غير الهداية العامة فوجب ان يكون المراد من قوله نهدي
به من نشاء من عبادنا امرا مغايرا لاظهار الدلائل
ولا زالة الاعذار ولا يجوز ان يكون عبارة عن
الهداية الى طريق الجنة لانه تعالى قال ولكن جعلناه نورا
نهدي به من نشاء من عبادنا اى جعلنا القران نورا
نهدي به من نشاء وهذا لا يليق الا بالهداية التي تحصل
في الدنيا وايضا فالهداية الى الجنة عندكم في حق البعض
واجب وفي حق الباقين محظور وعلى كلي التقديرين
فلا يبقى لقوله من نشاء من عبادنا فائدة فثبت ان المراد انه تعالى
يهدي من يشاء ويضل من يشاء ولا اعتراض فيه ثم قال تعالى
لمحمد صلى الله عليه وسلم وانك لتهدي الى صراط مستقيم
صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض فنبه
بذلك على ان الذي تجوز عبادته هو الذي يملك السموات
وما في الارض والغرض منه ابطال قول من يعبد غير الله
ثم قال الا الى الله تصير الامور وذلك كالوعيد والزجر

فمن ان امر من لا يقبل هذه التكاليف وذلك هو الوعيد
والزجر ومن ان امر من لا يقبل هذه التكاليف يرجع
الى الله اى الى حيث لا حاكم سواه فيجازى كلا منهم
ما يستحقه من ثواب او عقاب ٥

سورة الزخرف ثمانون

وتسع ايات ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم
تعقلون وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم افنضرب
عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين
وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما ياتيهم من نبى
الا كانوا به يستهزءون فاهلكنا اشد منهم بطشا
ومضى مثل الاولين ٥ اعلم ان قوله تعالى حم والكتاب
المبين يحتمل وجوها الاول ان يكون التقدير
هذه حم والكتاب المبين فيكون القسم واقعا على ان هذه
السورة هى سورة حم ويكون قوله انا جعلناه قرانا عربيا ويكون
المقسم عليه هو قوله انا جعلناه قرانا عربيا فيكون
المقسم عليه هو قوله انا جعلناه قرانا عربيا وفى المراد
بالكتاب قولان احدهما ان المراد به القران وعلى هذا
التقدير فقد اقسم بالقران انه جعله عربيا الثانى
ان المراد بالكتاب الكتابة والخط اقسم بالكتاب لكثرة ما فيه

انا جعلناه

من

من المنافع فان العلوم انما تكاملت بسبب الخط فان المتقدم
اذا استنبط علما واثبته فى كتاب وجاء المتاخر ووقف
عليه امكنه ان يزيد فى استنباط الفوائد فبهذا الطريق تكاثرت
الفوائد وانتهت الى الغايات العظيمة وفى وصف الكتاب
بكونه مبينا وجوه الاول هو الذى ابان طرق الهدى من طرق
الضلالة وابان كل باب عن ما سواه وجعلها مفصلة
ملخصة واعلم ان وصفه بكونه مبينا مجاز لان المبين
هو الله تعالى وسمى القران بذلك توسعا من حيث انه
حصل البيان عنده اما قوله انا جعلناه قرانا
عربيا لعلكم تعقلون ففيه مسائل المسئلة الاولى
القائلون بحدوث القران احتجوا بهذه الاية
من وجوه الاول ان الاية تدل على ان القران مجعول
والمجعول هو المصنوع المخلوق فان قيل المراد انه جعله
المراد انه انما سماه عربيا قلنا هذا مدفوع من وجهين
الاول انه لو كان المراد من الجعل هذا لزم من سماه عجميا
انه يصير عجميا وان كان بلغة العرب ومعلوم انه باطل
الثانى انه لو صرف الجعل الى التسمية لزم كون
التسمية مجعولة والتسمية ايضا كلام الله وذلك انه جعل
بعض كلامه واذا صح ذلك فى البعض صح فى الكل
الثانى انه وصفه بكونه قرانا وهو انما سمى قرانا لانه جعل
بعضه مقرونا بالبعض وما كان كذلك كان مصنوعا
معمولا الثالث انه وصفه بكونه عربيا وهو انما كان عربيا لان
هذه الالفاظ انما اختصت بمسمياتها بوضع العرب واصطلاحاتهم

وذلك يدل على كونه معمولا مجعولا والتقدير حم ورب
الكتاب المبين ويتأكد هذا بما روي أنه صلى الله عليه وسلم
كان يقول يا رب طه ويس ويا رب القرآن العظيم
والجواب أن هذا الذي ذكرتموه حق وذلك لأنكم
إنما استدللتم بهذه الوجوه على كون الحروف المتوالية
والكلمات المتعاقبة محدثة وذلك معلوم بالضرورة
ومن الذي ينازع فيه بل كان كلامكم يرجع
حاصله إلى إقامة الدلائل على ما عرف ثبوته بالضرورة
المسألة الثانية لعل للتمني والترجي وهو لا يليق
بمن كان عالما بعواقب الأمور فكان المراد منها ها هنا
أي أنزلناه قرآنا عربيا لأجل أن تحيطوا بمعناه وهذا
لأمرين أحدهما أن أفعال الله تعالى معللة بالأغراض
والدواعي والثاني أنه تعالى أراد من الكل الهداية
والمعرفة خلاف قول من يقول إنه تعالى أراد من
البعض الكفر والإعراض واعلم أن هذا النوع
من استدلالات المعتزلة مشهور والأجوبة عنه
مشهورة فلا فائدة في الإعادة والله أعلم
المسألة الثالثة قوله لعلكم تعقلون يدل على أن القرآن
معلوم وليس فيه شيء مبهم مجهول خلافا لمن يقول بعض
القرآن معلوم وبعضه مجهول ثم قال تعالى وإنه
في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم وفيه مسائل **المسألة
الأولى** قرأ حمزة والكسائي إم الكتاب بكسر الألف
والباقون بالضم **المسألة الثانية** الضمير في قوله وإنه

عائد

عائد إلى الكتاب الذي تقدم ذكره في أم الكتاب لدينا واختلفوا في
المراد بأم الكتاب على قولين فالقول الأول أنه اللوح
المحفوظ لقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ واعلم
أن على هذا التقدير فالصفات المذكورة ها هنا كلها صفات
اللوح المحفوظ فالصفة الأولى أنه أم الكتاب
والسبب فيه أن أصل كل شيء أمه والقرآن مثبت
عند الله في اللوح المحفوظ ثم نقل إلى سماء الدنيا
ثم أنزل حالا بعد حال بحسب المصلحة عن ابن عباس أن
أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما يريد أن
يخلق فالكتاب عنده فإن قيل وما الحكمة في خلق
هذا اللوح المحفوظ مع أنه تعالى علام الغيوب يستحيل
عليه السهو والنسيان قلنا إنه تعالى لما أثبت
في ذلك أحكام حوادث المخلوقات ثم إن الملائكة
يشاهدون أن جميع الحوادث إنما تحدث على موافقة
ذلك المكتوب استدلوا بذلك على كمال حكمته وعلمه
الصفة الثانية من صفات اللوح المحفوظ قوله
لدينا وهذا الذي ذكره ابن عباس ولما خصه الله تعالى
بهذا التشريف لكونه كتابا جامعا لأحوال
جميع المخلوقات وكتابة ذلك الكتاب المشتمل على
جميع ما يقع في ملك الله وملكوته فلا جرم حصل له الشرف
قال الواحدي ويحتمل أن يكون صفة
للقرآن والتقدير وإنه لدينا في أم الكتاب الصفة
الثالثة كونه عليا والمعنى كونه عاليا عن وجوه الفساد

والبطلان وقيل المراد كونه عاليا على وجه الكتب
لسبب كونه معجزا باقيا على وجه الدهر الصفة
الرابعة كونه حكيما اي محكما في ابواب البلاغة والفصاحة
والفصاحة وقيل حكيم اي ذو حكمة بالغة وقيل ان
هذه الصفات كلها صفات القران على ما ذكرناه والقول الثاني
تفسير ام الكتاب انه الايات المحكمة لقوله تعالى
هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام
الكتاب ومعناه ان سورة حم واقعة في الايات
المحكمة التي هي الاصل والام ثم قال تعالى افنضرب
عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وفيه مسائل
المسألة الاولى قرا نافع وحمزة والكسائي ان كنتم بكسر
الالف بمعنى ان كنتم مسرفين لا نضرب عنكم
الذكر صفحا وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وذروا
ما بقي من الربا ان كنتم مومنين وبالجملة فالجزاء
مقدم على الشرط والباقون بفتح الالف
على التعليل اي لان كنتم مسرفين المسألة الثانية
قال الفراء والزجاج يقال ضربت عنه
واضربت عنه اي تركته وامسكت عنه وقوله
صفحا اي اعراضا والاصل فيه انك توليه صفحة
عنقك وعلى هذا فقوله افنضرب عنكم الذكر صفحا تقديره
افنضرب عنكم اضرابا وتقديره افنصفح عنكم صفحا واختلفوا
في معنى الذكر فقيل معناه افنرد عنكم ذكر عذاب الله
وقيل افنرده عنكم النصائح والمواعظ والاعذار

الثاني

والانذار بسبب كونكم مسرفين وقيل افنرد عنكم القران
وهذا استفهام على سبيل الانكار يعني انا لا نترك
هذا الاعذار والانذار بسبب كونكم مسرفين قال قتادة
لو ان هذا القران رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا
ولكن الله تعالى برحمته كرره عليهم ودعاهم اليه
عشرين سنة اذا عرفت هذا فنقول هذا الكلام
يحتمل وجهين الاول الرحمة انا لا نترككم
مع سوء اختياركم بل نذكركم ونعظكم
الى ان ترجعوا الى الطريق الحق والثاني المبالغة
في التغليظ يعني اتظنون ان نترككم مع ما تريدون
لا بل نلزمكم العمل وندعوكم الى الدين
ونواخذكم بالواجب واقدامكم على القبيح
المسألة الثالثة قال صاحب الكشاف
الفاء في قوله افنضرب عنكم للعطف على محذوف
تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر ثم قال تعالى
وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا
كانوا به يستهزءون والمعنى ان عادة الامم
مع الانبياء الذين يدعونهم الى الدين الحق هو التكذيب
والاستهزاء فلا ينبغي ان تتأذى من قومك بسبب
اقدامهم على التكذيب والاستهزاء لان المصيبة
اذا عمت خفت ثم قال تعالى فاهلكنا اشد
منهم بطشا يعني ان اولئك المتقدمين الذين ارسل
الله اليهم الرسل كانوا اشد بطشا من قريش

يعني أكثر عددا وعددا كما قال ومضى مثل الاولين ومعنى
انّا اهلكنا من هو اشد منهم بطشا فيحذروا
ان ينزل بهم من الخزي مثل ما نزل بهم فقد ضربنا لهم
مثلهم كما قال وضربنا لكم الامثال ولقوله
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم الى قوله
وضربنا لكم الامثال والله اعلم ۞ قوله تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض
مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم
تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا
به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق
الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم
اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر
لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا
لمنقلبون ۞ اعلم انه تقدم ذكر المسرفين وهم
المشركون وتقدم ايضا ذكر الانبيا بقوله
ولئن سألتهم يحتمل ان يرجع الى الانبيا ويحتمل
ان يرجع الى الكفار الا ان الاقرب رجوعه الى
الكفار فبين تعالى انهم مقرون بان خالق السموات
والارض وما بينهما هو الله العزيز العليم والمقصود
انهم مع كونهم مقرين بهذا المعنى يعبدون معه
غيره وينكرون قدرته على البعث وقد تم الاخبار

عنهم ثم ابتدأ تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال
الذي جعل لكم الارض مهادا ولو كان هذا من جملة كلام
الكفار لوجب ان يقولوا الذي جعل لنا الارض مهادا
ان قوله في اثنا الكلام واشباهه بلده ميتا
لا يليق الا بكلام الله ونظيره من كلام الناس
ان يسمع الرجل رجلا يقول الذي بنى
هذا المسجد فلان العالم فيقول السامع نظرا
الكلام الزاهد الكريم كان ذلك السامع يقول
انا اعرفه بصفات حميدة فوق ما تعرفه وازيد
في صفته فيكون النعتان جميعا من رجلين لرجل
واحد اذا عرفت كيفية النظم في الاية فنقول
انها تدل على انواع من صفات الله تعالى الصفة
الاولى كونه خالقا للسموات والارض والمعلوم
بالضرورة ان اول العلم بالله العلم بكونه محدثا للعالم
فاعلا له فلهذا السبب وقع الابتدا بكونه
خالقا وهذا انما يتم اذا فسرنا الخالق بالاحداث
والابداع ۞ الصفة الثانية العزيز وهو
الغالب وما لاجله يحصل المكنة من الفعله هو القدرة
فكان العزيز اشارة الى كمال القدرة والصفة
الثالثة وهو اشارة الى كمال العلم والقدرة واذا
حصلا كان الموصوف بهما قادرا على خلق جميع
الممكنات فلهذا المعنى اثبت تعالى كونه موصوفا
بهذين ثم فرع عليه سائر التفاصيل الصفة

قوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا وقد ذكرنا في هذا الكتاب
ان كون الارض مهادا انما حصل لاجل كونها واقفة
ساكنة ولاجل كونها موصوفة بصفات مخصوصة
باعتبارها يمكن الانتفاع بها في الزراعة وبناء الابنية
وفي كونها ساترة لعيوب الاحياء والاموات ولان
المهد موضع الراحة للصبي جعل الارض مهدا لكثرة
ما فيها من الراحات الصفة الخامسة قوله وجعل
لكم فيها سبلا والمقصود ان انتفاع الناس انما يحصل
اذا قدر كل احد على ان يذهب من بلد الى بلد ومن
اقليم الى اقليم ولولا ان الله تعالى هيأ تلك السبل
ووضع عليها علامات مخصوصة والا لما حصل هذا الانتفاع
ثم قال تعالى لعلكم تهتدون يعني المقصود من
وضع السبل ان يحصل لكم المكنة من الاهتداء والثاني
المعنى لتهتدوا الى الحق في الدين الصفة السادسة
قوله تعالى والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة
ميتا وههنا مباحث احدها ان ظاهر هذه
الاية يقتضي ان الماء ينزل من السماء فهذا الامر كذلك
او يقال انه نزل من السحاب وسمي نازلا من السماء
لان كل ما سماك فهو سماء وهذا البحث قد مر ذكره
بالاستقصاء وثانيها قوله بقدر اي انما ينزل
الماء من السماء بقدر ما يحتاج اليه اهل تلك البقعة من
غير زيادة ولا نقصان لا كما انزل على قوم نوح بغير قدر
حتى اغرقهم بل بقدر حتى يكون معاشا لكم ولانعامكم

وثالثها قوله فانشرنا به بلدة ميتا اي خالية من النبات
فاحييناها وهو الانشار ثم قال كذلك تخرجون يعني
ان هذا الدليل كما يدل على قدرة الله وحكمته فكذلك يدل
على قدرته على البعث والقيامة ووجه التشبيه
انه جعلهم احياء بعد الاماتة كهذه الارض التي انشرت
بعدما كانت ميتة وقال بعضهم بل وجه التشبيه
انه يعيدهم ويخرجهم من الارض بماء كالمني كما ينبت
الارض بماء المطر وهذا الوجه ضعيف لان ظاهر
اللفظ الاعتبار بالاعادة فقط دون هذه الزيادة
الصفة السابعة قوله تعالى والذي خلق
الازواج كلها قال ابن عباس الازواج الضروب
والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود
والذكر والانثى وقال بعض المحققين كل ما سوى الله
فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار والقدام
والخلف والماضي والمستقبل والذوات والصفات
والصيف والشتاء والربيع والخريف وكونها
ازواجا يدل على كونها ممكنة الوجود في ذواتها محدثة
مسبوقة بالعدم فاما الحق سبحانه وتعالى فهو الفرد
المنزه عن الضد والند والمقابل والمعاضد فلهذا
قال سبحانه والذي خلق الازواج كلها اي كل ما هو
زوج فهو مخلوق فدل هذا على ان خالقها فرد مطلق منزه
عن الزوجية واقول ايضا علماء الحساب بينوا ان الفرد افضل
من الزوج من وجوه الاول ان اقل الازواج هو الاثنان

اي كل ما هو زوج فهو مخلوق فدل هذا على ان خالقها فرد مطلق
منزه عن الزوجية واقول ايضا هو انسان وهو لا يوجد
الا عند حصول وجدين كالزوج محتاج الى الفرد والفرد
هو الواحد غني عن الزوج والغني افضل من المحتاج
الثاني ان الزوج يقبل القسمة بقسمين متساويين والفرد
هو الذي لا يقبل القسمة وقبول القسمة انفعال
وتأثر وعدم قبولها قوة وشدة ومقاومة فكان الفرد
افضل من الزوج الثالث ان العدد لا بد وان يكون له
قسمة زوجا والثاني فردا لعدد الفرد حصل فيه الزوج
والفرد معا واما العدد الزوج فلا بد وان يكون كل واحد
من قسميه زوجا والمشتمل على القسمين افضل من الذي
لا يكون كذلك ۞ الرابع ان الزوجية عبارة عن كون
كل واحد من قسميه معادلا للقسم الاخر في الذات والصفات
والمقدار واذا كان كل ما حصل له من الكمال فمثله حاصل
لغيره لم يكن هو كاملا على الاطلاق اما الفرد فهو فيه
حاصلة له لا لغيره ولا كمثله فكان كماله حاصلا له لا لغيره
فكان افضل ۞ الخامس ان الزوج لا بد وان يكون كل واحد
من قسميه مشاركا للقسم الاخر في بعض الامور ومغايرا في امور
اخرى وما به المشاركة غير ما به المخالفة فكل زوج فهو ممكن
الوجود لذاته وكل ممكن فهو محتاج فثبت ان الزوجية منشأ
الفقر والحاجة واما الفردية فهي منشأ الاستغناء والاستقلال
لان العدد محتاج الى كل واحد من تلك الوحدات واما غني عن ذلك
العدد فثبت ان الازواج ممكنات ومحدثات ومخلوقات

وان الفرد هو المقام بذاته المستقل بنفسه الغني عن كل ما سواه
فلهذا قال سبحان الذي خلق الازواج كلها ۞ الصفة
الثامنة قوله وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون
وذلك ان السفر اما سفر البحر واما سفر البر فاما سفر
البحر فالحامل هو السفينة واما سفر البر فالحامل
هو الانعام وههنا سؤالات السؤال الاول
لم لم يقل على ظهورها اجابوا عنه من وجوه الاول
قال ابو عبيدة الضمير لقوله تعالى ما تركبون
والتقدير ما تركبونه الثاني قال الفراء اضاف
الظهور الى الواحد فيه معنى الجمع بمنزلة الجيش والجند
فلذلك ذكر وجمع الظهور الثالث ان هذا التأنيث
ليس تأنيثا حقيقيا فجاز ان يختلف اللفظ فيه كما يقال
عندي من النساء من يوافقك السؤال الثاني
يقال ركبوا الانعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين
فكيف قال تركبون والجواب غلب المتعدي بغير
واسطة لقوته على المتعدي بواسطة ثم قال تعالى
ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ومعنى ذكر نعمة الله
ان يذكروها في قلوبهم وذلك الذكر هو ان يعرف ان الله تعالى
خلق وجه البحر وخلق الرياح وخلق جرم السفينة
على وجه يمكن للانسان من تصريف هذه السفينة الى
اي جانب شاء واراد فاذا تذكر ان خالق البحر وخالق
الرياح وخالق السفينة على هذه الوجوه المقابلة لتصرف الانسان
ولتحريكاته ليس من ذلك للانسان وانما هو من تدبير الحكيم العليم القدير

عرف ان ذلك نعمة عظيمة من الله تعالى فحمله ذلك على الانقياد
لطاعة الله تعالى وعلى الاشتغال بالشكر لنعمه التي لا نهاية لها
ثم قال تعالى وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
واعلم انه عين ذكرا معينا لركوب السفينة وهو
قوله بسم الله مجريها ومرسيها وعين ذكرا اخر لركوب الدابة وهو
قوله سبحان الذي سخر لنا هذا وعين ذكرا اخر عند نزول المنازل
وهو قوله تعالى رب انزلني منزلا مباركا
وانت خير المنزلين وتحقيق القول فيه ان الدابة التي
يركبها الانسان لا بد وان تكون اكثر قوة من الانسان
بكثير وليس لها عقل يهديها الى طاعة الانسان ولكنه
سبحانه وتعالى خلق تلك البهيمة على وجوه
مخصوصة في خلقها الظاهر وخلقها الباطن يحصل
منها هذا الانتفاع اما خلقها الظاهر فلانها تمشي على
اربع قوائم وكان ظهرها الموضع الذي يحسن لاستقرار
الانسان عليه اما خلقها الباطن فلانها مع قوتها
الشديدة قد خلقها الله تعالى بحيث تصير منقادة للانسان
ومسخرة له فاذا تامل الانسان في هذه العجايب وغاص
بعقله في بحار هذه الاسرار عظم تعجبه من تلك القدرة والحكمة
الغير متناهية فلا بد وان يقول سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين قال ابو عبيدة فلان مقرن
لفلان اي ضابط له قال الواحدي رحمه الله وكان
اشتقاقه من قولك ضرب له قرنا ومعنى انا قرن لفلان اي
مثله في الشدة وكان المعنى انه ليس عندنا من القوة والطاقة
ان نقرن هذه الدابة والفلك وان نضبطها فسبحان من سخر لنا هذا

نعله وحكمته وكمال قدرته روى صاحب الكشاف عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله
فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وروى القاضي
في تفسيره عن ابي مجلز ان الحسين بن علي عليهما السلام راى
رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال لما بهذا
امرت امرنا ان نقول الحمد لله الذي هدانا للاسلام
والحمد لله الذي من علينا بمحمد عليه الصلاة والسلام
والحمد لله الذي جعلنا خير امة اخرجت للناس ثم تقول
سبحان الذي سخر لنا وروى ايضا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا سافر وركب راحلته كبر ثلثا
ثم يقول سبحان الذي سخر لنا هذا ثم تقول اللهم اني
اسالك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم
هون علينا السفر واطو عنا بعد الارض اللهم انت الصاحب
في السفر والخليفة في الاهل
اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في اهلنا وكان اذا رجع الى
اهله يقول ايبون تائبون لربنا حامدون قال القاضي
دلت هذه الاية على خلاف قول المجبرة من وجوه الاول
انه تعالى قال لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم
فذكره بلام كي وهذا يدل على انه اراد منا هذا الفعل
وهذا يدل على بطلان قولهم انه تعالى اراد الكفر منه واراد
الاصرار على الانكار الثاني ان قوله لتستووا يدل على ان
فعله معلل بالاغراض الثالث انه تعالى بين ان خلق هذه

الحيوانات على هذه الطبائع انما كان لغرض ان يصدر الشكر عن
العبد ولو كان فعل العبد فعلا لله تعالى لكان معنى الاية
اني خلقت هذه الحيوانات على هذه الطبائع لاجل ان اخلق
سبحان في لسان العبد وهذا باطل لانه تعالى قادر على
ان يخلق هذا اللفظ في لسانه بدون هذه الوسايط واعلم
ان الكلام على هذه الوجوه معلوم ولا فايدة في الاعادة ثم قال تعالى
وانا الى ربنا لمنقلبون ٥ واعلم ان وجه اتصال الكلام
بما قبله ان راكب الفلك في خطر الهلاك فانه ربما انكسرت
السفينة ويهلك الانسان وراكب الدابة ايضا كذلك
لان الدابة قد يتفق لها اتفاقات توجب هلاك الراكب
واذا كان كذلك فركوب الفلك والدابة توجب تعريض النفس
للهلاك فوجب على الراكب ان يتذكر امر الموت فان يقطع
انه هالك لا محالة وانه منقلب الى الله وغير منفلت لقضائه
وقدره حتى لو اتفق له ذلك كان قد وطن نفسه على الموت

قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان
لكفور مبين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين واذا
بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو
كظيم او من ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم
ستكتب شهادتهم ويسالون ٥ اعلم انه تعالى لما قال
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم
مع اقرارهم بذلك جعلوا له من عباده جزءا والمقصود منه
التنبيه على قلة عقولهم وسخافة جهلهم وفي الاية مسايل

المسئلة الاولى قرا عاصم في رواية ابي بكر جزءا بضم الزاي والهمزة
في كل القران والباقون باسكان الزاي في كل القران وهما
لغتان واما حمزة فاذا وقف قال جزا بفتح الزاي
بلا همزة ٥ المسئلة الثانية في المراد من قوله وجعلوا له
من عباده جزءا قولان الاول وهو المشهور ان المراد
انهم اثبتوا له ولدا وتقرير الكلام ان ولد الرجل جزء منه
قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني ولان
المعقول من الولد ان ينفصل عنه جزء من اجزائه ثم يتربى
ذلك الجزء ويتولد منه شخص مثل ذلك الاصل واذا كان
كذلك فولد الرجل جزء منه وبعض منه فقوله وجعلوا له
من عباده جزءا معنى جعلوا حكموا واثبتوا في لوازمه والمعنى
انهم اثبتوا له جزءا وذلك الجزء هو عبد من عباده واعلم
انه لو قال وجعلوا لعباده منه جزءا افاد ذلك
انهم اثبتوا له حصول جزء من اجزائه في بعض عباده
وذلك هو الولد فكذا قوله وجعلوا له من عباده جزءا معنى
واثبتوا له جزءا وذلك الجزء هو عبد من عباده والحاصل
انهم اثبتوا لله ولدا وذكروا في تقرير هذا القول وجها
اخر فقالوا الجزء هو الاناث في لغة العرب واحتجوا
في اثبات هذه اللغة ببيتين الاول
ان اجزات حرة يوما فلا عجب قد تجزئ الحرة المذكار احيانا
والثاني زوجتها من بنات الاوس مجزئة للعوسج اللدن
في ابياتها غزل ٥ وزعم الزجاج والازهري

وصاحب الكشاف ان هذه اللغة فاسدة وان هذه الابيات
مصنوعة والقول الثاني في تفسير الاية ان المراد من قوله
وجعلوا له من عباده جزءا اثبات الشركاء لله وذلك انهم
لما اثبتوا الشركاء فقد زعموا ان كل العباد ليس لله بل بعضها
لله وبعضها لغير الله فهم ما جعلوا لله من عباده كلهم بل
جعلوا له بعضهم وجزءا منهم قالوا ويدل على ان هذا
القول اولى من الاول انا اذا حملنا هذه الاية على انكار
الشرك لله وحملنا الاية التي بعدها على انكار الولد
لله كانت الاية جامعة للرد على جميع المبطلين ثم قال تعالى
ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين واعلم انه تعالى
رتب هذه المناظرة على احسن الوجوه وذلك لانه بين
ان اثبات الولد لله محال وبتقدير ان يثبت الولد فجعله بنات
ايضا محال اما بيان ان اثبات الولد لله محال فلان الولد
لا بد وان يكون جزءا من الوالد وما كان له جزء فهو مركب
وكل مركب ممكن وايضا ما كان كذلك فانه يقبل الاتصال
والانفصال والاجتماع والافتراق وما كان كذلك فهو محدث
عبد فلا يكون الها قديما ازليا واما المقام الثاني وهو ان
بتقدير ثبوت الولد فانه يمتنع كونه بنتا وذلك لان الابن
افضل من البنت فلو قلنا انه اتخذ لنفسه البنات واعطى
البنين لعباده لزم ان يكون حال العبد اكمل وافضل من حال الله
وذلك مدفوع في بديهة العقل يقال اصفيت فلانا بكذا اي اثرته
به ايثارا حصل له على سبيل الصفاء من غير ان يكون له فيه
مشارك وهو كقوله تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين ثم بين نقصان

البنات

البنات من وجوه الاول قوله تعالى واذا بشر احدهم بما
ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم فالمعنى ان الذي
بلغ حاله في النقص الى هذا الحد كيف يجوز للعاقل اثباته لله وعن
بعض العرب ان امراته وضعت انثى فهجر البيت الذي فيه المراة فقالت

المراة ما لابي حمزة لا ياتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ان لا نلد البنينا
ليس لنا من امرنا ما شينا
وانما ناخذ ما اعطينا

وقوله ظل اي صار ومما يستعمل من الافعال الناقصة
قال صاحب الكشاف قرئ مسود ومسواد والتقدير
هو مسود فتقع هذه الجملة موقع الخبر والثاني في
قوله او من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وفيه
مسائل **المسالة الاولى** قرا حمزة والكسائي وحفص
عن عاصم ينشؤ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين
على ما لم يسم فاعله اي يربى والباقون بفتح الياء وسكون
النون وفتح الشين قال صاحب الكشاف وقرئ
يناشا قال ونظير المناشاة بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى
الاغلاء **المسالة الثانية** المراد من قوله او من ينشؤ
في الحلية التنبيه على نقصانها وهو ان الذي يتربى في
الحلية يكون ناقص الذات لانه لولا نقصانها في ذاتها لما احتاج
الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بطريق اخر وهو قوله
وهو في الخصام غير مبين وذلك لضعف لسانها وقلة عقلها

وبلادة طبعها وبتقدير قل ما تكلمت امراة فارادت ان تتكلم
بحجتها الا تكلمت بما يكون حجة عليها فهذه الوجوه دالة
على كمال نقصها فكيف يجوز اضافتهن الى الله ۞ المسئلة
الثانية دلت هذه الاية على ان التحلي مباح للنساء
وانه حرام للرجال لانه تعالى جعل ذلك من المعايب وموجبات
النقصان فاقدام الرجل عليه يكون القاء لنفسه في الذل
وذلك حرام لقوله صلى الله عليه وسلم ليس للمؤمن ان
يذل نفسه وانما زينة الرجل الصبر على طاعة الله والتزين
بزينة التقوى قال الشافعي رضي الله عنه
بدعت دعا للتنوع حصينة اصون بها عرضي واجعلها ذخرا
ولم احذر الدهر الخؤون وانما قصاراه ان يرمي الى الموت والفقرا
فاعددت للموت الاله وعفوه واعددت للفقر التجلد والصبرا
ثم قال تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا وفيه مسائل المسئلة الاولى المراد بقوله جعلوا
اي حكموا به ثم قال اشهدوا خلقهم وهذا استفهام
على سبيل الانكار يعني انهم لم يشهدوا خلقهم وهذا
مما لا سبيل الى معرفته بالدلائل العقلية واما الدلائل
النقلية فكلها مفرعة على اثبات النبوة وهؤلاء الكفار
منكرون للنبوة فلا سبيل لهم الى اثبات هذا المطلوب بالدلائل
النقلية فثبت انهم ذكروا هذه الدعوى من غير دليل ولا برهان
ولا دليل ثم انه تعالى هددهم فقال ستكتب شهادتهم
ويسألون وهذا يدل على ان القول بغير دليل منكر
وان التقليد يوجب الذم العظيم والعقاب الشديد

قال

قال اهل التحقيق هؤلاء الكفار كفروا في هذا القول
من ثلاثة اوجه اولها اثبات الولد وثانيها ان ذلك
الولد بنت وثالثها الحكم على الملائكة بالانوثة المسئلة الثانية
قرا نافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن بالنون وهو
اختيار ابي حاتم واحتج عليه بوجوه الاول انه
موافق لقوله تعالى ان الذين عند ربك وقوله تعالى ومن
عنده والثاني ان كل الخلق عباده فلا مدح لهم فيه
الثالث ان التقدير ان الملائكة يكونون عند
الرحمن لا عند هؤلاء الكفار فكيف عرفوا انهم اناث
والباقون قرءوا عباد جمع عبد وقيل جمع عابد كقائم
وقيام وصائم وصيام ونائم ونيام وهي قراءة ابن عباس
واختيار ابي عبيد قال لان الله تعالى رد عليهم
قولهم انهم بنات الله واخبر انهم عبيد ويؤيد هذه
القراءة قوله بل عباد مكرمون ۞ المسئلة الثالثة
قرا نافع وحده أأشهدوا بهمزتين ومد بعدهما خفيفة لينة
اي أأحضروا خلقهم وعن نافع غير ممدود على ما لم يسم فاعله
والباقون اشهدوا بفتح الالف من شهدت اي احضروا
المسئلة الرابعة احتج من قال بتفضيل الملائكة على
البشر بهذه الاية الاول اما قراءة عند بالنون فهذه العندية لا تثبت
الا عند الفضل والقرب بالخصوص من الله تعالى بسبب الطاعة
ولفظة هم توجب الحصر والمعنى انهم هم الموصوفون بهذه العندية
لا غيرهم فوجب كونهم افضل من غيرهم رعاية للفظ الدال على
الحصر واما من قرا عباد جمع العبد فقد ذكرنا ان لفظ العباد

مخصوص في القرآن بالمؤمنين فقوله هم عباد الرحمن يفيد حصر
العبودية فيهم فإذا كان اللفظ الدال على العبودية دالا
على الحصر الفضل والمنقبة والشرف فيهم وذلك يوجب كونهم
أفضل منهم والله أعلم **قوله تعالى** وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون أم آتيناهم كتابا من قبله
فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على
أمة وإنا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك
في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة
وإنا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما
وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا
منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين اعلم
أنه تعالى حكى نوعا آخر من كفرهم وشبهاتهم وهو أنهم قالوا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم وفي الآية مسائل **المسألة الأولى**
قالت المعتزلة هذه الآية تدل على فساد قول المجبرة
في أن كفر الكافر يقع بإرادة الله من وجهين الأول أنه تعالى
حكى عنهم أنهم قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
وهذا تصريح بقول المجبرة ثم إنه تعالى أبطله بقوله
ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون فثبت أنه حكى مذهب
المجبرة ثم أردفه بالإبطال والإفساد فثبت أن هذا المذهب
باطل ونظيره قوله تعالى في سورة الأنعام سيقول الذين
أشركوا لو شاء الله ما أشركنا إلى قوله قل هل عندكم من علم
فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون والوجه
الثاني أنه تعالى حكى عنهم قبل هذه الآية أنواع كفرهم

فأولها

فأولها قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا وثانيها قوله تعالى
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وثالثها قوله تعالى
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلما حكى هذه الأقاويل بعضها على
إثر بعض ثبت أن القولين الأولين لما كانا كفرا محضا فكذلك هذا
القول الثالث يجب أن يكون كفرا واعلم أن الواحدي
رحمه الله أجاب في البسيط من وجهين الأول ما ذكره
الزجاج وهو أن قوله تعالى ما لهم بذلك من علم عائد إلى
قولهم الملائكة بنات الله والثاني أنهم أرادوا
بقولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم أنه أمرنا بذلك ورضي
بذلك فقررنا عليه فأنكر عليهم ذلك فهذا ما ذكره
الواحدي في الجواب وعندي هذان الوجهان ضعيفان
أما الأول فلأنه تعالى حكى عن القوم قولين باطلين
وبين وجه بطلانهما ثم حكى بعده مذهبا ثالثا في مسألة
أجنبية عن المسألتين الأوليين ثم حكم بالبطلان والوعيد
فصرف هذا الإبطال عن هذا الذي ذكره عقيبه إلى كلام
متقدم أجنبي عنه في غاية البعد وأما الوجه الثاني
فهو أيضا ضعيف لأن قوله لو شاء الله ما عبدناهم
ليس فيه بيان متعلق تلك المشيئة والإجمال خلاف الدليل
فوجب أن يكون التقدير لو شاء الله أن لا نعبدهم ما عبدناهم
وكلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فهذا يدل على أنه لم
توجد مشيئة الله لعدم عبادتهم وهذا عين مذهب المجبرة
فالإبطال والإفساد يرجع إلى هذا المعنى ومن الناس
من أجاب عن هذا الاستدلال بأن قال إنهم إنما ذكروا ذلك

الكلام على سبيل الاستهزاء والسخرية فلهذا السبب
استوجبوا الطعن والذم واجاب صاحب
الكشاف عنه من وجهين الاول انه ليس في اللفظ
ما يدل على انهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه
باطل الثاني انه تعالى حكى عنهم ثلاثة اشياء وهي
وهي انهم جعلوا له من عباده جزءا وانهم جعلوا الملائكة
اناثا وانهم قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو قلنا
بانا انما جاء الذم في القول الثالث لانهم قالوه
على طريق الهزء لا على سبيل الجد وجب ان يكون الحال في الحكايتين
الاوليين كذلك فيلزم انهم لو نطقوا بتلك الاشياء على
سبيل الجد ان يكونوا محقين ومعلوم انه كفر
واما القول بان الطعن في القولين الاولين انما
توجه على نفس ذلك القول وفي القول الثالث
لا على نفسه بل على ايراده على سبيل الاستهزاء
فهذا يوجب تشويش النظم وانه لا يجوز في كلام الله
واعلم ان الجواب الحق عندي عن هذا الكلام
ما ذكرناه في سورة الانعام وهو ان القوم انما ذكروا
هذا الكلام استدلوا بمشيئة الله تعالى للكفر على
انه لا يجوز ورود الامر بخلافه فلما اعتقدوا ان الامر
والارادة يجب كونهما متطابقين وعندنا ان هذا
باطل فالقوم لم يستحقوا الذم بمجرد قولهم ان الله يريد
الكفر من الكافر بل لاجل انهم قالوا لما اراد الكفر من الكافر
وجب ان يقبح منه امر الكافر بالايمان واذا صرفنا الذم والطعن

الى هذا المقام سقط استدلال المعتزلة بهذه الاية وتمام
التقرير مذكور في سورة الانعام والله اعلم المسئلة الرابعة
انه تعالى لما حكى عنهم ذلك المذهب الباطل قال ما لهم بذلك من علم
ان هم الا يخرصون وتفسيره ما تقدم قيل ان القوم يقولون
لما اراد الله الكفر من الكافر وخلقوا فيه ما اوجب ذلك الكفر
قبح منه ان يأمره بما لا يريد مثل هذا التكليف قبيح
في الشاهد فيكون قبيحا في الغائب فقال تعالى
ما لهم بذلك من علم اي ما لهم بصحة هذا القياس من علم وذلك
لان افعال الواحد منا واحكامه مبنية على رعاية المصالح
والمفاسد لاجل ان كل ما سوى الله تعالى فانه ينتفع بحصول
المصالح ويتضرر بحصول المفاسد فلا جرم ان صريح طبعه
وعقله يحمله على بناء احكامه وافعاله على رعاية المصالح
مع ظهور هذا الفارق العظيم فقوله تعالى ما لهم بذلك
من علم ثم قال ان هم الا يخرصون اي كما لم يثبت لهم
صحة ذلك القياس فقد ثبت بالبرهان القاطع مع كونهم
كذابين خراصين في ذلك القياس المنزه عن النفع والضرر من
كل الوجوه على المحتاج النفع المتضرر قياس باطل في
بديهة العقل ثم قال ام آتيناهم كتابا من قبله فهم
به مستمسكون يعني هذا القول الباطل الذي حكاه الله
عنهم عرفوا صحته بالعقل او بالنقل اما اثباته بالعقل
فهو باطل لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون
واما اثباته بالنقل فهو ايضا باطل لقوله ام آتيناهم
كتابا من قبله فهم به مستمسكون والضمير في قوله من قبله للقرآن

او للرسول والمعنى انهم وجدوا دلائل الباطل في كتاب من
قبل القرآن حتى جاز لهم ان يعولوا عليه وان يتمسكوا
به والمقصود منه ذكره في معرض الانكار ولما ثبت
انه لم يدل عليه لا دليل عقلي ولا دليل نقلي وجب
ان يكون القول به باطلا ثم قال بل قالوا انا وجدنا
آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون والمقصود
انه تعالى لما بين انه لا دليل على صحة ذلك القول البتة
بين انه ليس لهم حامل يحملهم عليه الا التقليد
المحض ثم بين ان تمسك الجهال بطريقة التقليد امر
كان حاصلا من قديم الزمان فقال وكذلك
ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها
انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون وفي الآية
مسائل **المسألة الاولى** قال صاحب الكشاف
قرئ امة بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد فالامة
الطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة
يكون عليها الآم وهو القاصد **المسألة الثانية** لو لم يكن
في كتاب الله الا هذه الآيات لكفت في ابطال القول بالتقليد
وذلك انه تعالى بين ان هؤلاء الكفار لم يتمسكوا في
اثبات ما ذهبوا اليه الا بتقليد الآباء والاسلاف وانه
ذكر تعالى هذه المعاني في معرض الذم والتهجين وذلك
يدل على ان القول بالتقليد باطل ومما يدل عليه ايضا من حيث
العقل ان التقليد امر مشترك فيه بين المبطل وبين
المحق وذلك لانه كما حصل لهذه الطائفة قوم من المقلدة فكذلك

حصل

حصل لاضدادهم اقوام من المقلدة فلو كان التقليد طريقا الى
الحق لوجب كون الشيء ونقيضه حقا ومعلوم ان ذلك باطل
المسألة الثالثة انه تعالى بين ان الداعي الى القول بالتقليد والحامل
عليه انما هو حب التنعم في طيبات الدنيا وحب الكسل
والبطالة وبغض تحمل كلفة النظر والاستدلال لانه قوله الا قال
مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة والمترف هو الذي اترفته النعمة
اي ابطرته فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويبغضون
تحمل المشاق في طلب الحق اذا عرفت هذا علمت ان رأس
جميع الآفات حب الدنيا واللذات الجسمانية ورأس جميع
الخيرات هو حب الله تعالى والدار الآخرة فلهذا قال صلى الله
عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ثم قال لرسوله
قل أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم اي بدين اهدى
من دين آبائكم فعند هذا حكى الله عنهم انهم قالوا انا ثابتون
على دين آبائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى واهدى
فانا بما ارسلتم به كافرون وان كان اهدى مما كنا عليه فعند هذا
لم يبق لهم عذر ولا علة فلهذا قال تعالى فانتقمنا منهم فانظر
كيف كان عاقبة المكذبين والمراد منه تهديد الكفار والله اعلم

قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه
انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية
في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم
الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون
اعلم انه تعالى لما بين في الآية المتقدمة انه ليس لاولئك الكفار داعية يدعوهم
الى تلك الاقاويل الباطلة الا تقليد الآباء والاسلاف ثم بين انه طريق

باطل ومنهج فاسد وان الرجوع الى الدليل اولى من الاعتماد
على التقليد اردفه بهذه الاية والمقصود منها ذكر وجه
آخر يدل على فساد القول بالتقليد وتقريره من وجهين
الاول انه تعالى حكى عن ابرهيم عليه السلام انه تبرا
عن دين ابائه بناء على الدليل فنقول اما ان يكون
تقليد الاباء في الاديان محرما او جائزا فان كان محرما
فقد بطل القول بالتقليد وان كان جائزا فمعلوم ان
اشرف اباء العرب هو ابرهيم عليه السلم وذلك لانهم
ليس لهم فخر ولا شرف الا بانهم من اولاده واذا كان
كذلك فتقليد هذا الاب الذي هو اشرف الاباء اولى
من تقليد ساير الاباء واذا ثبت ان تقليده اولى من
تقليد غيره فنقول انه ترك دين الاباء وحكم بان
اتباع الدليل اولى من متابعة الاباء واذا كان
كذلك وجب تقليده في ترك تقليد الاباء واذا ثبت ان
تقليده اولى من تقليد غيره فوجب تقليده في ترجيح
الدليل على التقليد واذا ثبت هذا فنقول فقد
ظهر ان القول بالتقليد باطل فهذا طريق دقيق في
ابطال التقليد وهو المراد من هذه الاية الوجه الثاني
في بيان ان ترك التقليد والرجوع الى متابعة الدليل
اولى في الدنيا وفي الدين انه تعالى بين ان ابرهيم
لما عدل عن طريقة ابيه الى متابعة الدليل لا جرم جعل الله
دينه ومذهبه باقيا في عقبه الى يوم القيمة واما اديان
اباءه فقد اندرست وبطلت فثبت ان الرجوع الى متابعة

الدليل يبقى محمود الاثر الى قيام الساعة وان التقليد والاصرار
ينقطع اثره ولا يبقى منه في الدنيا خبر ولا اثر فثبت من هذين
الوجهين ان متابعة الدليل وترك التقليد اولى فهذا
بيان المقصود الاصلي من هذه الاية ولنرجع الى تفسير الفاظ
الاية اما قوله انني براء مما تعبدون فقال الكسائي
والفراء والمبرد والزجاج من ائمة الكلام [illegible]
البراء مثل [illegible] الخلا ولا يقولون البراآن ولا البراؤون
ولا البراوات لان المعنى ذوا البراءة وذوو البراءة فان
قلت بري وخلي منه وجمعت [illegible] ثم استثنى خالقه
من البراءة فقال الا الذي فطرني والمعنى انا اتبرا
مما تعبدون الا من الله عز وجل ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن
فيكون المعنى لكن الذي فطرني فانه سيهدين اي سيرشدني
لدينه ويوفقني لطاعته واعلم انه تعالى حكى
عن ابرهيم عليه السلام في اية اخرى انه قال الذي
خلقني فهو يهدين وحكى عنه ههنا انه قال سيهدين
فاجمع بينهما وقدر كانه قال فهو يهدين وجعل ابرهيم
كلمة التوحيد التي تكلم بها وهو قوله لا اله الا الذي
فطرني جارية مجرى قول لا اله الا الله فكان مجموع قوله انني براء
مما تعبدون الا الذي فطرني قائما مقام لا اله الا الله ثم بين تعالى
ان ابرهيم جعل هذه الكلمة باقية في عقبه اي في ذريته
فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعوا الى توحيده لعلهم يرجعون
اي لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل
وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف وفي عقبه قال تعالى

بل

بل متعت هؤلاء يعني اهل مكة وهم من عقب ابراهيم
بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم
واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد
حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين من رسالته
واضح بما معه من الآيات والبينات فكذبوا به وسموه
ساحرا وما جاء به سحرا وكفروا وكفروا به ووجه
الذم انهم لما عولوا على تقليد الآباء ولم يتفكروا في
الحجة اغتروا بطول الامهال وامتاع الله اياهم
بنعم الدنيا عن مواعظ الحق قال صاحب الكشاف
ان قيل ما وجه من قرأ متعت بفتح التاء فلما كان
الله سبحانه وتعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها
كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون قال
بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في
الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك
المبالغة في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم
وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات
على التوحيد والايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا
فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على
نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك
اليه وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعل نفسه
قوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا
بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورحمت ربك خير مما يجمعون
اعلم ان هذا النوع الرابع من كفرياتهم التي حكاها الله عنهم

سببا في

ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا

في هذه السورة هؤلاء المساكين قالوا منصب الرسالة منصب شريف
فلا يليق الا برجل شريف وقد صدقوا في ذلك الا انهم
ضموا اليه مقدمة فاسدة وهي ان الرجل الشريف هو الذي
يكون كثير المال والجاه ومحمد ليس كذلك فلا يليق رسالة
الله به وانما يليق بهذا المنصب رجل عظيم الجاه كثير
المال في احد القريتين وهي مكة والطائف قال
المفسرون والذي بمكة هو الوليد بن المغيرة والذي بالطائف
هو عروة بن مسعود الثقفي ثم ابطل الله تعالى هذه
الشبهة من وجوه الاول قوله اهم يقسمون
رحمت ربك وتقرير هذا الجواب من وجوه احدها
انا اوقعنا التفاوت في مناصب الدنيا ولم يقدر
احد من الخلق على تغييره فالتفاوت الذي اوقعناه
في مناصب الدين والنبوة بان لا يقدروا على التصرف
فيه كان اولى فقوله نحن قسمنا ان يكون المراد اختصاص
ذلك المعنى بذلك المسلك الثاني ان لاجل حكمتنا وفضلنا
واحساننا فكيف يليق بالعقل ان نجعل احساننا
اليه بكثرة المال حجرا علينا في ان نحسن اليه ايضا بالنبوة
والثالث انا لما اوقعنا التفاوت في الاحسان
بمنافع الدنيا لا بسبب سابق فلم لا يجوز ايضا ان
يوقع التفاوت في الاحسان بمناصب الدين والنبوة لا بسبب
سابق فهذا تقرير الجواب ونرجع الى تفسير الالفاظ
فنقول الهمزة في قوله اهم يقسمون رحمت ربك
للانكار الدال على التجهيل والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا
هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال نحن

قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق
بعض درجات وفيه مسائل **المسئلة الاولى** انا
اوقعنا هذا التفاوت بين العباد في القوة والضعف
والعلم والجهل والحذاقة والبلاهة والشهرة والخمول
وانما فعلنا ذلك لانا لو سويناهم في كل هذه الاحوال
لم يخدم احد احدا ولم يصر احد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يفضي
ذلك الى خراب العالم وفساد نظام الدنيا ثم ان احدا من
الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج من قضائنا فاذا
عجزوا عن الاعراض عن حكمنا في احوال
الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يمكنهم الاعتراض على
حكمنا وقضائنا في تخصيص بعض العباد بمنصب النبوة والرسالة
المسئلة الثانية قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة
الدنيا يقتضي ان يكون كل معايشهم انما حصل بحكم الله
وتقديره وهذا يقتضي ان يكون الرزق الحرام والحلال
كله من الله والوجه الثاني في الجواب ما هو المراد من
قوله ورحمة ربك خير مما يجمعون وتفسيره ان الله تعالى
اذا خص بعض عبيده بنوع من انواع فضله ورحمته في الدين
فهذه الرحمة خير من الاموال التي يجمعونها لان الدنيا على
شرف الانقضاء والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى ابد
الاباد ٥ **قوله تعالى** ولولا ان يكون الناس
امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها
يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة
عند ربك للمتقين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا

تخصيص

فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم
مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد
المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم
في العذاب مشتركون وفي الاية مسائل
المسئلة الاولى اعلم انه تعالى اجاب عن الشبهة
التي ذكروها بناء على تفضيل الغني على الفقير بوجه ثالث
وهو انه تعالى بين ان منافع الدنيا وطيباتها حقيرة
ذليلة خسيسة عند الله وبين حقارتها بقوله ولولا
ان يكون الناس امة واحدة والمعنى لولا ان يرغب
الناس في الكفر اذا راوا الكفار في سعة من الخير والرزق
لاعطيتهم اكثر الاسباب المفيدة للتنعم فاحدها
ان يكون سقفهم من فضة وثانيها معارج من فضة
عليها يظهرون وثالثها ان يجعل لبيوتهم ابوابا
من فضة ورابعها سررا من فضة عليها يتكئون وخامسها
وزخرفا فيه تفسيران احدهما انه الزينة
والثاني انه الذهب بدليل قوله تعالى حتى اذا اخذت
الارض زخرفها وازينت فعلى القول الاول
يكون المعنى ونجعل لهم مع ذلك ذهبا كثيرا وعلى الثاني
انا نعطيهم زينة عظيمة في كل باب ثم بين تعالى ان كل
ذلك متاع الحيوة الدنيا وانما سماه متاعا لان الانسان
يستمتع به قليلا ثم ينقضي في الحال واما الاخرة
فهي باقية دائمة وهي عند الله تعالى وحكمه للمتقين عن
حب الدنيا المسئلة الثانية في هذا القول وحاصل الجواب ان ذلك

من

قالوا

الجهال ان الرجل الفقير اولى بمنصب الرسالة من محمد
صلى الله عليه وسلم بسبب فقره فبين تعالى ان المال
والجاه حقيران عند الله تعالى وانهما على سرعة الزوال
تحصيلهما لا يفيد حصول الشرف **المسئلة الثانية** قرا
ابن كثير وابو عمرو سقفا بفتح السين وسكون القاف
على لفظ الواحد لارادة الجنس كما قال في قوله تعالى
فخر عليهم السقف من فوقهم والباقون سقفا جمع سقوف
كرهن ورهون ورهن وزبور وزبر فهو جمع الجمع
المسئلة الثالثة قوله تعالى لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
فقوله لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر
قال صاحب الكشاف قرئ ومعارج والمعارج
جمع معراج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي
العالية كالدرج والسلالم عليها يظهرون اي على
تلك المعارج يظهرون وفي نصب قوله وزخرفا قولان
جعلنا لبيوتهم سقفا من فضة ولجعلنا لهم زخرفا والثاني
من فضة وزخرف فلما حذف الخافض انتصب واما قوله
وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا قرا عاصم وحمزة لما بتشديد
الميم والباقون بالتخفيف واما من قرا بالتشديد فانه
جعل لما في معنى الا وحكى سيبويه انشدك بالله
لما فعلت بمعنى الا فعلت ويقوي هذه القراءة ان في حرف ابي وما ذلك
الا متاع الحيوة الدنيا وهو زائد على ان لما بمعنى
الا واما القراءة بالتخفيف فعلى [illegible] ما لغو
والتقدير لمتاع الحيوة الدنيا قال ابو الحسن الوجه التخفيف

لان

لان لما في معنى الا لا تعرف وحكي عن الكسائي انه قال
لا اعرف وجه التثقيل والله اعلم **المسئلة الرابعة** قالت
المعتزلة دلت الاية على انه تعالى انما لم يعط الناس من نعم الدنيا
لاجل انه لو فعل بهم ذلك لدعاهم ذلك الى الكفر فهو تعالى
لم يفعل بهم ذلك لاجل ان لا يدعوهم الى الكفر فهذا
يدل على احكام احدها انه اذا لم يفعل بهم ذلك
ارادة للكفر ولعلمهم ذلك دل ذلك على انه يجب
ان يفعل بهم كل ما كان لطفا داعيا لهم الى الايمان
فصارت هذه الاية بتقرير هذا الوجه دالة على انه
يجب على الله فعل اللطف وثانيها انه تدل هذه
الاية على ان الله تعالى يفعل ما يفعله ويترك ما يتركه
لاجل حكمة ومصلحة وذلك يدل على تعليل
احكام الله وافعاله بالمصالح والعلل فان قيل
لما بين تعالى انه لو فتح على الكافر ابواب النعم لصار ذلك
سببا لاجتماع الناس على الكفر فلم لم يفعل ذلك
بالمسلمين حتى يصير ذلك سببا لاجتماع الناس على
الاسلام قلنا لان الناس على هذا التقدير
كانوا يجتمعون على الاسلام لطلب الدنيا وهذا
الايمان ايمان المنافقين وكان الاصوب ان يضيق
الامر على المسلمين حتى ان كل من دخل الاسلام
فانما يدخل لمتابعة الدليل ولطلب رضوان الله تعالى
فحينئذ يعظم ثوابه لهذا السبب ثم قال ومن
يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين
والمقصود من القصة على افات الدنيا وذلك لان من فاز

بالمال والجاه صارت لا تعشى عن ذكر الله ومن صار كذلك
صار من جلساء الشيطان الضالين المضلين فهذا وجه
تعلق هذا الكلام بما قبله قال صاحب الكشاف
قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما أنه إذا
حصلت الآفة في بصره قيل عشي وإذا نظر نظر العشي ولا
آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به آفة وعرج لمن مشى مشية
العرجان من غير عرج قال الحطيئة
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... أي تنظر إليها نظر
العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع
الضوء وقرئ يعشو على أن من موصولة غير متضمنة
معنى الشرط وحق هذا القارئ أن يرفع نقيض ومن
متضمنة معنى القراءة بالفتح ومن يعش عن ذكر الرحمن وهو القرآن
كقوله صم بكم عمي وأما القراءة بالضم فمعناه ومن
يتعام عن ذكره أي يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتعامى
كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا
نقيض له شيطانا قال مقاتل يعني نضم إليه شيطانا
فهو له قرين ثم قال وإنهم ليصدونهم عن السبيل
يعني وإن الشياطين ليصدونهم عن سبيل الهدى والحق وذكر
عن الإنسان والشيطان بلفظ الجمع لأن قوله ومن
يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا يفيد الجمع وإن كان
اللفظ على الواحد ويحسبون أنهم مهتدون ثم عاد
إلى لفظ الواحد فقال حتى إذا جاءنا يعني الكافر وشيطانه
روي أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبره أخذ شيطان
بيده فلم يفارقه حتى يصيرهما الله إلى النار فلذلك يقول

يا ليت

يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وذكروا فيه وجوها
الأول قال الأكثرون المراد بعد المشرق والمغرب
ومن عادة العرب تسمية الشيئين المتقابلين باسم أحدهما
قال الفرزدق
لنا قمراها والنجوم الطوالع ... يريد الشمس
والقمر ويقولون للكوفة والبصرة البصرتان وللغداة والعصر
العصران ولأبي بكر وعمر العمران وللماء والتمر الأسودان
الثاني أن أهل النجوم يقولون الحركة التي تكون من المشرق
إلى المغرب هي حركة الفلك الأعظم والحركة التي من المغرب
إلى المشرق هي حركة الكواكب الثابتة وحركة
الأفلاك الممثلة التي للسيارات سوى القمر وإذا كان كذلك
فالمشرق والمغرب كل واحد منهما مشرق بالنسبة إلى
شيء ومغرب بالنسبة إلى شيء آخر فثبت أن إطلاق لفظ
المشرق على واحد من الجهتين حقيقة الثالث
قالوا يحمل ذلك على مشرق الصيف ومشرق الشتاء
وبينهما بعد عظيم وهذا عندي بعيد لأن المقصود من
قوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين المبالغة في حصول
البعد وهذه المبالغة إنما تحصل عند ذكر بعد لا يمكن
وجود بعد أزيد منه والبعد بين مشرق الصيف ومشرق
الشتاء ليس كذلك فيبعد حمل اللفظ عليه الرابع
وهو أن الحس يدل على أن الحركة اليومية إنما تحصل
بطلوع الشمس من المشرق إلى المغرب وأما المغرب
ثم لا يزال يتقدم إلى جانب المشرق وذلك على أن حركة

[illegible]

القمر هو المغرب فاذا ثبت هذا فالجانب المسمى بالمشرق فانه
مشرق الشمس ولكنه مغرب القمر واما الجانب المسمى
بالمغرب فانه مشرق القمر ولكنه مغرب الشمس وبهذا
التقدير يصح تسمية المشرق والمغرب بالمشرقين ولعل
هذا الوجه اقرب لمطابقة اللفظ ورعاية المقصود
من سائر الوجوه والله اعلم ۝ ثم قال تعالى
فبئس القرين اي انك قد يقول لذلك الشيطان يا ليت بيني
وبينك بعد المشرقين فبئس القرين انت هذا ما يتعلق
بتفسير الالفاظ والمقصود من هذا الكلام
بيان تحقير الدنيا وبيان ان في المال والجاه من المضار
العظيمة وذلك لان كثرة المال والجاه يجعل الانسان
كالاعشى عن مطالعة ذكر الله تعالى ومن صار كذلك
صار جليسا للشيطان ومن صار كذلك ضل عن سبيل الهدى
والحق وبقي جليس الشيطان في الدنيا وفي القيامة ومجالسة
الشيطان حالة توجب الضرر الشديد في الاخرة حيث يقول
الكافر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين
فثبت بما ذكرنا ان كثرة المال والجاه توجب كمال النقصان
والحرمان في الدين والدنيا فاذا اظهر هذا فقد ظهر ان الذين قالوا
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قالوا كلاما
فاسدا وشبهة باطلة والله اعلم ثم قال تعالى
ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون قوله
انكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم اليوم كونكم
مشتركين في العذاب والسبب فيه ان الناس يقولون المصيبة

اذا

اذا عمت طابت وقال في هذا المعنى
ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي
فلا يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس عنه بالتاسي
فبين تعالى ان حصول الشركة في ذلك العذاب لا يفيد
التخفيف كما كان يفيد في الدنيا والسبب فيه وجوه
الاول ان ذلك العذاب الشديد عظيم فاشتغال
كل واحد بنفسه يذهله عن حال الاخر فلا جرم الشركة لا تفيد
الخفة والثاني ان قوما اذا اشتركوا في العذاب
اعان كل واحد منهم صاحبه بما قدر عليه فيحصل بسببه بعض
التخفيف وهذا المعنى متعذر في القيامة الثالث ان
جلوس الانسان مع قرينه يفيد انواعا كثيرة من السلوة
فبين تعالى ان الشيطان وان كان قرينا له الا ان مجالسته
في القيامة لا توجب السلوة وخفة العقوبة وفي كتاب مجاهد
ان ابن عامر قرأ اذ ظلمتم انكم بكسر الالف والفاعل
انكم بفتح الالف والله تعالى اعلم ۝ قوله تعالى
افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال
مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي
وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ۝ فاستمسك بالذي
اوحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك
وسوف تسألون واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون
الرحمن آلهة يعبدون ۝ اعلم انه تعالى لما وصفهم
في الآية المتقدمة بالعشى وصفهم في هذه الآية بالصمم
والعمى وما احسن هذا الترتيب وذلك ان الانسان في

اولا لا اشتغاله بطلب الدنيا يكون كمن حصل بعينه رمد ضعيف
ثم كلما كان اشتغاله بتلك الاعمال اكثر كان ميله الى الجسمانيات
اشد واعراضه عن الروحانيات اكمل لانه ثبت في علوم العقلا ان كثرة
الاعمال توجب حصول الملكات الراسخة فيصل الانسان من الرمد
الى ان يصير اعمى فاذا واظب على تلك الحالة انا ما اخرا يصير من
اعشى الى كونه اعمى فهذا ... حسنوا ... بالبراهين
البينة روي انه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في دعاء قومه وهم لا
يزيدون الا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فقال افانت
تسمع الصم او تهدي العمي يعني انهم في النفرة عنك وعن دينك
الى حيث اذا اسمعتهم القران كانوا كالاصم واذا اريتهم المعجزات
كانوا كالاعمى ثم بين تعالى ان دعوته لا تؤثر في قلوبهم فقال
فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون بعدك او نرينك الذي
وعدناهم فانا عليهم مقتدرون في حياتك ما وعدناهم
من الذل والقتل فانا عليهم مقتدرون يعني ذلك واعلم
ان هذا الكلام يفيد كمال التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم لانه تعالى
بين انهم لا ينتفعون بدعوته والياس احدى الراحتين ثم بين
انه لا بد وان ينتقم لاجله منهم اما حال حياته واما بعد
وفاته وذلك ايضا يوجب التسلية فعند هذا امره بان
يتمسك بما امره الله به فقال فاستمسك بالذي اوحي اليك
بان تعتقد انه حق وبان تعمل بموجبه فانه الصراط المستقيم
الذي لا يميل عنه الا ضال في الدين ولما بين بامر التمسك بهذا
الدين اصالح الدين بين انه ايضا سبب لمنافع الدنيا فقال وانه
لذكر لك ولقومك اي انه يوجب الشرف العظيم لك ولقومك حيث يقال
ان هذا الكتاب العظيم انزله الله على رجل من قومهم واعلم

ان

ان هذه الاية تدل على ان الانسان لا بد وان يكون عظيم الرغبة في
الثنا الحسن والذكر الجميل ولو لم يكن الذكر الجميل امرا
مرغوبا فيه لما من الله تعالى به على محمد صلى الله عليه وسلم
فقال وانه لذكر لك ولقومك ولما طلبه ابرهيم
صلى الله عليه وسلم حيث قال واجعل لي لسان
صدق في الاخرين ولان الذكر الجميل قائم مقام الحيوة
الشريفة بل الذكر افضل من الحيوة لان اثر الحيوة لا يحصل
الا في مسكن ذلك الحي اما اثر الذكر الجميل فانه يحصل
في كل زمان وفي كل مكان ثم قال تعالى وسوف
تسألون فيه وجوه الاول قال الكلبي تسألون هل
اديتم شكر انعامنا عليكم بهذا الذكر الجميل الثاني
قال مقاتل المراد ان من كذب به يسأل لم كذبه فيسأل
سؤال توبيخ الثالث تسألون هل عملتم بما دل عليه القران
من التكاليف ۝ واعلم ان السبب الاقوى في
انكار الكفار لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولبغضهم له انه
كان ينكر عبادة الاصنام فبين تعالى ان انكار عبادة الاصنام
ليس من خواص دين محمد صلى الله عليه وسلم بل كل الانبياء
والرسل كانوا مطبقين على انكارها فقال واسأل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون
وفيه اقوال الاول معناه واسأل مؤمني اهل الكتاب
اي اهل التورية والانجيل فانهم سيخبرونك انه لم يرد في
دين احد من الانبياء عبادة الاصنام واذا كان

هذا الأمر المتفق عليه بين كل الأنبياء والرسل وجدان
لا يجعلون شيئا لبغض محمد صلى الله عليه وسلم والقول
الثاني قال عطاء عن ابن عباس لما أسري بالنبي
صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى بعث الله تعالى له
آدم وجميع المرسلين من ولده فأذن جبريل ثم أقام وقال
يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الصلاة قال له جبريل يا محمد سل من أرسلنا من قبلك
من رسلنا الآية فقال صلى الله عليه وسلم لا أسأل
لأني لست شاكا فيه والقول الثالث ذكر
السؤال في موضع لا يمكن السؤال فيه يكون المراد منه
النظر والاستدلال كقول من قال سل الأرض
من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإنها إن
لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا فههنا سؤال النبي
صلى الله عليه وسلم والقول الرابع قال عطاء عن
الأنبياء الذين كانوا قبل محمد وكان المراد منه النظر في
هذه المسألة بعقلك وتدبرها بفهمك والله أعلم

قوله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون
وملائه فقال إني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا
إذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها
وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا أيه
الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون فلما كشفنا
عنهم العذاب إذا هم ينكثون ونادى فرعون في قومه
قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من

تحتي أفلا

تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا
يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه
الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا
قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين
فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين في الآية مسائل

المسألة الأولى اعلم أن المقصود من إعادة قصة موسى
في هذا المكان تقدم وذلك لأن كفار قريش
طعنوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب كونه فقيرا
عديم المال والجاه فبين الله تعالى أن موسى عليه السلام
بعد أن أورد المعجزات القاهرة الباهرة التي لا يشك في صحتها
عاقل أورد فرعون عليه هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش
فقال إني غني كثير المال والجاه ألا ترون أنه حصل
لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي وأما موسى فإنه
فقير مهين وليس له بيان ولسان والرجل الفقير كيف
يكون رسولا من عند الله الملك الكبير فثبت أن هذه
الشبهة التي ذكرها كفار قريش وهي قولهم لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم قد أوردها بعينها فرعون
على موسى ثم إنا انتقمنا منهم فأغرقناهم والمقصود من إيراد
هذه القصة تقرير أمرين أحدهما أن الكفار والجهال
أبدا يحتجون على الأنبياء بهذه الشبهة الركيكة ولا
يبالون بها ولا يلتفتون إليها والثاني أن فرعون على غاية كمال
حاله في الدنيا صار مقهورا باطلا فيكون الأمر في حق أعدائك
هكذا فصح أنه ليس المقصود من إعادة هذه القصة عين ما

القصة بل المقصود تقرير الجواب عن الشبهة المذكورة
وعلى هذا فلا يكون تكريرا للقصة البتة وهذا من نفائس
الابحاث والله اعلم ٥ المسئلة الثانية في تفسير الالفاظ
ذكر تعالى انه ارسل موسى باياته وهي المعجزات
التي كانت مع موسى الى فرعون وملائه اي قومه فقال
موسى اني رسول رب العالمين فلما جاءهم بتلك الايات اذا هم
منها يضحكون قيل انه لما القى عصاه فصارت ثعبانا
ثم اخذه فصار عصى كما كان ضحكوا ولما عرض عليهم
اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا فان قيل كيف
جاز ان يجاب لما باذا التي هي للمفاجاة قلنا لان
فعل المفاجاة معها مقدر كانه قيل فلما جاءهم باياتنا
فاجاوا وقت ضحكهم ثم قال وما نريهم من اية الا هي اكبر من
اختها فان قيل ظاهر هذا اللفظ يقتضي كون
كل واحد منها افضل من الباقي وذلك محال قلنا اذا اريد
المبالغة في كون كل واحد من تلك الاشياء بالغا الى اقصى
الدرجات في الفضيلة فقد يذكر هذا الكلام بمعنى
انه لا يبعد في الناس ينظرون اليها ان يقولوا ان
هذا افضل من الباقي وان يقول الثاني لا بل الثاني افضل
وان يقول الثالث لا بل الثالث افضل وحينئذ يصير كل
واحد من تلك الاشياء مقولا فيه انه افضل من غيره ثم قال
واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون عن الكفر الى الايمان
قالت المعتزلة هذا يدل على انه تعالى يريد الايمان
من الكل وانه انما اظهر تلك المعجزات القاهرة لارادة ان يرجعوا
من الكفر الى الايمان قال المفسرون معنى قوله

فاخذناهم بالعذاب الاشياء التي سلطها عليهم كالطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس ثم قال تعالى
وقالوا يا ايه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا
لمهتدون فان قيل كيف سموه بالساحر مع قولهم اننا
لمهتدون قلنا فيه وجوه الاول انهم كانوا يسمون
العالم الماهر ساحرا لانهم يستعظمون السحر وكما يقال في
زماننا في العمل العجيب الكامل انه اتى بالسحر الثاني يا ايه الساحر
في زعم الناس ومتعارف قوم فرعون كقوله وقالوا يا ايها الذي
نزل عليه الذكر انك لمجنون اي نزل عليه الذكر في اعتقاده
وزعمه الثالث ان قولهم اننا لمهتدون وعد منوي
اخلافه الا ترى الى قوله فلما كشفنا عنهم
العذاب اذا هم ينكثون فتسميتهم اياه بالساحر لا تنافي
قولهم اننا لمهتدون ثم انه تعالى لما كشف عنهم العذاب
نكثوا ذلك العهد ولما حكى الله تعالى معاملة قوم
فرعون مع موسى حكى ايضا معاملة فرعون معه فقال ونادى
فرعون في قومه والمعنى انه اظهر هذا القول فقال
يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من
تحتي يعني الانهار التي فصلوها من النيل ومعظمها نهر الملك ونهر
طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري
تحت قصره وحاصل الامر انه احتج بكثرة امواله وقوة
جاهه على فضيلة نفسه ثم قال ام انا خير من هذا
الذي هو مهين ولا يكاد يبين حبسة كانت في لسانه واختلفوا
في معنى ام ههنا فقال ابو عبيدة مجازها بل انا خير وعلى هذا ا

فقد تم الكلام عند قوله ولا يبصرون ثم ابتدأ فقال أنا خير
بمعنى بل أنا خير وقال الباقون أم هذه متصلة لأن المعنى
أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون
لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وقال آخرون إن تمام
الكلام عند قوله أم وقوله أنا خير ابتداء الكلام والتقدير
أفلا تبصرون أم تبصرون لكنه اكتفى بلفظ أم كما تقول لغيرك
أتأكل أم أي أتأكل أم لا تأكل لكنك تقتصر على كلمة أم إيثارا
للاختصار فكذا ههنا فإن قيل أليس أن موسى عليه السلم
سأل الله أن يزيل الرتة عن لسانه بقوله واحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي فأعطاه الله ذلك بقوله تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى
فكيف عابه فرعون بتلك الرتة والجواب من وجهين الأول
أن فرعون أراد بقوله ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه
فيما يدعي ولم يرد أنه لا قدرة له على الكلام والثاني
أنه عابه بما كان عليه أولا وذلك أن موسى عليه السلام كان عند
فرعون زمانا طويلا وفي لسانه حبسة فنسبه فرعون إلى
ما عهده عليه من الرتة لأنه لم يعلم أن الله أزال ذلك العيب
عنه ثم قال فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب والمراد أن
عادة القوم جرت بأنهم إذا جعلوا واحدا منهم رئيسا لهم سوروه
بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب وطلب فرعون من موسى
عليه السلام مثل هذه واختلف القراء فقرأ بعضهم
أسورة وبعضهم أساورة وأسورة جمع سوار لأدنى
العدد كقولك حمار وأحمرة وغراب وأغربة ومن قرأ أسورة فذاك

لأن أساور جمع أسوار وهو السوار وأساورة تكون الهاء عوضا من الياء نحو
بطريق وبطارقة وزنديق وزنادقة وفرزين وفرازنة فيكون أساورة
جمع أسوار وحاصل الكلام يرجع إلى حرف واحد وهو أن فرعون كان يقول
أنا أكثر مالا وجاها فوجب أن أكون أفضل منه فيمتنع كونه من الله
لأن منصب النبوة يقتضي المخدومية والأخس لا يكون مخدوما للأشرف
ثم المقدمة الفاسدة هي قوله من كان أكثر مالا وجاها فهو أفضل
وهي عين المقدمة التي تمسك بها كفار قريش في قولهم لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ثم قال أو جاء معه الملائكة
مقترنين يجوز أن يكون المراد متقارنين من قولك قرنته به
فاقترن به وأن يكون من قولهم اقترنوا بمعنى تقارنوا قال
الزجاج معناه يمشون معه فيدلون على صحة نبوته ثم قال
فاستخف قومه فأطاعوه أي طلب منهم الخفة في الإتيان بما كان
يأمرهم به فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين حيث أطاعوا ذلك
الفاسق الجاهل فلما آسفونا أغضبونا حكي أن ابن جريج غضب
في شيء فقيل له الغضب يا أبا خالد فقال قد غضب الذي خلق الأحلام
إن الله تعالى يقول فلما آسفونا أي أغضبونا ثم قال تعالى
انتقمنا منهم واعلم أن ذكر لفظ الأسف في حق الله
تعالى
وذكر لفظ الانتقام كل واحد منهما من المتشابهات التي
يجب أن يصار فيها إلى التأويل ومعنى الغضب في حق الله تعالى
إرادة العقاب ومعنى الانتقام إرادة العقاب لجرم سابق
ثم قال تعالى فجعلناهم سلفا السلف كل ما قدمته من عمل صالح
أو قرض فهو سلف والسلف أيضا من تقدم من آبائك وأقاربك
واحدهم سالف ومنه قول طفيل يرثي قومه ۝

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم وصرف المنايا بالرجال يقلب

يقلب هذا قال الفراء والزجاج يقولون جعلناهم متقدمين

ليتعظ بهم الآخرون اي جعلناهم لكفار امة محمد صلى الله

عليه وسلم في النار اقرا سلفا بالفتح وهو جمع سالف كما ذكرناه

وقرا حمزة والكسائي سلفا بالضم وهو جمع سليف اي فريق قد سلف وقوله

ومثلا للآخرين يريد عظة لمن بقي بعدهم وآية وعبرة ن

قال ابو علي الفارسي المثل واحد يراد به الجمع ومن ثم

عطف على سلف والدليل على وقوعه على اكثر من واحد في قوله تعالى

ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه فادخل

في المثل شيئين والله اعلم ن **قوله تعالى**

ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا

آلهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون

ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو

نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم

للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم

ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ن وفي الآية

مسائل و **المسئلة الاولى** اعلم انه تعالى ذكر انواعا

كثيرة من كفرياتهم في هذه السورة واجاب عنها

بالوجوه الكثيرة فاولها قوله وجعلوا له من عباده جزءا

وثانيها قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا

وثالثها قولهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ورابعها

قوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من

القريتين عظيم وخامسها هذه الآية التي نحن الآن

في تفسيرها ولفظ الآية لا يدل الا على انه لما ضرب ابن مريم

مثلا اخذ القوم يضحكون ويرفعون اصواتهم فاما ان ذلك

المثل كيف كان وفي اي شيء كان فاللفظ لا يدل عليه والمفسرون

ذكروا فيه وجوها كلها محتملة فالاول ان الكفار لما سمعوا ان

النصارى يعبدون عيسى قالوا اذا عبدوا عيسى فآلهتنا خير

من عيسى وانما قالوا ذلك لانهم كانوا يعبدون الملائكة الثاني

روي انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله

حصب جهنم قال عبد الله بن الزبعرى هذا خاصة لنا ولآلهتنا

ام لجميع الامم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل لجميع الامم

فقال خصمتك ورب الكعبة الست تزعم ان عيسى

ابن مريم نبي وتثني عليه وعلى امه خيرا وقد علمت ان النصارى

يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء

في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت

النبي صلى الله عليه وسلم وفرح القوم وضحكوا وضجوا فانزل الله تعالى

ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ونزلت

هذه الآية ايضا فالمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم

مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه اذا

اذا قومك قريش منه اي من هذا المثل يصدون يرتفع لهم ضجيج

وجلبة فرحا وجذلا وضحكا بسبب ما رأوا من سكوت النبي

صلى الله عليه وسلم فانه قد جرت العادة بان احد الخصمين

اذا انقطع اظهر الخصم الثاني الفرح والضجيج وقالوا آلهتنا

خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا يعنون ان آلهتنا عندك ليست

خيرا من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان امر آلهتنا هون

الوجه الثالث في التاويل وهو ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما حكى ان النصارى عبدوا المسيح وجعلوه
الها لانفسهم قالت كفار مكة ان محمدا يريد ان يجعله
لنا الها كما جعل النصارى المسيح الها لانفسهم ثم عند
هذا قالوا الهتنا خير ام هو ذكروا ذلك لاجل
التهمة لو ان محمدا يدعونا الى عبادة نفسه وآباءنا وما
زعموا انه يجب عبادته من الاصنام واذا كان لا بد
من احد هذين الامرين فهذه الاصنام اولى لان
اباءنا واسلافنا كانوا مطابقين عليه واما محمد فانه
متهم في امرنا بعبادته فكان الاشتغال بعبادة الاصنام
اولى ثم انه تعالى لم يقل ان الاشتغال بعبادة المسيح
طريق حسن بل هو كلام باطل وان عيسى ليس الا عبد
انعمنا عليه واذا كان الامر كذلك فقد زالت شبهتهم
في قولهم ان محمدا يريد بامرنا بعبادة نفسه فهذه
الوجوه الثلاثة ما يحتمل كل واحد منها لفظ الاية

تعالى

المسئلة الثانية قرا نافع وابن عامر والكسائي وابو بكر
عن عاصم يصدون بضم الصاد وهي قراءة علي عليه السلام
والباقون بكسر الصاد وهي قراءة ابن عباس واختلفوا
فقال الكسائي هما بمعنى يعرشون ويعرشون ويعكفون
ويعكفون ومنهم من فرق فقال اما القراءة بالضم فمن
الصدود اي من اجل هذا المثل يصدون عن الحق اي
يعرضون عنه واما بالكسر فمعناه يضجون المسئلة

قرا عاصم وحمزة والكسائي االهتنا استفهام بهمزتين
مطولة والباقون استفهاما بهمزة ومدة ثم قال تعالى
ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون اي ما ضربوا لك
هذا المثل الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب
الفرق بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون ماهرون في الخصومة
وذلك لان قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله لا يتناول
الملائكة وعيسى ويتبين من وجوه الاول ان كلمة
ما لا تتناول العقلاء البتة والثاني ان كلمة ما ليست
صريحة في الاستغراق بدليل انه يصح ادخال لفظي الكل
والبعض عليه فيقال انكم وكل ما تعبدون من دون الله
انكم وبعض ما تعبدون من دون الله هب انه عام الا ان
النصوص الدالة على تعظيم الملائكة وعيسى اخص منه والخاص
على العام ق القائلون بذم الجدل
تمسكوا بهذه الاية فقد ذكرنا في قوله تعالى ما يجادل
في ايات الله الا الذين كفروا ان الايات الكثيرة دالة
على ان الجدل موجب للمدح والثناء وطريق التوفيق
ان يصرف تلك الايات الى الجدل الذي يفيد تقرير الحق
وان يصرف هذه الاية الى الجدل الذي يوجب تقرير الباطل
ثم قال تعالى ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه
مثلا لبني اسرائيل يعني ما عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا
عليه حيث جعلناه اية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا
ادم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة كالمثل السائر
ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة

خلفوكم في الارض خلفا لكم او لادكم كما ولدنا عيسى من ام من
غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعرفوا
ان دخول التوليد والتولد في الملائكة امر ممكن وذات الله تعالى
متعالية عن ذلك وانه لعلم للساعة وان عيسى لعلم للساعة
اي شرط من اشراطها تعلم به مسمى الشرط الذي علم على
الشيء علما لحصول العلم به وقرا ابن عباس لعلم وهو
العلامة وقرا للعلم وقرا للذكر وفي الحديث
ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية من الارض المقدسة
يقال لها افيق وبيده حربة وبها يقتل الدجال فياتي
بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والامام يؤم بهم
فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة
محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب
ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من امن به فلا
تمترن بها من المرية وهو الشك واتبعون واتبعوا
هداي وشرعي هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم
الشيطان انه لكم عدو مبين قد بانت عداوته
لكم لاجل انه الذي اخرج اباكم من الجنة ونزع عنه
لباس النور **قوله تعالى** ولما جاء عيسى
بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم بعض الذي
تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب
من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون
الا الساعة ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون اعلم ان الله تعالى

ذكر انه لما جاء عيسى بالمعجزات وبالشرائع البينات الواضحات
قال قد جئتكم بالحكمة وهي معرفة ذات الله وصفاته وافعاله
ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه يعني ان قوم موسى كانوا
قد اختلفوا في اشياء من احكام التكاليف واتفقوا على
اشياء فجاء عيسى ليبين لهم الحق في تلك المسائل الخلافية
وبالجملة فالحكمة معناها اصول الدين وبعض الذي
تختلفون فيه معناه فروع الدين فان قيل لم لم
يبين لهم كل الذي يختلفون فيه قلنا لان الناس
قد يختلفوا في اشياء لا حاجة لهم الى معرفتها فلا يجب
على الرسول بيانها ولما بين الاصول والفروع قال
فاتقوا الله من الكفر به والاعراض عن دينه واطيعون
فيما ابلغه اليكم من التكاليف ان الله هو ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم والمعنى ظاهر فاختلف
الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم الملكانية واليعقوبية والنسطورية
وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم
اليم وهو وعيد للاحزاب فان قيل قوله من بينهم
الضمير فيه الى من يرجع قلنا الى الذين خاطبهم عيسى في قوله
قد جئتكم بالحكمة وهم قومه ثم قال هل ينظرون
الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقوله ان تاتيهم بدل
من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة فان
قالوا قوله بغتة يفيد عين ما يفيده قوله وهم لا يشعرون
فما الفائدة قلنا يجوز ان تاتيهم بغتة وهم يعرفونه بسبب
انهم يشاهدونه **قوله تعالى** الاخلاء يومئذ

بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عبادي لا خوف عليكم
اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين
ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم
بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الانفس
وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها
بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون اعلم ان الله تعالى
لما قال هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة
ذكر عقيبه بعض ما يتعلق باحوال القيامة فاولها
قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
يعني ان الخلة اذا كانت على المعصية والكفر
صارت عداوة يوم القيامة الا المتقين يعني الموحدين
الذين يخالل بعضهم على الايمان والتقوى فان خلتهم
لا تصير عداوة وللحكماء في تفسير هذه الآية
طريق حسن قالوا ان المحبة طريق لا تحصل الا عند
اعتقاد حصول خير او دفع ضرر فمتى وجد
هذا الاعتقاد حصلت المحبة لا محالة ومتى اعتقد
انه يوجد ضرورة حصل المحبة اما ان يكون قابلة
للتغير والتبدل او لا يكون كذلك فان كان الواقع هو
القسم الاول وجب ان تتبدل تلك المحبة بالنفرة لان
تلك المحبة انما حصلت بالاعتقاد لحصول الخير والراحة
فاذا زال ذلك الاعتقاد وحصل عقيب اعتقاده ان الحاصل
هو الضرر والالم وجب تبدل المعلول اما اذا كانت
الخيرات الموجبة للمحبة خيرات باقية ابدية غير قابلة للتبدل

والتغير كانت تلك المحبة ايضا محبة باقية امنة من التغير
اذا عرفت هذا الاصل فنقول الذين حصلت بينهم
مودة ومحبة في الدنيا ان كانت تلك المحبة لاجل الدنيا صارت
سببا لحصول الالم والآفات في يوم القيامة فلا جرم تصير
هذه المحبة الدنيوية بغضة ونفرة في القيامة اما اذا كان
الموجب لحصول المحبة في الدنيا الاشتراك في محبة الله تعالى
وفي خدمته وطاعته فهذا السبب غير قابل للنسخ والتغير
فلا جرم كانت هذه المحبة باقية في القيامة بل كأنها
تصير اقوى واصفى واكمل وافضل مما كانت في الدنيا
فهذا هو التفسير المطابق لقوله تعالى الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين

الحكم الثاني من احكام يوم القيامة

قوله تعالى يا عبادي لا خوف عليكم اليوم
ولا انتم تحزنون وقد ذكرنا مرارا ان عادة
القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين
المطيعين المتقين فقوله يا عبادي كلام الله تعالى
وكان الحق يخاطبهم بنفسه ويقول لهم يا عبادي لا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون وفيه انواع كثيرة مما يوجب
الفرح اولها ان الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه
من غير واسطة وثانيها انه تعالى وصفهم بالعبودية
وهذا تشريف عظيم بدليل انه لما اراد تشريف محمد صلى الله
عليه وسلم في ليلة المعراج قال عنه سبحان الذي اسرى

بعده وبالشها قوله لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون فنفى عنهم الحزن بسبب فوت الدنيا الماضية
ثم قال تعالى الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين
قيل الذين امنوا مبتدا وخبره مضمر والتقدير يقال
لهم ادخلوا الجنة ويحتمل ان يكون المعنى اعني
الذين امنوا قال مقاتل اذا وقع الخوف
يوم القيمة نادى مناد يا عبادي لا خوف عليكم
اليوم فاذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤسهم
فيقال الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فتنكس
اهل الاديان الباطلة رؤسهم ٥ لحكم
[illegible] وقايع يوم القيمة
انه تعالى اذا امن يوم القيمة من الخوف والحزن
وجب ان يمر حسابهم على اسهل الوجوه على احسنها
ثم يقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون ٥
الحبرة المبالغة في الاكرام على اسهل الوجوه
وعلى احسنها ثم يقال لهم ادخلوا الجنة يعني
تكرمون اكراما على سبيل المبالغة وهذا مما سبق تفسيره
في سورة الروم ثم قال يطاف عليهم بصحاف
من ذهب واكواب قال الفراء الكوب المستدير
الراس الذي لا اذن له فقوله يطاف عليهم
بصحاف من ذهب اشارة الى المطعوم وقوله واكواب
اشارة الى المشروب ثم انه تعالى ذكر التفصيل وذكر
بما

بما ياكلها فقال وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
وانتم فيها خالدون ثم قال وتلك الجنة التي اورثتموها
بما كنتم تعملون وقد ذكرنا في وراثة الجنة معنيين
في تفسير قوله تعالى اولئك هم الوارثون الذين يرثون
الفردوس ولما ذكر الطعام والشراب فيما تقدم ذكر
هاهنا حال الفاكهة فقال لكم فيها فاكهة كثيرة منها
تاكلون واعلم انه تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
الى العرب اولا ثم الى العالمين ثانيا والعرب كانوا في
ضيق شديد بسبب الماكول والمشروب والفاكهة
فلهذا السبب فصل الله هذه المعاني مرة بعد
اخرى تكميلا لرغباتهم وتقوية لدواعيهم ٥
قوله تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون
لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم
ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا
ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن
اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا فانا مبرمون
ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا
لديهم يكتبون ٥ اعلم انه تعالى لما ذكر الوعد
اردفه بالوعيد على الترتيب المستمر في القران وفيه
مسائل المسألة الاولى احتج القاضي على القطع
بوعيد الفساق بقوله ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون
لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ولفظ المجرم يتناول
الكافر والفاسق فوجب كون الكل في عذاب جهنم وقوله
١

لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وقوله خالدون يدل على الخلود وقوله
ايضا لا يفتر يدل على الخلود والدوام ايضا والجواب
ان ما قبل الاية وبعدها يدل على ان المراد من لفظ
المجرمين ها هنا الكفار اما قبل الاية فلانه قال
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين امنوا
بآياتنا وكانوا مسلمين فهذا يدل على ان كل من امن
بآيات الله وكانوا مسلمين فانهم يدخلون تحت قوله
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون والفاسق
من اهل الصلوة امن بالله وبآياته واسلم فوجب ان يكون
داخلا تحت ذلك الوعد ووجب ان يكون داخلا تحت ذلك
الوعد ووجب ان يكون خارجا عن هذا الوعيد
واما بعد هذه الاية فهو قوله لقد جئناكم بالحق ولكن
اكثركم للحق كارهون والمراد بالحق ها هنا اما الاسلام
واما القران والرجل المسلم لا يكره الاسلام ولا القران
فثبت ان ما قبل هذه وما بعدها يدل على ان
المراد من المجرمين الكفار والله سبحانه وتعالى اعلم **المسئلة**
الثانية انه تعالى وصف عذاب جهنم في حق
المجرمين بصفات ثلاثة احدها الخلود وقد
ذكرنا في مواضع كثيرة انه عبارة عن طول المكث ولا
يفيد الدوام وثانيها قوله لا يفتر عنهم اي لا يخفف
ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت
ونقص حرها وثالثها قوله تعالى وهم فيه مبلسون
المبلس اليائس الساكت سكوت يأس من فرج عن الضحاك

يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يقفل عليه فيبقى خالدا لا يرى
ولا يرى ثم قال صاحب الكشاف وقرئ وهم فيها اي
وهم في النار **المسئلة الثالثة** احتج القاضي بقوله
وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين فقال ان كان خلق فيهم
الكفر ليدخلهم النار فما الذي نفاه بقوله وما ظلمناهم
وما الذي نسبه اليهم عما نفاه عن نفسه او ليس لو اثبتناه
ظلما
لهم كان لا يزيد على ما يقوله القوم فان قالوا ان ذلك الفعل
لم يقع بقدرة الله عز وجل وحدها وانما وقع بقدرة الله مع قدرة العبد
معا فلم يكن ذلك ظلما من الله تعالى قلنا عندكم القدرة
على الظلم موجبة للظلم وخالق تلك القدرة هو الله تعالى
وكأنه تعالى لما فعل مع خلق الكفر قدرة على الكفر
خرج من ان يكون ظالما لهم وذلك محال لان من يكون
ظالما في فعله واذا فعل معه ما يوجب ذلك الفعل يكون
ذلك احق فيقال للقاضي قدرة العبد هل هي صالحة
للطرفين او هي متعينة لاحد الطرفين فان كانت صالحة
لكل الطرفين فالترجيح ان وقع لا لمرجح لزم نفي الصانع
وان افتقر الى مرجح عاد التقسيم الاول فيه
ولا بد وان ينتهي الى داعية مرجحة يخلقها الله تعالى
في العبد وحينئذ يلزمك ما الزمته علينا وان كانت تلك
القدرة متعينة لاحد الطرفين فحينئذ يلزمك ما
اوردته علينا واعلم انه ليس الرجل من يرى
وجه الشبهة لا اذا ذكره انما الرجل من ينظر فيها مع
الكلام وما بعده فان رآه واردا على مذهبه بعينه

لم يدر والله اعلم **المسئلة الرابعة** قرا ابن مسعود
يا مال بحذف الكاف للترخيم فقيل لابن عباس ان ابن مسعود
قرا ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن
الترخيم واجيب عنه بانه انما حسن الترخيم لانهم
بلغوا من الضعف والنحافة الى حيث لا يمكنهم ان يذكروا
من الكلمة الا بعضها **المسئلة الخامسة** اختلفوا
في ان قولهم يا مالك ليقض علينا ربك على اي وجه طلبوه
فقال بعضهم على التمني وقال الاخرون بل على
وجه الاستغاثة والا فهم عالمون بانه لا خلاص
لهم عن ذلك العقاب وقيل لا يبعد ان يقال انهم
لشدة ما هم فيه نسوا تلك المسئلة فذكروه على
وجه الطلب ثم انه تعالى بين ان مالكا يقول لهم
انكم ماكثون وليس في القران متى اجابهم هل اجابهم
في الحال او بعد ذلك بمدة وان كان بعد ذلك فهل
ذلك حصل الجواب بعد ذلك السؤال بمدة طويلة فلا
يمتنع ان يؤخر الاجابة استخفافا بهم وزيادة في غمهم
وعن عبد الله بن عمر بعد اربعين سنة وعن غيره
بعد مائة سنة وعن ابن عباس بعد الف سنة والله اعلم
بذلك المقدار ثم بين تعالى ان مالكا لما اجابهم بقوله انكم
ماكثون ذكر بعده ما هو كالعلة لذلك الجواب فقال
لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون
والمراد نفرتهم عن محمد صلى الله عليه وسلم وعن القران
وشدة بغضهم لقبول الدين الحق فان قيل كيف قال

ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس قلنا ازمنة
متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون
اوقاتا لغلبة الياس عليهم ويستغيثون اوقاتا لشدة
ما بهم روي انه يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه
من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض
علينا ربك ولما ذكر الله تعالى كيفية عذابهم في الاخرة
ذكر بعده كيفية مكرهم وفساد باطنهم في الدنيا فقال
ام ابرموا امرا فانا مبرمون والمعنى ام ابرم مشركوا
مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله
فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله تعالى ام
يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون قال
مقاتل نزلت في تدبيرهم في المكر به في دار الندوة
وقد ذكره الله تعالى في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وقد ذكرنا القصة ثم
قال ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى
ورسلنا لديهم يكتبون ۝ السر ما حدث به الرجل
نفسه او غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به
فيما بينهم بلى نسمعها ونطلع عليها ورسلنا يريد الحفظة
يكتبون عليهم تلك الاحوال ۝ وعن يحيى بن معاذ من
ستر من الناس ذنوبه وابداها للذي لا يخفى عليه شيء في
السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من
علامات النفاق **قوله تعالى** قل ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش

عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله
وهو الحكيم العليم وتبارك الذي له ملك السموات
والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون
ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد
بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله
فأنى يؤفكون وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون
فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون فيه
مسائل **المسألة الأولى** قرأ حمزة والكسائي ولد
بضم الواو وإسكان اللام والباقون بفتحها فأنا
أول العابدين قرأ نافع فأنا بمد على النون
والباقون بلا تطويل **المسألة الثانية** اعلم
أن الناس طعنوا في قوله قل إن كان للرحمن ولد
فأنا أول العابدين لو أجريناه على ظاهره فإنه
يقتضي وقوع الشك في إثبات الولد لله عز وجل
وذلك محال فلا جرم افتقروا إلى تأويل الآية
وعندي ليس الأمر كذلك وليس في ظاهر اللفظ ما
يوجب العدول عن الظاهر وتقريره أن قوله إن
كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين قضية
شرطية والقضية الشرطية مركبة من قضيتين أدخل
على إحداهما حرف الشرط وعلى الأخرى حرف الجزاء فحصل
من مجموعهما قضية واحدة ومثاله هنا أن الآية فإن
قوله إن كان للرحمن ولد قضية وقوله فأنا أول

العابدين

العابدين ثم أدخل حرف الشرط وهو لفظة إن على القضية
الأولى وحرف الجزاء وهو الفاء على القضية الثانية
فحصل من مجموعهما قضية واحدة وهي القضية الشرطية
إذا عرفت هذا فنقول القضية الشرطية لا تفيد
إلا كون الشرط مستلزما للجزاء وليس فيها كون الشرط
حقا أو باطلا أو يكون الجزاء حقا أو باطلا بل نقول
القضية الشرطية قد تكون مركبة من قضيتين حقيتين
ومن قضيتين باطلتين ومن شرط باطل وجزاء حق
وأما القسم الرابع وهو أن تكون القضية الشرطية
الحقيقية مركبة من شرط حق وجزاء باطل فهذا محال
ولنذكر أمثلة هذه الأقسام الأربعة فإذا قلنا
إن كان الإنسان حيوانا فالإنسان جسم فهذه شرطية
حقة وهي مركبة من قضيتين حقيتين إحداهما قوله
الإنسان حيوان والثانية قوله الإنسان جسم وإذا
قلنا إذا كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين
فهذه شرطية حقة لكنها مركبة من قولنا الخمسة زوج
ومن قولنا الخمسة منقسمة بمتساويين وهما باطلان
ولكونهما باطلين لا يمتنع من أن يكون استلزام أحدهما
للآخر حقا وقد ذكرنا أن القضية الشرطية لا تفيد إلا
مجرد الاستلزام وإذا قلنا إذا كان الإنسان حجرا فهو
جسم أيضا حق لكنه مركب من شرط باطل وهو قولنا
الإنسان حجر ومن جزاء حق وهو قولنا الإنسان جسم
وإنما جاز هذا لأن الباطل قد يكون بحيث يلزم من فرضه

وقوعه وقوع حق فانا لو فرضنا كون الانسان حمارا وجب
كونه حساسا فهذا شرط باطل استلزم جزاء حقا واما القسم
الرابع وهو تركيب قضية شرطية حقة من شرط حق
وجزاء باطل فهذا محال لان هذا التركيب يلزم كون
الحق مستلزما للباطل وذلك محال بخلاف القسم
الثالث لانه لا يلزم منه كون الباطل مستلزما للحق وذلك
ليس بمحال اذا عرفت هذا الاصل فلنرجع للاية فنقول قوله
ان كان للرحمن ولد تضمنه شرطية حقة من شرط باطل
ومن جزاء باطل لان قولنا كان للرحمن ولد باطل وقوله
انا اول العابدين لذلك الولد باطل ايضا الا ان بينا
ان كل واحد منهما باطل يمتنع من ان يكون استلزام احدهما
للآخر حقا كما ضربنا من المثال في قولنا ان كان الخمسة
زوجا كانت منقسمة بمتساويين فثبت ان هذا الكلام
لا امتناع في اجرائه على ظاهره ويكون المراد منه ان لو كان له ولد
فانا اول العابدين لذلك الولد فان السلطان اذا كان له
ولد فكما يجب على عبده ان يخدمه فكذلك يجب عليه ان يخدم
ولده وقد بينا ان هذا التركيب لا يدل على الاعتراف
باثبات الولد البتة ومما يقرب من هذا الباب قوله تعالى لو
كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فهذا الكلام قضية
شرطية والشرط هو قوله فيهما آلهة والجزاء هو قولنا
لفسدتا فالشرط في نفسه باطل والجزاء ايضا باطل لان
الحق انه ليس فيهما آلهة وانهما ما فسدتا ثم لما كان الشرط
باطلا كان الجزاء باطلا كان استلزام ذلك الشرط لهذا الجزاء

حقا فكذا ها هنا فان قالوا الفرق انه ها هنا ذكر الله تعالى
هذه الشرطية بصيغة لو فقال لو كان فيهما آلهة وكلمة لو تفيد
انتفاء الشيء لانتفاء غيره واما في هذه الآية التي نحن في
تفسيرها فانما ذكر الله تعالى كلمة ان وهذه الكلمة لا تفيد انتفاء
الشيء لانتفاء غيره بل هذه الكلمة تفيد الشك في
انه هل حصل الشرط ام لا وحصول هذا الشك
للرسول صلى الله عليه وسلم غير ممكن فلهذا الفرق
الذي ذكرتم صحيح الا ان مقصودنا بيان انه لا يلزم من كون
الشرطية صادقة كون جزئيها صادقين او كاذبين
على ما قررناه اما قوله ان لفظة ان تفيد حصول الشك
في ان الشرط هل حصل ام لا قلنا هذا ممنوع فان
حرف ان حرف الشرط وحرف الشرط لا يفيد الا كون
الشرط مستلزما للجزاء واما بيان ان ذلك الشرط
معلوم الوقوع او معلوم اللاوقوع او مشكوك الوقوع فلا دلالة
فيه عليه البتة فظهر من المباحث التي لخصناها ان الكلام
ها هنا ممكن الاجراء على ظاهره من جميع الوجوه وانه لا حاجة
فيه البتة الى التأويل والمعنى انه قال قل يا محمد ان
كان للرحمن ولد فانا اول العابدين لذلك الولد وانا اول
الخادمين له والمقصود من هذا الكلام بيان اني لا انكر ولده
لاجل العناد والمنازعة فان بتقدير ان يقوم الدليل على ثبوت هذا الولد
كنت مقرا به معترفا بوجوب خدمته الا انه لم يوجد هذا
الولد ولم يقم الدليل على ثبوته البتة فكيف اقول به بل الدليل
القاطع قائم على عدمه فكيف اقول به وكيف اعترف بوجوده هذا

كلام ظاهره ممل لاحاجة الى التاويل والعدول عن الظاهر
فهذا ما عندي في هذا الموضع ونقل عن السدي
من المفسرين انه كان يقول حمل هذه الاية على ظاهرها ممكن
ولا حاجة الى التعيين الذي ذكرناه يدل على ان الذي
قاله الحق اما القائلون بانه لابد من التاويل فقد
ذكروا فيه وجوها الاول قال الواحدي رحمه الله
اكثر الوجوه في تفسير هذه الاية والاقوى ان يقال
ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين اي الموحدين
لله المكذبين لهذا القول وعلى قولكم باضافة
الولد في نفس الامر فانا اول المنكرين له والاول باطل
لان ثبوت الشي في نفسه لا يقتضي كون الرسول منكرا
له لان قوله ان كان الشي في نفسه ثابتا فانا اول المنكرين
يقتضي اصراره على الكذب والجهل وذلك لا يليق
بالرسول والثاني ايضا باطل لانهم سواء اثبتوا لله ولدا
او لم يثبتوا فالرسول منكر لذلك الولد فلم يكن
لزعمهم تاثير في كون الرسول منكرا لذلك الولد فلم يصح
جعل زعمهم اثبات الولد مؤثرا في كون الرسول منكرا
للولد الوجه الثاني قالوا معناه ان كان للرحمن ولد
فانا اول الانفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد
اذا اشتد انفته فهو عبد وعابد وقرا بعضهم عبدين
واعلم ان السؤال المذكور قائم ههنا لانه ان كان
للرحمن ولد في نفس الامر فانا اول الانفين من الاقرار به فهذا
يقتضي الاصرار على الجهل والكذب وان كان المراد ان كان للرحمن ولد

في زعمكم واعتقادكم فانا اول الانفين فهذا التعليق فاسد
لان هذه الانفة حاصلة سواء حصل ذلك الزعم والاعتقاد
او لم يحصل فاذا كان الامر كذلك لم يكن هذا التعليق جائزا
الوجه الثالث قال بعضهم ان كلمة ان ههنا هي النافية
والتقدير ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل
مكة ان لا ولد له واعلم ان التزام هذه
الوجوه التعليل انما يكون للزوال وقد بينا انه لا حاجة له
البتة فلم يجز المصير اليه والله اعلم ثم قال سبحان رب
السموات والارض رب العرش عما يصفون والمعنى
ان اله العالم يجب ان يكون واجب الوجود لذاته وكل
ما كان كذلك فهو فرد مطلق لا يقبل التجزي بوجه
من الوجوه والولد عبارة عن ان ينفصل عن الشي
جزء فيتولد عن ذلك الجزء شخص مثله وهذا انما يعقل
فيما يكون ذاته قابلا للتجزي والتبعض واذا كان ذلك محالا
في حق اله العالم امتنع اثبات الولد ولما ذكر هذا البرهان
القاطع قال فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون والمقصود منه التهديد يعني قد ذكرت
الحجة القاطعة على فساد ما ذكروه وهم لم يلتفتوا اليها لاجل
انهم مستغرقون في طلب المال والجاه والرياسة فاتركهم
في ذلك الباطل واللعب واللغو حتى يصلوا الى ذلك اليوم
الذي وعدوا فيه بما وعدوا والمقصود منه التهديد ثم قال
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وفيه ابحاث
البحث الاول قال ابو علي نظرت فيما يرتفع به اله فوجدت
ارتفاعه يصح بان يكون خبر مبتدا محذوف والتقدير وهو الذي

في السماء هو اله الثاني في هذه الاية من الدلايل
على انه تعالى غير مستوي في السما لانه تعالى بين في هذه الاية ان نسبته
الى السما بالالهية كنسبته الى الارض فلما كان الها للارض
مع انه غير مستقر فيها فلذلك وجب ان يكون الها للسما
مع انه لا يكون مستقرا فيها فان قيل واي تعلق
لهذا الكلام بنفي الولد عن الله عز وجل قلنا تعلقه
به انه تعالى خلق عيسى بمحض كن فيكون من غير
واسطة النطفة والاب وكانه قيل ان كان
هذا القدر يوجب كون عيسى ولدا لله سبحانه وتعالى
لان هذا المعنى حاصل في تخليق السموات والارض
مع انتفاء حصول الولدية هناك ثم قال وهو
الحكيم العليم وقد ذكرنا في سورة الانعام
ان كونه تعالى حكيما عليما يمنع من حصول الولد له ثم قال
وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما
وعنده علم الساعة واليه ترجعون واعلم
ان قوله تعالى تبارك اما ان يكون مستقا من البات
والبقا واما ان يكون من كثرة الخير وعلى التقديرين فكل
واحد من الوجهين ينافي كون عيسى عليه السلام
لم يكن واجب البقا والدوام لانه حدث بعد ان
لم يكن ثم عند النصارى انه قتل ومات ومن كان كذلك
لم يكن بينه وبين الاله الباقي مجانسة ومشابهة
فامتنع كونه ولدا له وان كان المراد بالبركة كثرة
الخيرات مثل كونه خالقا للسموات والارض وما بينهما

فعيسى

مستقا

فعيسى لم يكن كذلك بل كان محتاجا الى الاكل والشرب وخايفا من اليهود حتى هرب منهم فكيف يكون ولدا لمن كان خالق السموات
الذي هذا صفته كيف يكون ولدا لمن كان خالق السموات
والارض وما بينهما اما قوله وعنده علم الساعة
فالمقصود انه لما شرح كمال قدرته كذلك شرح
كمال علمه فالمقصود التنبيه على ان من كان
كاملا في الذات والعلم والقدرة على الحد الذي شرحناه
فامتنع ان يكون ولده في العجز وعدم القدرة على احوال
العالم بالحد الذي وصفه النصارى به ولما
اطنب الله عز وجل في نفي الولد اردفه ببيان نفي الشرك
فقال ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة
الا من شهد بالحق وهم يعلمون ذكر المفسرون في هذه
الاية قولين احدهما ان الذين يدعون من دونه
الملايكة وعيسى وعزير والمعنى ان الذين يدعون
من الملايكة وعيسى وعزير لا يشفعون الا لمن شهد
بالحق روي ان النضر بن الحرث ونفرا معه
قالوا ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن نتولى الملايكة
فهم احق بالشفاعة من محمد فانزل الله تعالى هذه
الاية يقول لا يقدر هولاء ان يشفعوا لاحد ثم استثنى
فقال الا من شهد بالحق الملايكة وعيسى وعزير
والمعنى ان الاشيا التي عبدها هولا الكفار لا يملكون
الشفاعة الا من شهد بالحق وهم الملايكة وعيسى وعزير
والمعنى ان الاشيا التي عبدها هولا الكفار لا يملكون الشفاعة
الا من شهد بالحق وهم الملايكة وعيسى وعزير فانهم شفاعة

لله

عند الله ومنزلته ومعنى من شهد بالحق من شهد ان لا اله الا
هو وقال وهم يعلمون وهذا القيد يدل على ان
الشهادة باللسان فقط لا تفيد البتة واحتج
القائلون بان ايمان المقلد لا ينفع لكنه نص الاية فقالوا
يعلم الله ان الشهادة لا تنفع الا اذا حصل معه العلم والعلم
هو اليقين الذي لو شكك فيه صاحبه لم يتشكك وهذا
لا يحصل الا عند الدليل فثبت ان ايمان المقلد لا ينفع البتة
ثم قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون
وفيه مسائل **المسألة الاولى** ظن قوم ان هذه الاية
وامثالها في القران تدل على ان القوم مضطرون الى الاعتراف
بوجود الاله للعالم قال الجبائي وهذا لا يصح
لان قوم فرعون قالوا ما لكم من اله غيري وقوم ابراهيم قالوا
انا لفي شك مما تدعونا اليه فيقال لهم لا نسلم ان قوم فرعون
كانوا منكرين لوجود الله والدليل عليه قوله تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقال
موسى عليه السلام لفرعون لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب
السموات والارض بصائر فالقراءة بفتح التاء في علمت
يدل على ان فرعون كان عارفا بالله واما قوم ابراهيم حيث قالوا
وانا لفي شك مما تدعونا اليه فهو مصروف الى اثبات القيامة
واثبات التكليف واثبات النبوة

المسألة الثانية

اعلم انه تعالى ذكر هذا الكلام في اول هذه السورة وفي
اخرها والمقصود التنبيه على انهم لما اعتقدوا ان خالق
العالم وخالق الحيوانات هو الله تعالى فكيف اقدموا على عبادة

اجسام خسيسة واصنام خبيثة لا تضر ولا تنفع وهي
جمادات محضة اما قوله فانى يؤفكون معناه لم يكذبون
على الله فيقولون ان الله امرنا بعبادة الاصنام وقد احتج
بعض اصحابنا على ان افعالهم ليست منهم بل من غيرهم بقوله انى
يؤفكون واجاب القاضي بان من يضل في فهم الكلام
او في الطريق يقال له اين يذهب بك والمراد واين تذهب
فاحتج الاصحاب ان قول القائل اين يذهب بك ظاهره يدل على
ان ذاهبا اخر ذهب به فصرف الكلام عن حقيقته خلاف الاصل
الظاهر وايضا فان الذي يذهب به هو الذي حصل له الداعية
في قلبه وقد ثبت بالبرهان الباهر ان خالق تلك الداعية هو الله تعالى
ثم قال تعالى وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وفيه
مباحث البحث الاول قرأ الاكثرون وقيله بفتح اللام
وقرأ عاصم وحمزة بكسر اللام قال الواحدي وقرأ ناس
من غير السبعة بالرفع اما الذين قرؤا بالنصب فذكر الاخفش
والفراء فيه قولين احدهما انه نصب على المصدر تقديره وقال
قيله وشكى شكواه الى ربه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فانه يقال
قيله ما ضما وقال والثاني انه عطف على ما تقدم من قوله انا لا نسمع
سرهم ونجواهم وقيله وذكر الزجاج فيه وجها ثالثا انه نصب على موضع
الساعة لان قوله وعنده علم الساعة معناه انه يعلم الساعة
ويعلم قيله ونظيره قولك عجبت من ضرب زيد وعمرا اما القراءة
بالجر فقال الاخفش والفراء والزجاج انه معطوف على
العطف على المنصوب حسن وان تباعد المعطوف من المعطوف
عليه لانه يجوز ان يفصل بين المنصوب وعامله والجر لا يجوز ذلك فيه

على محل وأما القراءة بالرفع ففيها وجهان الأول أن يكون وقيله
مبتدأ وخبره ما بعده والثاني أن يكون معطوفا على
علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة
وعلم قيله قال صاحب الكشاف هذه الوجوه ليست
قوية في المعنى لا سيما وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه
بما لا يحسن اعتراضا ثم ذكر وجها آخر وزعم أنه أقوى مما
سبق وهو أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه
والرفع على قولهم ايمن الله وأمانة الله ويمين الله ويكون قوله
قوم لا يؤمنون جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يا رب
أو قيله يا رب قسمي وأقول الذي ذكره صاحب الكشاف
متكلف أيضا وههنا إضمار امتلأ القرآن منه وهو إضمار
اذكر والتقدير واذكر قيله يا رب وأما القراءة بالجر والتقدير
واذكر وقت قيله يا رب وإذا وجب التزام الإضمار فيما
جرت العادة في القرآن بالتزامه فالتزام إضماره أولى من غيره
وعن ابن عباس أنه قال في تفسير قوله وقيله يا رب
والمراد وقيل يا رب والهاء زائدة ٥ والبحث
الثاني القيل مصدر كالقول ومنه قوله إن النبي صلى الله
عليه وسلم نهى عن قيل وقال وقال الليث تقول
العرب كثر فيه القيل والقال وروى شمر عن أبي زيد
يقال ما أحسن قيلك وقولك ومقالك ومقالتك خمسة
أوجه البحث الثالث الضمير في وقيله لرسول الله صلى الله
عليه وسلم البحث الرابع أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ضجر منهم
وعرف إصرارهم أخبر عنهم أنهم قوم لا يؤمنون وهو قريب مما حكى الله

عن نوح عليه السلام أنه قال رب إنهم عصوني واتبعوا من لم
يزده ماله وولده إلا خسارا ثم قال تعالى
فاصفح عنهم قال من باب نصفح عنهم وفي ضمنه منعه من أن يدعو عليهم
بالعذاب والصفح هو الإعراض ثم قال وقل سلام ثم
قال سيبويه إنما معناه المتاركة ونظيره قول
إبراهيم لأبيه سلام عليك سأستغفر لك ربي وقوله
سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وسوف يعلمون المقصود
منه التهديد وفيه مسائل **المسألة الأولى** قرأ
نافع وابن عامر تعلمون بالتاء على الخطاب والباقون بالياء
كناية عن قوم لا يؤمنون ٥ **المسألة الثانية** احتج
قوم بهذه الآية على أنه يجوز السلام على الكافر وأقول
إن صح هذا الاستدلال فهذا يوجب الاقتصار على
مجرد قوله سلام وأن يقال للمؤمن سلام عليكم والمقصود
التنبيه على التحية التي تذكر للمسلم والكافر **المسألة الثالثة**
قال ابن عباس قوله فاصفح عنهم وقل سلام منسوخ
بالسيف وعندي أن التزام النسخ في مثل هذه المواضع
مشكل لأن الأمر لا يفيد الفعل إلا مرة واحدة
فقد سقط دلالة اللفظ فأي حاجة فيه إلى التزام النسخ
وأيضا فمسألة يمين الفور مشهورة عند الفقهاء وهي دالة
على أن اللفظ المطلق قد يتقيد بحسب قرينة العرف
فإذا كان الأمر كذلك فلا حاجة فيه إلى التزام النسخ
والله أعلم بالصواب ٥

سورة الدخان خمسون وسبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة
إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا
إنا كنا مرسلين رحمة من ربك إنه هو السميع
العليم رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم
موقنين لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين
بل هم في شك يلعبون في الآية مسائل **المسئلة الأولى**
في قوله حم والكتاب المبين وجوه من الاحتمالات أولها
أن يكون التقدير هذه حم والكتاب المبين كقولك هذا زيد
والله وثانيها أن يكون التقدير هذه حم والكتاب
المبين إنا أنزلناه كقولك في ذلك تقديرا فيهن على
شيء واحد **المسئلة الثانية** قالوا هذا يدل
على حدوث القرآن لوجوه الأول أن قوله حم
تقديره هذه حم يعني هذا شيء مؤلف من هذه الحروف
والمؤلف من الحروف المتعاقبة محدث الثاني
أنه ثبت أن الحلف لا يصح بهذه الأشياء بل بإله هذه
الأشياء فيكون التقدير ورب حم ورب الكتاب المبين وكل ما
كان مربوبا فهو محدث الثالث أنه وصفه بكونه كتابا
والكتاب مشتق من الجمع بمعناه أنه مجموع محل تصرف الغير وما كان كذلك

والكتاب المبين

فهو محدث الثالث أنه وصفه بكونه كتابا الرابع قوله إنا أنزلناه
والمنزل محل تصرف الغير وما كان كذلك فهو محدث وجوابنا
عن أن جميع هذه الدلائل تدل على أن الشيء المركب من الحروف
المتعاقبة والأصوات المتوالية محدث والعلم بذلك ضروري
بديهي لا ينازع فيه إلا من كان عديم العقل وكان
غير عارف بمعنى القدم والحدوث وإذا كان كذلك
فكيف ينازع في صحة هذه الدلائل إنما الذي ندعي قدمه
شيء آخر سوى ما يتركب من هذه الحروف والأصوات
المسئلة الثالثة يجوز أن يكون المراد بالكتاب ههنا
الكتب المتقدمة التي أنزلها الله على أنبيائه كما قال لقد
أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان
ويجوز أن يكون المراد به اللوح المحفوظ وقال يمحو الله
ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال وإنه في
أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز أن يكون المراد به القرآن
وعلى هذا التقدير فقد أقسم بالقرآن أنه أنزل القرآن
في ليلة مباركة وهذا النوع من الكلام يدل على
غاية تعظيم القرآن فقد يقول الرجل إذا أراد تعظيم
الرجل له إلى حاجة أستشفع بك إليك وأقسم بحقك عليك
المسئلة الرابعة المبين هو المشتمل على بيان ما بالناس
حاجة إليه في دينهم ودنياهم فوصفه بكونه مبينا وإن كانت
حقيقة الإبانة لله تعالى لأجل أن الإبانة حصلت به كما قال تعالى
إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل وقال في آية أخرى
نحن نقص عليك أحسن القصص وقال أم أنزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فوصفه بالتكلم

اذا كان عاما في الامة فكانه ذو لسان ينطق والمعنى
فيه المبالغة في وصفه بهذا المعنى ه **المسئلة الخامسة** اختلفوا
في هذه الليلة المباركة فقال الاكثرون انها ليلة القدر
وقال عكرمة وطائفة اخرى انها ليلة البراءة وهي ليلة
النصف من شعبان اما الاولون فقد احتجوا على قولهم
بوجوه الاول انه تعالى قال انا انزلناه في ليلة مباركة فوجب
ان تكون هذه الليلة المباركة هي تلك المسماة بانها ليلة القدر لئلا يلزم
التناقض وثانيها انه تعالى قال شهر رمضان الذي انزل
فيه القرآن فبين ان انزال القرآن انما وقع في شهر رمضان
وقال هاهنا انا انزلناه في ليلة مباركة فوجب ان
تكون هذه الليلة المباركة واقعة في رمضان فثبت انها ليلة القدر
وثالثها انه تعالى قال في صفة ليلة القدر تنزل الملائكة
والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقال في هذه الآية
فيها يفرق كل امر حكيم وقال هاهنا امرا من عندنا
وقال في تلك الآية سلام هي واذا تقاربت الاوصاف
وجب القول بان احدى الليلتين هي الاخرى ورابعها
نقل محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة انه قال
نزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من رمضان والتوراة لست
ليال منه والزبور لثنتي عشرة ليلة مضت منه والانجيل
لثماني عشرة مضت منه والقرآن لاربع وعشرين مضت
من رمضان والليلة المباركة هي ليلة القدر وخامسها
ان ليلة القدر انما سميت بهذا الاسم لان قدرها وشرفها
عند الله عظيم ومعلوم انه ليس قدرها وشرفها

بسبب تعين ذلك الزمان لان الزمان شيء واحد في الذات
والصفات فيمتنع كون بعضه اشرف من بعض لذاته فثبت ان شرفه
وقدره بسبب انه حصل فيه امور شريفة عالية لها قدر
عظيم ومرتبة رفيعة ومعلوم ان منصب الدين اعلى
واعظم من منصب الدنيا واعلى الاشياء واشرفها منصبا
في الدين هو القرآن لاجل انه ثبتت به نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل في سائر كتب الله المنزلة
كما قال في صفته ومهيمنا عليه وبه ظهرت درجات
ارباب السعادات ودركات ارباب الشقاوات
فعلى هذا لا شيء الا والقرآن اعظم قدرا واعلى ذكرا
واعظم منصبا فلو كان نزوله انما وقع في ليلة اخرى
سوى ليلة القدر لكانت ليلة القدر هي هذه الثانية لا الاولى
وحيث اطبقوا على ان ليلة القدر هي التي وقعت في رمضان
علمنا ان القرآن انما نزل في تلك الليلة واما القائلون
بان المراد من الليلة المباركة المذكورة في هذه الآية
هي ليلة النصف من شعبان فما رأيت لهم فيها دليلا
يعول عليه وانما قنعوا فيه بان نقلوه عن بعض الناس
فان صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه كلام فلا
مزيد عليه والا فالحق هو الاول ثم ان هؤلاء القائلين
بهذا القول زعموا ان ليلة النصف من شعبان لها اربعة
اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك
وليلة الرحمة وقيل انما سميت بليلة البراءة وليلة
الصك لان المرء اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم

البراءة كذلك الله عز وجل كتب لعباده البراءة في هذه الليلة
وقيل هذه الليلة مختصة بخمس خصال الاولى
تفريق كل امر حكيم فيها قال الله تعالى فيها يفرق كل امر
حكيم والثانية فضيلة العبادة فيها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل
الله تعالى اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه
من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون
عنه مكايد الشيطان الخصلة الثالثة نزول الرحمة
قال صلى الله عليه وسلم ان الله يرحم امتي في هذه الليلة
بعدد شعر اغنام بني كلب الخصلة الرابعة حصول
المغفرة قال صلى الله عليه وسلم ان الله يغفر لجميع المسلمين في تلك
الليلة الا الكاهن والساحر ومدمن الخمر وعاق والديه والمصر على الزنا
الخصلة الخامسة انه تعالى اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في هذه الليلة تمام الشفاعة وذلك انه سأل ليلة الثالث عشر في امته
فاعطي الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سأل ليلة
الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله شراد البعير هذا الفصل
نقلته من الكشاف فان قيل لا شك ان الزمان عبارة عن المدة الممتدة
التي تقدر بحركات الافلاك والكواكب وانه في ذاته امر متشابه الاجزاء
فيمتنع كون بعضها افضل من بعض وكذا المكان ايضا عبارة عن الفضاء الممتد والخلاء
الخالي فيمتنع كون بعض اجزائه اشرف من البعض واذا ثبت ذلك كان
تخصيص بعض اجزائه بمزيد الشرف دون الباقي ترجيحا لاحد طرفي
الممكن على الآخر لا لمرجح وانه محال قلنا القول بإثبات حدوث
العالم واثبات ان فاعله فاعل مختار مبني على هذا الحرف وهو انه لا يبعد

من

من الفاعل المختار تخصيص وقت معين باحداث العالم فيه دون ما قبله وما بعده
فان بطل هذا الاصل فقد بطل حدوث العالم وبطل الفاعل المختار
وحينئذ لا يكون للخوض في تفسير القرآن فائدة وان صح هذا الاصل
فقد زال ما ذكرتم من السؤال فهذا هو الجواب المعتمد والناس قالوا
لا يبعد ان يخص الله تعالى بعض الاوقات بمزيد تشريف حتى يصير ذلك
داعيا للمكلف الى الاقدام على الطاعات في ذلك الوقت ولهذا
السبب بعينه انه تعالى اخفاه في الاوقات وما عينه لانه اذا لم يكن
متعينا جوز المكلف في كل وقت معين ان يكون هو ذلك الوقت الشريف
فان ذلك حاملا له على الطاعة في كل الاوقات واذا وقفت على هذا
الحرف ظهر عندك ان الزمان والمكان انما فازا بالتشريفات الزائدة تبعا
لشرف الانسان فهو الاصل وكل ما سواه فتبع له والله اعلم

المواظبة على

المسألة السادسة روى ابن عطية الحروري سأل ابن عباس عن قوله
انا انزلناه في ليلة مباركة وقوله انا انزلناه في ليلة القدر كيف
يصح ذلك مع ان الله انزل القرآن في جميع الشهور فقال ابن عباس يا ابن
الاسود لو هلكت انا ووقع في نفسك هذا ولم تجد جوابه هلكت نزل القرآن
جملة من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور وهو في السماء الدنيا ثم نزل بعد
ذلك في انواع الوقائع حالا فحالا المسألة السابعة في بيان
نظم هذه الآيات اعلم ان المقصود منها بيان تعظيم القرآن
من ثلاثة اوجه احدها بيان تعظيم القرآن بحسب ذاته والثاني
بيان تعظيمه بسبب شرف الوقت الذي نزل فيه والثالث
بيان تعظيمه بحسب شرف منزله اما الاول فمن ثلاثة اوجه
احدها انه تعالى اقسم به وذلك يدل على شرفه وثانيها
انه تعالى اقسم به على كونه نازلا في ليلة مباركة وقد ذكرنا ان
القسم بالشيء على حالة من احوال نفسه يدل على كونه في غاية الشرف

والثالث انه تعالى وصفه بكونه مبينا وذلك يدل ايضا على
شرف ذاته ٥ واما النوع الثاني فهو بيان شرفه لاجل شرف الوقت
الذي انزل فيه فهو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة وهذا تنبيه على
ان نزوله في ليلة مباركة يقتضي امرين احدهما انه تعالى
انزله والثاني كون تلك الليلة مباركة لذكر عقيبه
الحكم ما يجري مجرى البيان لكل واحد اما بيان انه انزله فبقوله
انا كنا منذرين يعني الحكمة في انزال هذه السورة انذار الخلق
لا تتم الا به ٥ واما بيان ان هذه ليلة مباركة فهو امران
احدهما انه تعالى يفرق فيها كل امر حكيم ٥ والثاني
ان ذلك الامر الحكيم مخصوص بشرف انه انما يظهر من عنده واليه
الاشارة بقوله بقوله امرا من عندنا واما النوع الثالث
فهو بيان شرف القران لشرف منزله وذلك قوله انا كنا مرسلين
يعني ان ذلك الانذار والارسال انما حصل من الله تعالى ثم بين ان ذلك
الارسال انما كان لاجل تكميل الرحمة فوقعت على وفق حاجات المحتاجين
لانه يسمع تضرعاتهم ويعلم انواع حاجاتهم فلهذا قال انه هو السميع
العليم فهذا ما خطر بالبال في كيفية تعلق بعض هذه الايات ببعض
المسئلة الثانية في تفسير مفردات هذه الالفاظ بعض ٥
اما قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة فقد قيل انه تعالى
انزل هذا القران من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ووقع الفراغ
في ليلة القدر فدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى
جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسرافيل
صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت اما قوله تعالى
فيها يفرق كل امر حكيم اي في تلك الليلة يفرق اي يفصل ويبين من قولهم

فرقت الشيء افرقه فرقا وفرقانا قال صاحب الكشاف وقرئ يفرق بالتشديد
ويفرق على اسناد الفعل الى الفاعل ونصب كل والفارق هو الله تعالى وقرا زيد
بن علي عليهم السلام نفرق بالنون اما قوله كل امر حكيم فالحكيم معناه ذو الحكمة
وذلك لان تخصيص الله تعالى كل احد بحالة معينة من العمر والرزق والاجل
والسعادة والشقاوة يدل على حكمة بالغة لله عز وجل فلما كانت تلك الافعال
والاقضية دالة على حكمة فاعلها وصفت بكونها حكيمة وهذا من
الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة
ووصف الامر به مجاز ثم قال امرا من عندنا وفي انتصاب
قوله امرا وجهان الاول انه نصب على الاختصاص وذلك انه تعالى
بين شرف تلك الاقضية والاحكام بسبب ان وصفها بكونها حكيمة ثم زاد
تلك الاقضية والاحكام بسبب ان وصفها بكونها في بيان شرفها بان
قال اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه
علمنا وتدبيرنا والثاني انه نصب على الحال وفيه ثلاثة اوجه
يكون حالا من احد الضميرين في انزلناه اما من ضمير الفاعل اي انزلناه
امرا او من ضمير المفعول اي انزلناه في حال كونه امرا من عندنا بما يجب ان
نفعله والثالث ما حكاه ابو علي الفارسي عن ابي الحسن انه حمل قوله امرا على
الحال وذو الحال كل امر حكيم وهو نكرة ثم قال انا كنا مرسلين انا فعلنا
ذلك الانذار لاجل انا كنا مرسلين يعني الانبياء ثم قال رحمة من ربك
اي الرحمة نصب على انه مفعول له ثم قال انه هو السميع العليم
يعني ان تلك الرحمة كانت رحمة في الحقيقة لان المحتاجين اما ان يذكروا
بالسنتهم حاجاتهم واما ان لا يذكروها فهو تعالى عالم بها لكونه سميعا
عليما تقتضي ان ينزل رحمته عليهم ثم قال رب السموات والارض وما بينهما
ان كنتم موقنين وفيه مسائل **المسئلة الاولى** قرا عاصم وحمزة والكسائي

رب

بكسر الباء من ربّ عطفا على قوله رحمة من ربك والباقون بالرفع
قوله وهو السميع العليم **المسألة الثانية** المقصود
من هذه الآية أن المنزل إذا كان موصوفا بهذه الجلالة
والكبريا كان المنزل الذي هو القرآن في غاية الشرف
والرفعة **المسألة الثالثة** القائلون في قوله
إن كنتم موقنين وجوه الأول قال أبو مسلم
معناه إن كنتم تطلبون اليقين وتريدونه فاعرفوا أن الأمر
كما قلنا كقولهم فلان منجد متهم أي يريد نجدا وتهامة
الثاني قال صاحب الكشاف كانوا يقرون
بأن للسموات والأرض ربا خالقا فقيل لهم إن إرسال
الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل إن
هذا الرب هو السميع العليم الذي أنتم مقرون به
ومعترفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما إن
كان إقراركم عن علم وتيقن كما تقول هذا إنعام
زيد الذي تسامع الناس بكرمه أي بلغك حديثه
وسمعت قصته الثالث أنه تعالى رد أن يكونوا موقنين
بقوله بل هم في شك يلعبون وأن إقرارهم غير صادر
عن علم ويقين ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزو
ولعب والله أعلم **قوله تعالى** فارتقب يوم تأتي
السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف
عنا العذاب إنا مؤمنون أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم
تولوا عنه وقالوا معلم مجنون إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم
عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون اعلم أن

ذلك

ان المراد بقوله فارتقب انتظر ويقال ذلك في المكروه
والمعنى انتظر يا محمد عذابهم فحذف مفعول الارتقاب لدلالة
ما ذكر بعده عليه وهو قوله هذا عذاب أليم ويجوز أيضا
أن يكون يوم تأتي السماء مفعول الارتقاب وقوله بدخان
فيه قولان الأول أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قومه
بمكة لما كذبوه فقال اللهم اجعل سنيهم كسني يوسف
فارتفع المطر وأجدبت الأرض وأصابت قريشا شدة المجاعة
حتى أكلوا العظام والكلاب والجيف فكان الرجل لما به من الجوع
يرى بينه وبين السماء كالدخان وهذا قول ابن عباس
في بعض الروايات ومجاهد ومقاتل واختيار الفراء والزجاج وهو قول
ابن مسعود وكان ينكر أن يكون الدخان إلا هذا الذي أصابهم
من شدة الجوع كالظلمة في أبصارهم حتى كانوا كأنهم يرون
دخانا فالحاصل أن هذا الدخان هو الظلمة التي في أبصارهم
من شدة الجوع وذكر ابن قتيبة في تفسير الدخان
بهذه الحالة وجهين الأول أن في سنة القحط يعظم يبس
الأرض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار الكثير ويظلم
الهواء وذلك يشبه الدخان ويقولون كان بيننا أمر ارتفع
له دخان ولهذا يقال للسنة المجاعة الغبراء الثاني
العرب يسمون الشر الغالب بالدخان فيقولون كان بيننا
أمر ارتفع له دخان والسبب أن الإنسان إذا اشتد
خوفه أو ضعفه أظلمت عيناه فيرى الدنيا كالمملوءة من الدخان
والقول الثاني في الدخان أنه دخان يظهر في العالم
وهو إحدى علامات القيامة قالوا فإذا حصلت هذه الحالة حصل لأهل

الايمان به حالة تشبه الزكام وتحصل لاهل الكفر حالة
تصير لاجلها رأسه كالرأس الحنيذ وهذا القول هو المنقول
عن علي بن ابي طالب عليه السلام وهو قول مشهور لابن عباس واحتج
القائلون بهذا القول الاول بوجوه الاول ان قوله
يوم تاتي السماء بدخان مبين يقتضي وجود دخان تاتي به السماء وما ذكرتموه
من الظلمة الحاصلة في العين بسبب الجوع فذلك ليس بدخان اتت به السماء
فكان حمل لفظ الاية على هذا الوجه عدولا عن الظاهر لا لدليل
منفصل وانه لا يجوز الثاني انه وصف ذلك الدخان
بكونه مبينا والحالة التي ذكرتموها ليست كذلك لانها عارضة
تعرض لبعض الناس في ادمغتهم ومثل هذا لا يوصف بكونه
دخانا مبينا والثالث انه وصف ذلك الدخان
بانه يغشى الناس وهذا انما يصدق اذا وصل ذلك الدخان
اليهم واتصل بهم والحالة التي ذكرتموها لا توصف
بانها تغشى الناس الا على سبيل المجاز وقد ذكرنا
ان العدول من الحقيقة الى المجاز لا يجوز الا لدليل
منفصل الرابع روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اول الايات الدخان
ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن تسوق
الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله
وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية
وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث
اربعين يوما وليلة اما المؤمن فتصيبه كالزكمة واما
الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره

رواه

صاحب الكشاف وروى القاضي عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال بادروا بالاعمال ستا وذكر منها طلوع الشمس
من مغربها والدجال والدخان والدابة واما القائلون
بالقول الاول فلا شك ان ذلك يقتضي صرف اللفظ من
الحقيقة الى المجاز وذلك لا يجوز الا عند قيام دليل يدل
على ان حمله على حقيقته ممتنعة والقوم لم يذكروا
ذلك الدليل فكان المصير الى ما ذكروه مشكلا جدا فان قالوا
الدليل على ما ذكرناه انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون
ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون وهذا اذا
حملناه على القحط الذي وقع بمكة استقام فانه
نقل لما اشتد بمكة مشى اليه ابو سفيان فناشده
والرحم وواعده ان دعا لهم وازال الله عنهم تلك
البلية ان يؤمنوا به فلما ازال الله عنهم رجعوا الى شركهم
اما اذا حملناه على ان المراد منه ظهور علامة من
علامات القيامة لم يصح ذلك لان عند ظهور علامات
القيامة لا يمكنهم ان يقولوا ربنا اكشف
عنا العذاب انا مؤمنون ولم يصح ايضا ان يقال لهم
انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون
والجواب لم لا يجوز ان يكون ظهور هذه العلامات
جارية مجرى ظهور سائر علامات القيامة في انه لا
يوجب انقطاع التكليف فتحدث هذه الحالة
ثم ان الناس يخافون جدا فيتضرعون فاذا زال ذلك
الوقعة عادوا الى الكفر والفسق واذا كان كذلك فقد سقط ما قالوه

ممتنع

ان المراد

الله

والله اعلم ولنرجع الى التفسير فنقول قوله يأتي السماء
بدخان مبين اي ظاهر الحال لا يشك احد انه دخان يغشى الناس
اي يشملهم وهو في محل الجر صفة لقوله بدخان وفي قوله هذا
عذاب اليم قولان الاول انه منصوب المحل بفعل
مضمر وهم يقولون منصوب على الحال اي قائلين ذلك الثاني
قال الجرجاني صاحب النظم هذا اشارة اليه واخبار
عن دنوه واقترابه كما يقال هذا العدو فاستقبله والغرض
منه التنبيه على القرب ثم قال ربنا اكشف عنا العذاب
فان قلنا التقدير يقولون هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا
العذاب فالمعنى ظاهر وان لم نضمر القول هناك اضمرناه
هاهنا والعذاب على القول الثاني الدخان المهلك
انا مؤمنون اي بمحمد وبالقرآن والمراد منه الوعد بالايمان
ان كشف عنهم العذاب ثم قال انى لهم الذكرى اي كيف يتذكرون
بهذه الحالة وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب
الطاعة وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات
القاهرة والبينات الباهرة ثم تولوا عنه ولم يلتفتوا
اليه وقالوا معلم مجنون وذلك لان كفار مكة كان
لهم في ظهور القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قولان منهم
من كان يقول ان محمدا يتعلم هذه الكلمات من بعض
الناس لقولهم انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه
اعجمي وهذا لسان عربي مبين ولقوله تعالى واعانه
عليه قوم آخرون ومنهم من كان يقول انه مجنون
والجن يلقون عليه هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي ثم

قال تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون اي كما نكشف
العذاب عنكم تعودون في الحال الى ما كنتم عليه من الشرك والمقصود
التنبيه على انهم لا يفون بعهدهم وانهم في حال العجز يتضرعون
الى الله تعالى فاذا زال الخوف عادوا الى الكفر والتقليد لمذاهب
الاسلاف ثم قال تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى انا
منتقمون قال صاحب الكشاف قرئ نبطش بضم الطاء
وقرأ الحسن نبطش بضم النون كانه قال نأمر الملائكة
بان يبطشوا بهم والبطش الاخذ بالشدة واكثر ما
يكون بوقع الضرب المتتابع ثم صار بحيث يستعمل في اتصال
الآلام المتتابعة وفي المراد بهذا اليوم قولان الاول انه
يوم بدر وهو قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد
ومقاتل وابي العالية وذلك ان كفار مكة لما ازال الله تعالى
عنهم القحط والجوع عادوا الى التكذيب فانتقم الله
منهم يوم بدر والقول الثاني انه يوم القيمة
روى عكرمة عن ابن عباس انه قال قال ابن مسعود البطشة
الكبرى يوم بدر وانا اقول هي يوم القيمة قال المصنف الداعي الى الله رضي الله
هو يوم القيمة وهذا القول اصح لان يوم بدر لا يبلغ هذا
المبلغ الذي يوصف بهذا المبلغ الذي يوصف بهذا الوصف
العظيم ولان الانتقام التام انما يحصل يوم القيمة لقوله تعالى
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ولان هذه البطشة لما وصفت بكونها
كبرى على الاطلاق وجب ان تكون اعظم انواع البطش وذلك ليس الا
في يوم القيمة وليس الانتقام في حق الله تعالى من المشابهة بذي الغضب
والحنق والتعجب والمعنى معلوم قوله تعالى ولقد فتنا

الذين من قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا الى
عباد الله انى لكم رسول امين وان لا تعلوا على الله انى
اتيكم بسلطان مبين وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون
وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون فدعا ربه ان هؤلاء قوم
مجرمون فاسر بعبادى ليلا انكم متبعون واترك
البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك
واورثناها قوما اخرين فما بكت عليهم السماء والارض
وما كانوا منظرين ق اعلم انه تعالى لما بين ان
الكفار مصرون على كفرهم بين ان كفار المتقدمين
ايضا كانوا كذلك فبين حصول هذه الصفة فى اكثر
قوم فرعون قال صاحب الكشاف قرئ ولقد
فتنا بالتشديد للتاكيد قال ابن عباس ابتلينا
قال الزجاج بلونا والمعنى عاملناهم معاملة المختبر ببعث
الرسول اليهم وجاءهم رسول كريم اى موسى واختلفوا
فى معنى الكريم هاهنا فقال الكلبى كريم على ربه
يعنى انه استحق منه انواعا كثيرة من الاكرام وقال
مقاتل حسن الخلق وقال الفراء يقال
كريم قومه قيل ما بعث رسول الا من اشراف قومه وكرامهم
ثم قال ان ادوا الى عباد الله فى ان وجهان الاول
انها ان المفسرة وذلك لان مجئ الرسول بعث اليهم متضمن
لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
الثانى انها ان المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم

بان الشان والحديث ادوا الى عباد الله مفعوله وهو بنى
اسرائيل يقول ادوهم الى وارسلوهم معى وهو قوله فارسل معنا
بنى اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ايضا ان يكون نداء لهم والتقدير
ادوا الى يا عباد الله ما هو واجب عليكم من الايمان وقبول
دعوتى واتباع سبيلى وعلل ذلك بانه رسول امين قد ائتمنه
الله على وحيه ورسالته وان لا تعلوا ان هذه مثل
الاولى اى لا تتكبروا على الله باهانة وحيه ورسوله
انى اتيكم بسلطان مبين بحجة بينة يعترف بصحتها كل عاقل
وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون قيل المراد ان
تقتلون وقيل ان ترجمونى بالقول فتقولوا انه ساحر
كذاب وان لم تؤمنوا لى اى ان لم تصدقونى ولم تؤمنوا بالله
لاجل ما اتيتكم به من الحجة فاللام فى لى لام الاجل فاعتزلون
اى خلوا سبيلى لا لى ولا على قال المصنف
رحمه الله ان المعتزلة يتعلقون به ويقولون ان لفظ الاعتزال
انما جاء فى القران وكان المراد منه الاعتزال عن الباطل لا عن
الحق فاتفق حضورى فى بعض المحافل وذكر بعضهم هذا
الكلام فاوردت عليه هذه الاية وقلت والمراد
من الاعتزال فى هذه الاية الاعتزال عن دين موسى وطريقته
وذلك لا شك انه اعتزال عن الحق فانقطع الرجل
ثم قال تعالى فدعا ربه الفاء فى فدعا تدل على انه متصل
بمحذوف قبله والتقدير انهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا موسى
ربه بان هؤلاء قوم مجرمون فان قيل الكفر اعظم
حالا من الجرم فما السبب فى ان جعل صفة الكفار كونهم مجرمين

حال لما اراد المبالغة في ذمهم قلت ان الكافر
قد يكون عدلا في دينه وقد يكون مجرما في دينه وفاسق
دينه فيكون اخس الناس قال صاحب الكشاف
قرئ ان هولاء بالكسر على اضمار القول اي فدعا ربه فقال
ان هولاء فاسر بعبادي ليلا قرئ بالقطع والوصل فاسر
موصولة الالف والباقون مقطوعة الالف من سرى
واسرى لغتان اي اوحينا الى موسى ان اسر
بعبادي ليلا انكم متبعون اي يتبعكم فرعون
وقومه وليصير ذلك سببا لهلاكهم واترك
البحر رهوا في الرهو قولان احدهما انه الساكن
يقال عيش راه اذا كان خافضا وادعا وافعل ذلك
سهوا رهوا اي ساكنا بغير تشدد اراد موسى عليه السلم
لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما كان فامره
الله تعالى ان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله
في انفلاق الماء وبقاء الطريق يبسا حتى يدخله القبط فاذا
حصلوا فيه اطبقه الله عليهم ٥ والثاني ان الرهو هو
الفرجة الواسعة والمعنى ذا رهو اي فرجة يعني الطريق الذي
اظهره الله تعالى فيما بين البحر انهم جند مغرقون يعني اترك
الطريق كما كان حتى يدخلوا فيه فيغرقوا وانما اخبر الله تعالى
ذلك حتى يبقى فارغ القلب عن شرهم وايذائهم ثم قال تعالى
كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم دلت هذه
هذه الاشياء الخمسة وهي الجنات والعيون والزروع
والمقام الكريم ونعمة كانوا فيها فاكهين فالمراد بالمقام ما كان

لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر التي كانوا
يمدحون فرعون عليها ونعمة كانوا فيها فاكهين قال
علماء اللغة نعمة العيش بفتح النون حسنه ونضارته
ونعمة الله احسانه واعطاوه وقال صاحب الكشاف
النعمة بالفتح من التنعم والنعمة بالكسر من الانعام وقرئ
فاكهين وفكهين كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل
ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها او في موضع
الرفع على تقدير ان الامر كذلك واورثناها قوما
اخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء
وهم بنو اسرائيل كانوا مستعبدين في ايديهم
فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم
ثم قال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وفيه
وجوه الاول قال الواحدي في البسيط روى
انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد
الا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب
يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه
الاية قال وذلك لانهم لم يكونوا يعملون على الارض
عملا صالحا يبكي عليهم ولم يكن يصعد لهم الى السماء كلام
طيب ولا عمل صالح فتبكي عليهم وهذا قول اكثر المفسرين
القول الثاني التقدير فما بكت عليهم اهل السماء والارض
فحذف المضاف والمعنى ما بكت عليهم الملائكة ولا المومنون
بل كانوا بهلاكهم مسرورين القول الثالث ان عادة

اهل صح

الناس جرت بان يقولوا في هلاك الرجل العظيم الشان
انه اظلمت له الدنيا وكسفت الشمس والقمر لاجله وبكت
الريح والسما والارض ويريدون المبالغة في
تعظيم تلك المصيبة لا نفس هذا الكلام ونقل
صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما من مومن مات في غربة غابت بواكيه الا بكت
عليه السما والارض وقال جرير
الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا
وفيه ما يشبه السخرية بهم يعني انهم كانوا يستعظمون
انفسهم وكانوا يعتقدون في انفسهم انهم
لو ماتوا لبكت عليهم السما والارض فما كانوا في هذا
الحد بل كانوا دون ذلك وهذا انما يذكر على سبيل
التهكم ثم قال وما كانوا منظرين اي لما جا
وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت اخر لتوبة وتدارك
تقصير قوله تعالى ولقد نجينا بني اسرائيل
من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من
المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم
من الآيات ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون
ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فاتوا بآبائنا
ان كنتم صادقين اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم
اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق

ولكن اكثرهم لا يعلمون اعلم انه تعالى لما بين كيفية اهلاك فرعون
وقومه بين كيفية احسانه الى موسى وقومه واعلم ان دفع
الضرر مقدم على ايصال النفع فبدا تعالى ببيان دفع الضرر عنهم
فقال ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين قتل الابنا واستحيا
النسا والاتعاب في الاعمال الشاقة ثم قال من فرعون وفيه
وجهان الاول ان يكون بدلا من العذاب المهين بحذف المضاف اي من عذاب فرعون
الثاني ان يكون فرعون بدلا من العذاب المهين كانه كان في نفسه
عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم قال صاحب
الكشاف وقرئ من عذاب المهين وعلى هذه القراءة فالمهين هو فرعون
لانه كان عظيم السعي في اهانة المحقين وفي قراءة ابن عباس من فرعون
وهو بمعنى الاستفهام وقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين
جوابه كانه قيل من فرعون هل تعرفونه من هو في عتوه
وشيطنته ثم عرف حاله بقوله انه كان عاليا من المسرفين اي
كان عاليا في الدرجة في طبقة المسرفين ويجوز ان يكون المراد انه كان
عاليا لقوله ان فرعون علا في الارض وكان ايضا مسرفا ومن اسرافه
انه كان على حقارته وخسته ادعى الالهية ولما بين الله تعالى انه كيف
دفع عن بني اسرائيل بين انه كيف اوصل اليهم الخيرات فقال
ولقد اخترناهم على علم على العالمين وفيه بحثان الاول ان قوله على
علم في موضع الحال ثم فيه وجهان احدهما اي عالمين بكونهم
مستحقين لان يختاروا ويرجحوا على غيرهم والثاني ان
يكون المعنى مع علمنا بانهم قد يعصون ويصدر عنهم الزلات
في بعض الاحوال البحث الثاني ظاهر قوله ولقد اخترناهم
على علم على العالمين يقتضي كونهم افضل من كل العالمين فقيل

المراد على ما في إمامهم وقيل هذا عام دخله التخصيص لقوله
لستم خير امة اخرجت للناس ثم قال تعالى وآتيناهم
من الآيات مثل فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى
وغيرها من الآيات العظام لأنه تعالى كما بلاهم بالمحنة
فقد بلاهم أيضا بالنعمة واختبارا لطاعتهم ليتميز الصديق
عن الزنديق وهاهنا آخر الكلام على قصة موسى عليه السلام
ثم رجع إلى ذكر كفار مكة وذلك لأن الكلام فيهم حيث
قال بل هم في شك يلعبون أي بل هم في شك من البعث
والقيامة ثم بين كيفية إصرارهم على كفرهم بأن قوم فرعون
كانوا في الإصرار على الكفر على هذه الصفة ثم بين أنه
أهلكهم وأنعم على بني إسرائيل ثم رجع إلى الحديث
الأول وهو كون كفار مكة منكرين للبعث فقال إن هؤلاء
ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين قيل
القوم كانوا ينكرون الحياة الثانية فكان من حقهم أن يقولوا
إن هي إلا حياتنا الأولى وما نحن بمنشرين قلنا إنه قيل لهم
إنكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدم حال النطفة
لهم أمواتا وقد تعقبها حياة وذلك قوله وكنتم أمواتا فأحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا إن هي إلا موتتنا الأولى يريدون ما الموتة
التي من شأنها أن تعقبها حياة إلا الموتة الأولى خاصة
ولا فرق إذا بين هذا الكلام وبين قوله
إن هي إلا حياتنا الدنيا هذا ما ذكره
صاحب

صاحب الكشاف ويمكن أن يذكر فيه وجه آخر وهو أن قوله إن هي إلا موتتنا
الأولى يعني أنه لا يأتينا من الأحوال الشديدة إلا الموتة الأولى وهذا
الكلام لا يدل على أنه لا يأتيهم الحياة الثانية ثم صرحوا
بهذا المرموز فقالوا وما نحن بمنشرين ولا حاجة إلى التأويل
الذي ذكره صاحب الكشاف ثم قال تعالى وما نحن بمنشرين
يقال أنشر الله الموتى ونشرهم إذا بعثهم ثم إن الكفار احتجوا
على نفي الحشر والنشر بأن قالوا إن كان البعث والنشور
ممكنا معقولا فعجلوا لنا إحياء من مات من آبائنا بأن يسألوا ربكم
ذلك حتى يصير ذلك دليلا عندنا على صدق دعواكم في النبوة
والبعث في القيامة وقيل طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم
أن يدعو الله حتى ينشر قصي بن كلاب ليشاوروه في صحة نبوة محمد
وفي صحة البعث ولما حكى الله عنهم ذلك قال أهم خير أم قوم
تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين والمعنى أن
كفار مكة لم يذكروا في نفي الحشر والنشر شبهة حتى يحتاج
إلى الجواب عنها ولكنهم أصروا على الجهل والتقليد في ذلك الإنكار
فلهذا السبب اقتصر الله عز وجل على الوعيد فقال إن سائر
الكفار كانوا أقوى من هؤلاء ثم إن الله تعالى أهلكهم فلا بد
بهلاك هؤلاء فقوله تعالى أهم خير أم قوم تبع استفهام على
سبيل الإنكار قال أبو عبيدة ملوك اليمن كل
واحد منهم يسمى تبعا لأن أهل الدنيا كانوا يتبعونه وموضع
تبع في الجاهلية موضع الخليفة في الإسلام وهم الأعاظم
من ملوك العرب قالت عائشة رضي الله عنها كان تبع رجلا
صالحا وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه قال الكلبي هو أبو كرب

اسعد وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان
قد اسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري أكان تبع نبيا ام
غير نبي ۝ كان قيل ما معنى قوله اهم خير ام قوم
تبع مع انه لا خير في الفريقين قلنا معناه اهم
خير في القوة والشوكة كقوله تعالى أكفاركم
خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون ثم انه تعالى ذكر
الدليل القاطع على صحة القول بالبعث والقيامة
فقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
ولو لم يحصل البعث لكان هذا الخلق لعبا وعبثا وقد
مر تقرير هذه الطريقة بالاستقصاء في اول سورة
يونس وفي اخر سورة قد افلح حيث قال افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وفي سورة ص حيث قال
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ثم قال
ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون
والمراد اهل مكة واما استدلال المعتزلة
بهذه الاية على انه تعالى لا يخلق الكفر والفسوق
ولا يريدهما فهو مع جوابه معلوم والله اعلم
قوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين
يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون
الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرت
الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي
الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق
راسه من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز الكريم

ان هذا ما كنتم به تمترون ۝ اعلم ان المقصود من قوله
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين اثبات
القول بالبعث والقيامة فلا جرم ذكر عقيبه قوله تعالى
ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين وفي تسمية يوم القيمة
بيوم الفصل وجوه الاول ۝ قال الحسن
يفصل الله تعالى فيه بين اهل الجنة واهل النار ۝
الثاني يفصل في الحكم والقضاء بين عباده ۝
الثالث انه في حق المؤمن يوم الفصل بمعنى انه
يفصل بينه وبين كل ما يكرهه وفي حق الكافر يفصل
بينه وبين كل ما يريده ۝ الرابع انه يظهر حال
كل احد كما هو فلا يبقى الا الحقايق والبينات ۝
قال ابن عباس المعنى ان يوم الفصل بين عباده ميقاتهم
اجمعين البر والفاجر ثم وصف ذلك اليوم فقال
يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا يريد قريب عن قريب
ولا هم ينصرون اي ليس لهم ناصر والمعنى ان الذي
يتوقع منه النصر عليهم اما القريب في الدين او في
النسب او المعتق وكل هؤلاء يسمون بالمولى
فلما لم يحصل النصر منهم فبان لا يحصل من سواهم
اولى وهذه الاية شبيهة بقوله تعالى واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الى قوله ولا هم ينصرون
قال الواحدي والمراد بقوله لا يغني مولى عن مولى
الكفار الا ترى انه ذكر المؤمن فقال الا من
رحم الله قال ابن عباس يريد المؤمن فانه ال

يسمع له الانبيا والملائكة ن واعلم انه تعالى
لما اقام الدلالة على ان القول بالقيمة حق ثم اردفه
بوصف ذلك اليوم ذكر بعده وعيد الكفار ثم بعده
وعد الابرار اما وعيد الكفار فقوله ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم وفيه مسايل **المسله الاولى** قال
صاحب الكشاف قرى ان شجرة الزقوم بكسر الشين ثم قال
وفيه ثلاث لغات بكسر الشين وضمها وفتحها ن
المسله الثانيه البحث عن اشتقاق لفظ الزقوم
قد تقدم في سورة والصافات ولا فايدة في الاعادة ن
المسله الرابعه قالت المعتزلة الاية دالة على حصول
هذا الوعيد الشديد للاثيم والاثيم هو الذي صدر عنه
الاثم فيكون هذا الوعيد حاصلا للفساق والجواب
انا بينا في اصول الفقه ان اللفظ المفرد الذي دخل
عليه حرف التعريف الاصل فيه ان ينصرف الى المذكور
السابق ولا يفيد العموم وهاهنا المذكور السابق هو
الكفار فينصرف اليه **المسله الخامسه** مذهب ابي حنيفة
رحمه الله ان قراة القران بالمعنى جايز واحتج عليه بما نقل
ان ابن مسعود كان يقرى رجلا هذه الاية فكان
يقول طعام اليتيم فقال طعام الفاجر وهذا الدليل
في غاية الضعف على ما بينا في الفقه ثم قال كالمهل قرى
بضم الميم وفتحها وسبق تفسيره في سورة الكهف وقد شبه الله تعالى
هذا الطعام بالمهل وهو دردي الزيت وعكر القطران
ومذاب النحاس وساير الفلزات ثم الكلام هاهنا

ثم اخبر

ثم اخبر عن غليانه في بطون الكفار فقال تعالى في البطون
وقرى بالتاء فمن قرا بالتاء فللتانيث الشجرة ومن قرا بالياء
حمله على الطعام في قوله طعام الاثيم لان الطعام هو الشجرة
في المعنى واختار ابو عبيد الياء لان الاسم المذكور
الذي يلي الفعل هو المهل فصار التذكير به اولى
واعلم انه لا يجوز ان يحمل الغلي على المهل لان المهل مشبه
به وانما يغلي ما يشبه بالمهل كغلي الحميم الماء اذا اشتد
غليانه حميم ثم قال خذوه اي خذوا الاثيم فاعتلوه
قرى بكسر التاء قال الليث العتل ان تاخذ بتلبيب
الرجل فتعتله اي تجره اليك وتذهب به الى حبس او محنة
واخذ فلان بزمام الناقة يعتلها وذلك اذا قبض على اصل
الزمام عند الراس وقادها قودا عنيفا وقال ابن السكيت
عتلته الى السجن وعتنته اذا دفعته دفعا عنيفا هذا
قول جميع اهل اللغة في العتل وذكروا في اللغتين ضم
التاء وكسرها وهما صحيحان مثل يعكفون ويعكفون
ويعرشون ويعرشون وقوله تعالى الى سواء الجحيم اي الى وسط
الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الجحيم كقوله تعالى
يصب من فوق رؤوسهم الحميم الا ان هذه الاستعارة
اكمل في المبالغة كانه يقول صبوا عليه عذاب ذلك
الحميم ونظيره قوله تعالى ربنا افرغ علينا صبرا
ذق انك انت العزيز الكريم وذكروا فيه وجوها الاول
انه يخاطب بذلك على طريق الاستهزاء والمراد انك
انت بالضد منه والثاني ان ابا جهل قال لرسول الله

الليث

ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت
ولا ربك ان تفعلا بي شيئا ۝ والثالث انك لست
تعتز بالله فانظر ما وقعت فيه وقوى انك تعنى
لاملك ثم قال ان هذا ما كنتم به تمترون اى تشكون
والمراد منه ما ذكره في اول السورة حيث قال بل هم
في شك ۝ قوله تعالى ان المتقين في مقام
امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق
متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة
امنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
ووقيهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم
فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم
مرتقبون ۝ اعلم انه تعالى لما ذكر الوعيد
في الايات فقال ان المتقين قال اصحابنا كل من اتقى
الشرك فقد صدق عليه اسم المتقي فوجب ان يدخل
الفساق في هذا الوعد واعلم انه تعالى ذكر من
اسباب تنعمهم اربعة اشياء اولها مساكنهم
فقال في مقام امين واعلم ان المسكن انما
يطيب بشرطين احدهما ان يكون امنا عن جميع ما
يخاف ويحذر وهو المراد من قوله في مقام امين قرأ الجمهور
في مقام بفتح الميم وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم
قال صاحب الكشاف المقام بفتح الميم هو
موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي

جعل مستعملا في المعنى العام وبالضم هو موضع الاقامة
والامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد
الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان
المخيف كأنه يخون صاحبه والشرط الثاني لطيب
المكان ان يكون قد حصل فيه اسباب النزهة وهي الجنات
والعيون فلما ذكر هذين الشرطين في مساكن اهل الجنة
فقد وصفها بما لا يقبل الزيادة والقسم الثاني
من تنعماتهم الملبوسات فقال يلبسون من سندس
واستبرق فان قيل كيف جاز ورود الاعجمي في القرآن
قلنا لما عرب فقد صار عربيا ۝ واما القسم الثالث
فهو جلوسهم على صفة التقابل والغرض منه استيناس
البعض بالبعض فان قالوا الجلوس على هذا الوجه موحش
لانه يكون واحد منهم مطلعا على ما يفعله الاخر وايضا فالذي
يقل ثوابه اذا اطلع على حال من يكثر ثوابه ينغص عيشه
قلنا احوال الاخرة بخلاف احوال الدنيا ۝ والقسم
الرابع ازواجهم فقال كذلك وزوجناهم بحور عين
الكاف فيه وجهان ان يكون مرفوعا والتقدير الامر كذلك
او منصوبا والتقدير اتيناهم مثل ذلك قال ابو عبيدة
جعلناهم ازواجا لهم بزوج البعل بالبعل اى جعلناهم
اثنين اثنين واختلفوا في ان هذا اللفظ هل يدل على حصول
عقد التزويج ام لا قال يونس وذلك قوله تعالى

وزوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن وليس من عقد التزويج
والعرب لا تقول تزوجت بها وانما تقول تزوجتها
قال الواحدي رحمه الله عليه والتنزيل يدل على ما
قال يونس وذلك قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا
زوجناكها ولو كان المراد تزوجت بها لقال زوجنا لك
بها ايضا فقول العامل زوجته معناه انه
كان فردا فزوجه باخر كما تقول شفعته بها واما الحور فقال
الواحدي واصل الحور البياض والتحوير التبييض وقد ذكرنا
ذلك في تفسير الحواريين وعين حوراء اذا اشتد بياض
بياضها واشتد سواد سوادها ولا تسمى المراة حوراء حتى تكون
حور عينيها بيضاء في لون الجسد والدليل على ان
المراد بالحور في هذه الاية البيض قراءة ابن مسعود
بعير عين اي بيض واما العين فجمع عيناء وهي التي
تكون عظيمة العينين من النساء قال الجبائي
انه لا اعزاز اذا كان ضخم العين واسعها والانثى
عيناء والجمع عين ثم اختلفوا في هؤلاء الحور العين
فقال الحسن هن عجائزكم الرمد ينشئهن الله خلقا
اخر وقال ابو هريرة انهن لسن من نساء الدنيا

النوع الخامس من نعمات اهل الجنة

المأكول فقال يدعون فيها بكل فاكهة امنين
قالوا انهم ياكلون جميع انواع الفاكهة لاجل انهم امنون

من التخم والامراض ولما وصف الله انواع ما هم فيه
من الراحات والخيرات بين ان حياتهم دائمة فقال
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وفيه سؤالان
السؤال الاول انهم ما ذاقوا الموتة الاولى
في الجنة فكيف حسن هذا الاستثناء واجيب عنه من
وجهين الاول قال صاحب الكشاف اريد ان يقال
لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة
الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال في
المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قال ان
كانت الموتة الاولى يمكن ذوقها في المستقبل
فانهم يذوقونها الثاني ان الا بمعنى لكن والتقدير
لا يذوقون فيها لكن الموتة الاولى قد ذاقوها والثالث
ان الجنة حقيقتها ابتهاج النفس وفرحها بمعرفة الله وطاعته
ومحبته واذا كان كذلك فالانسان الذي فاز
بهذه السعادة فهو في الدنيا في الجنة وفي الاخرة ايضا
في الجنة واذا كان الامر كذلك فقد وقعت الموتة
الاولى حين كان الانسان في الجنة الحقيقية
التي هي جنة المعرفة والمحبة فذكر هذا الاستثناء
للتنبيه على قولنا ان الجنة هي حصول هذه الحالة
لا الدار التي هي دار الاكل والشرب ولهذا السبب
قال صلى الله عليه وسلم لا يموتون ولكن ينقلون
من دار الى دار والرابع ان من جرب شيئا ووقف
عليه صح ان يقال انه ذاقه واذا صح ان يسمى ذلك العلم

العلم بالذوق صح ان يسمى بذكره اصابا للذوق فقوله
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى معناه لا
الذوق الحاصل بسبب تذكر الموتة الاولى ○
السؤال الثاني اليس ان اهل النار لا يذوقون
فلم بشر اهل الجنة بهذا مع ان النار يشاركهم فيه والجواب
ان البشارة ما وقعت بدوام الحيوة بل بدوام الحيوة
مع سابقة حصول تلك الخيرات والسعادات فظهر
الفرق قال تعالى ووقيهم عذاب الجحيم قرئ ووقاهم
بالتشديد فان قيل لو اقتصر اليس ان يكون ذكر الوقاية
عن عذاب الجحيم قبل الفوز بالجنة وقد لا يفوز فاذا ذكر
بعد انه فاز بالجنة حصلت الفائدة اما الذي فاز بخيرات
الجنة فقد تخلص عن عقاب الله لا محالة فلم يكن ذكر الفوز
عن عقاب جهنم بعد ذكر الفوز بثواب الجنة مفيدا واجيب
التقدير وكانه تعالى قال فانهم اول الامر عن عذاب الجحيم ثم
قال فضلا من ربك يعني كل ما وصل اليه من الخلاص
عن النار والفوز بالجنة فانما يحصل بفضل الله تعالى
واحتج اصحابنا رضي الله عنهم بهذه الاية على ان
الثواب يحصل تفضلا من الله تعالى على سبيل الفضل
والاحسان قال القاضي اكثر هذه الاشياء وان
كانوا قد استحقوها بعملهم فهو بفضل الله تعالى لانه تعالى تفضل
بالتكليف وغرضه منه ان يصيرهم الى هذه المنزلة فهو كمن
اعطى غيره ما لا يصل به الى ملك ضيعة وانه يقال في
ملك الضيعة انها من فضله قلنا مذهبك ان هذا

الثواب

حق لازم على الله فانه تعالى لو منعه لصار سفيها ولخرج
به عن الالهية وكيف يمكن وصف مثل هذا الشيء بانه فضل
من الله تعالى ثم قال تعالى ذلك هو الفوز العظيم احتج
اصحابنا بهذه الاية على ان التفضل اعلى درجات من الثواب
المستحق فانه وصفه بكونه فضلا من الله تعالى ثم وصف
الفضل من الله بكونه فوزا عظيما ويدل عليه ايضا ان
الملك العظيم اذا اعطى الاجير اجرته ثم خلع على انسان
اخر فان تلك الخلعة اعلى حالا من اعطاء تلك الاجرة ولما
بين الله تعالى الدلائل وشرح الوعد والوعيد قال
فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون والمعنى انه تعالى
وصف القرآن في اول هذه السورة بكونه كتابا مبينا
اي كثير البيان والفائدة وذكر في خاتمتها ما يؤكد ذلك
فقال ان ذلك الكتاب المبين الكثير الفائدة انما يسرناه بلسانك
اي انما انزلناه عربيا بلغتك لعلهم يتذكرون قال القاضي
وهذا يدل على انه تعالى اراد من الكل الايمان والمعرفة وانه
ما اراد من احد الكفر واجاب اصحابنا ان الضمير في قوله لعلهم
يتذكرون عائد الى اقوام مخصوصين فيحمل ذلك على المؤمنين ثم قال
فارتقب اي فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك متربصون
بك الدوائر والله اعلم قال المصنف رضي الله عنه
تم تفسير هذه السورة يوم الثلثاء في نصف الليل من ذي الحجة سنة ثلث
وستمائة ماداه المعروف يا قديم الاحسان شهد الله اشراق الحرس

وضوء الكرسي ومعارج السموات وانوار الثوابت والسيارات
على ما هو عليه المسبوحة في علو الاعلى ومعارجها المقدسة
عن غبار عالم الكون والفساد بان الاول الازلي لا يناسبه الحق
شيء من علايق العقول ومشاهد الخواطر ومناسبات المحدثات
والقمر يشهد بمحو مقرها بالنقصان والشمس تشهد بتغيرها
معترفة بالحاجة الى تدبير الرحمن والطبايع مقهورة تحت القدرة
القاهرة والله في عساب لمعارج العالية فالعبرات
شاهدة بعدم بقاء والمتعاقبات ناطقة بدوام سرمديته
وكل ما وجد عليه الله مضى وسياتي فهو حادث والعلم بانه
محروس الوجود دائم الحياة وباعدامه الفناء والفساد وكل
ما سواه فهو تابع في جبروته حاير عند طلوع نور ملكوته
وليس عند عقول الخلق الا انه بخلافه بل الحق بالعز
والجلال والقدرة والكمال والجود والافضال وتبارك
ما دينا اياك نرجو ذلك نصلي ونصوم وعليك المعول
وانت المبدا الاول

سورة الجاثية سبع وثلثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض
لايات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم

يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء
من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح ايات
لقوم يعقلون تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فباي
حديث بعد الله واياته يؤمنون ۞ وفي الاية مسائل

المسئلة الاولى اعلم ان في قوله حم تنزيل الكتاب وجوها
الاول ان يكون حم مبتدا وتنزيل الكتاب خبره وعلى
هذا التقدير لا بد من حذف مضاف والتقدير تنزيل حم
تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل الثاني ان يكون
قوله حم في تقدير بحق حم قسما وتنزيل الكتاب نعتا له وجواب
القسم ان في السموات والتقدير وحم الذي هو تنزيل الكتاب
ان الامر كذا وكذا ۞ **المسئلة الثانية** قوله العزيز الحكيم
يجوز جعلهما صفة لله تعالى او للكتاب فان جعلناهما صفة لله
كان ذلك حقيقة وان جعلناهما صفة للكتاب كان ذلك
مجازا والحقيقة اولى من المجاز الثاني ان زيادة القرب
توجب الرجحان الثالث انا اذا جعلنا العزيز الحكيم
صفة لله تعالى كان ذلك اشارة الى الدليل الدال على ان القران
حق لان كونه عزيزا يدل على كونه قادرا على كل الممكنات
وكونه حكيما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات غنيا
عن كل الحاجات وكل من كان كذلك امتنع منه صدور
العبث والباطل واذا كان كذلك كان ظهور المعجز
دليلا على الصدق فثبت انا اذا جعلنا كونه عزيزا حكيما
صفتين لله عز وجل حصل منه هذه الفايدة اما اذا جعلناهما
صفتين للكتاب لم يحصل منه هذه الفايدة فكان

الاولى والله اعلم ثم قال تعالى ان في السموات
والارض لايات للمومنين وفيه مباحث الاول
ان في قوله ان في السموات والارض لايات يجوز اجراوه على
ظاهره لانه حصل في ذوات السموات والارض احوال
دالة على وجود الله تعالى مثل مقاديرها وكيفياتها
وحركاتها وايضا الشمس والقمر والنجوم والجبال
والبحار موجودة في السموات والارض وهي ايات ويجوز
ان يكون المعنى ان في خلق السموات والارض كما صرح في سورة
في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض البحث الثاني قد ذكرنا
الوجوه الكثيرة في دلالة السموات والارض ولا باس
بان نعيد بعضها فنقول انها تدل على وجود الاله من
وجوه الاول انها اجسام لا تخلو عن الحوادث وما لا
يخلو عن الحوادث فهو حادث فهذه الاجسام حادثة وكل
حادث فله محدث الثاني انها مركبة من الاجزاء وتلك
الاجزاء متماثلة لما بينا ان الاجسام متماثلة وتلك
الاجزاء وقع بعضها في العمق دون السطح وبعضها في
السطح دون العمق فلون وقوع كل جزء في الموضع
الذي وقع فيه من الجائزات وكل جائز فلا بد من مرجح
ومخصص ○ الثالث ان الافلاك والعناصر
مع تماثلها في تمام الماهية الجسمية اختص كل واحد
منها بصفة معينة كالحرارة والبرودة واللطافة
والكثافة والفلكية والعنصرية فلولا ذلك لامرا ولا
بد لها من مرجح ○ الرابع ان اجرام الكواكب مختلفة

في الالوان مثل كمودة زحل وبياض المشتري وحمرة المريخ
والضوء الباهر للشمس ودرية الزهرة وصفرة
عطارد ومحو القمر وايضا فبعضها سعيد وبعضها نحسة
وبعضها نهاري ذكر وبعضها ليلي انثى وقد بينا ان
الاجسام في ذواتها متماثلة فوجدان يكون اختلاف
الصفات لاجل ان الاله القادر المختار خصص كل
واحد منها بصفته المعينة الخامس ان كل فلك فانه
فانه مختص بالحركة الى جهة معينة ومختص بمقدار واحد
من السرعة والبطء وكل ذلك من الجائزات فلا
بد من الفاعل المختار ○ والسادس ان كل فلك
شيء مختص بمعين وذلك ايضا من الجائزات ولا بد من الفاعل
المختار وتمام الوجوه المذكورة في تفسير تلك الايات
البحث الثالث قوله لايات للمومنين يقتضي كون
هذه الايات مختصة بالمومنين فقالت المعتزلة انها
ايات للمومن والكافر الا انه لما انتفع بها المومن دون الكافر
اضيف كونها ايات للمومنين نظيره قوله تعالى
هدى للمتقين فانه هدى لكل الناس كما قال تعالى
هدى للناس الا انه لما انتفع بها المومنون خاصة لا جرم
قيل هدى للمتقين وكذا هاهنا وقال الاصحاب
الدليل والاية هو الذي يترتب على معرفته حصول العلم وذلك
العلم انما يحصل بخلق الله تعالى لا بالايجاب وذلك الدليل
والله تعالى انما خلق ذلك العلم للمومن لا للكافر فكان ذلك
اية ودليلا في حق المومن لا في حق الكافر والله اعلم ○

ثم قال تعالى وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم
يوقنون وفيه أبحاث البحث الأول قال صاحب
الكشاف قوله وما يبث عطفا على الخلق المضاف لا على
الضمير المضاف إليه لأن المضاف إليه ضمير متصل مجرور
والعطف عليه مستقبح ولا يقال مررت بك وزيد وهذا
طعنوا في قراءة حمزة تساءلون به والأرحام بالجر في قوله
والأرحام وكذلك أن الذين استقبحوا هذا العطف فلا يقولون
مررت بك أنت وزيد البحث الثاني قرأ حمزة
والكسائي آيات بكسر التاء وكذلك الذي بعده
وتصريف الرياح آيات والباقون بالرفع فيهما أما الرفع
فمن وجهين ذكرهما المبرد والزجاج والواحدي أحدهما
العطف على موضع إن وما عملت فيه لأن موضعهما رفع بالابتداء
فيحمل الرفع فيه على الموضع كما يقال إن زيدا منطلق وعمرو
أن الله بريء من المشركين ورسوله لأن معنى قوله
أن الله بريء أن يقول الله بريء من المشركين ورسوله
والوجه الثاني أن يكون قوله وفي خلقكم مستأنفا ويكون
الكلام جملة معطوفة على جملة أخرى كما يقال
إن زيدا منطلق وعمرو كاتب وجعلت قولك وعمرو كاتب
كلاما آخر كما يقال زيد في الدار وخرج إلى بلد كذا
فإنما حدثت بحديثين ووصلت أحدهما بالآخر بالواو وهذا
الوجه هو اختيار أبي الحسن والفراء وأما وجه القراءة
بالنصب فهو العطف على قوله إن في السماوات على معنى
وإن في خلقكم آيات ويقولون هذه القراءة في قراءة أبي وعبد الله

لآيات

لآيات ودخول اللام يدل على أن الكلام محمول على أن البحث
الثالث قوله وفي خلقكم معناه خلق الإنسان وقوله وما
يبث من دابة إشارة إلى خلق سائر الحيوانات ووجه
دلالتها على وجود الإله القادر المختار أن الأجسام
متساوية فاختصاص كل واحد من الأعضاء بكونه
المعين وصفته المعينة وشكله المعين لا بد وأن
يكون بتخصيص القادر المختار ويدخل في هذا الباب
انتقاله من سن إلى سن آخر ومن حال إلى حال أخرى
والاستقصاء في هذا الباب قد تقدم ثم قال تعالى
واختلاف الليل والنهار وهذا الاختلاف على
وجوه أحدها تبدل النهار بالليل وبالضد منه
وثانيها أنه تارة يزداد طول النهار على طول
الليل وتارة بالعكس وبمقدار ما يزداد
في النهار الصيفي يزداد في الليل الشتوي
وثالثها اختلاف مطالع الشمس في أيام السنة ثم
قال تعالى وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا
به الأرض بعد موتها وهو يدل على القول بالفاعل
الفاعل المختار من وجوه أحدها إنشاء السحاب
وإنزال المطر منه وثانيها تولد النبات من تلك
الحبة الواقعة في الأرض وثالثها تولد الأنواع
المختلفة وهي ساق الشجرة وأغصانها وأوراقها وثمارها
ثم تلك الثمرة منها ما يكون القشر محيطا باللب
كالجوز واللوز ومنها ما يكون اللب محيطا بالقشر كالمشمش
والخوخ ومنها ما يكون خاليا عن القشر كالتين فتولد أقسام

الثبات على كثرة اقسامها وتباين اقسامها يدل على صحة
القول بالفاعل المختار الحليم الرحيم ثم قال وتصريف
الرياح وهي تنقسم الى اقسام كثيرة بحسب تقسيمات
مختلفة فمنها الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية
ومنها الحارة والباردة ومنها الرياح النافعة
والضارة ولما ذكر هذه الانواع الكثيرة من الدلائل
قال انها ايات لقوم يعقلون واعلم
ان الله تعالى جمع هذه الدلائل في سورة البقرة
فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد
موتها وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء
والارض لايات لقوم يعقلون فذكر الله سبحانه
وتعالى هذه الاقسام الثمانية من الدلائل والتفاوت
بين الموضعين من وجوه الاول انه تعالى قال
في سورة البقرة ان في خلق السموات وقال
هاهنا ان في السموات والصحيح عند اصحابنا ان
الخلق غير المخلوق فذكر لفظ الخلق في سورة البقرة
ولم يذكره في هذه السورة تنبيها على انه لا تفاوت
بين ان يقال السموات او خلق السموات فيكون هذا
دليلا على ان الخلق عين المخلوق الثاني انه ذكر
هناك ثمانية انواع من الدلائل وذكرها هنا ستة
انواع واهمل منها الفلك والسحاب والسبب فيه ان
مدار حركة الفلك والسحاب على الرياح المختلفة

فذكر الرياح الذي هو كالسبب يغني عن ذكرهما والتفاوت
الثالث انه جمع الكل وذكرها مقطعا واحدا وهاهنا
رتبها على ثلاثة انواع والغرض التنبيه على انه لابد من
افراد كل واحد منها بنظر تام شافي والتفاوت الرابع
انه تعالى ذكر في هذه المواضع ثلاثة مقاطع
احدها للمومنين وثانيها يوقنون وثالثها
يعقلون واظن ان سبب هذا الترتيب ان قيل
ان كنتم من المومنين فافهموا هذه الدلائل
وان كنتم لستم من المومنين بل انتم من طلاب
الحق واليقين فافهموا هذه الدلائل وان
كنتم لستم من المومنين ولا من الموقنين فلا
اقل ان تكونوا من زمرة العاقلين فاجتهدوا
في معرفة هذه الدلائل واعلم ان كثيرا من الفقهاء
يقولون انه ليس في القران العلوم التي يبحث عنها المتكلمون
بل ليس فيه الا ما يتعلق بالاحكام والفقه وذلك
غفلة عظيمة لانه ليس في القران سورة طويلة منفردة
بذكر الاحكام فيها وفيها سور كثيرة خصوصا المكيات
ليس فيها الا ذكر دلائل التوحيد والنبوة والبعث
والقيامة وكل ذلك من علوم الاصوليين ومن تامل
القران علم انه ليس بيد علماء الاصول الا تفصيل
ما اشتمل عليه القران على سبيل الاجمال ثم قال تعالى
تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق والمراد من قوله
بالحق هو ان صحتها معلومة بالدلائل العقلية وذلك

صح بدل مواضع

لان العلم بها حجة صحيحة اما ان يكون مستفادا من النقل
او العقل والاول باطل لان صحة الدلائل النقلية
موقوفة على سبق العلم باثبات الاله العالم القادر الحكيم
واثبات النبوة وكيفية دلالة المعجزات على صحتها
فلو اثبتنا هذه الاصول بالدلائل النقلية لزم الدور
وهو باطل ولما بطل هذا ثبت ان العلم بحقيقة هذه
الدلائل لا يمكن تحصيله الا بمحض العقل واذا ثبت
ذلك كان قوله تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق
من اعظم الدلائل على الترغيب في علم الاصول وتقرير
المباحث العقلية ثم قال تعالى فباي حديث
بعد الله وآياته يؤمنون يعني ان من لم ينتفع بهذه الآيات
فلا شيء بعده يجوز ان ينتفع به وابطل بهذا قول من زعم
ان التقليد كاف وبين انه يجب على المكلف التامل
في دلائل دين الله وقوله يؤمنون قرئ بالتاء
والياء واختار ابو عبيد الياء لان قبله غيبة وهو قوله
لقوم يوقنون ولقوم يعقلون ○ فان قيل
ان في قوله اول الكلام خطابا وهو قوله وفي خلقكم
قلنا الغيبة التي ذكرنا اقرب الى الحرف المختلف
فيه والاقرب اولى ووجه قول من قرأ بالتاء رجع
الى الخطاب ان قل فيه مقدر على تاويل قولهم فباي
حديث بعد ذلك يؤمنون **قوله تعالى** ويل
لكل افاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر
مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم

واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك
لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم
ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء
ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا
بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم ○ اعلم
انه تعالى لما بين الآيات للكفار وبين انهم
باي حديث بعدها يؤمنون اذا لم يؤمنوا بها
مع ظهورها اتبعه بوعيد عظيم لهم فقال ويل
لكل افاك اثيم الافاك الكذاب والاثيم
المبالغ في اقتراف الآثام ○ واعلم ان هذا
الاثيم له مقامات الاول ان يبقى مصرا
على الانكار والاستكبار فقال تعالى مستكبرا
عن الايمان معجبا بما عنده قيل نزلت في
النضر بن الحارث وما كان يشتري من حديث
الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن
والآية عامة فيمن كان موصوفا بهذه الصفة
المذكورة فان قالوا ما معنى ثم في قوله ثم يصر
مستكبرا قلنا نظيره قوله تعالى الحمد لله الذي
خلق السموات والارض الى قوله تعالى ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون ومعناه انه تعالى
لما كان خالقا للسموات والارض كان من المستبعد
جعل هذه الاصنام مساوية له في العبادة
فكذا هنا سماع آيات الله على قوتها وظهورها

الآيات خ

من المستبعد ان يقابل بالانكار والاعراض ثم قال تعالى
كان لم يسمعها الاصل كانه لم يسمعها والضمير
ضمير الشان ومحل الجملة النصب على الحال اى
يصر مثل غير السامع في المقام الثاني فيصل
من مقام الاصرار والاستكبار الى مقام الاستهزا
فقال واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا وكان
من حق الكلام ان يقال اتخذه هزوا اى اتخذ ذلك
الشي هزوا الا انه تعالى قال اتخذها للاشعار
بان هذا الرجل اذا احس بشي من الكلام انه من
جملة الايات التي انزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم
خاض في الاستهزا بجميع الايات ولم يقتصر على الاستهزا
بذلك الواحد ثم قال تعالى اولئك لهم عذاب
مهين اولئك اشارة الى كل افاك اثيم فيدخل فيه
جميع الافاكين ثم وصف كيفية ذلك العذاب
المهين فقال من ورائهم جهنم اى من قدامهم
جهنم قال صاحب الكشاف هو اسم
للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام ثم بين
ان ما ملكوه في الدنيا لا ينفعهم فقال ولا يغني
عنهم ما كسبوا شيئا ثم بين ان اصنامهم لا تنفعهم
فقال ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء
ولهم عذاب عظيم فان قيل انه قال قبل هذه الاية
ولهم عذاب مهين قلنا كون العذاب مهينا يدل
على حصول الاهانة مع العذاب وكونه عظيما يدل

على

على كونه بالغا الى اقصى الغايات في كونه ضررا ثم قال تعالى
هذا هدى اى كامل في كونه هدى والذين كفروا بايات ربهم
لهم عذاب من رجز اليم والرجز اشد العذاب بدليل
قوله تعالى رجزا من السماء وقوله تعالى لئن كشفت
عنا الرجز وقرئ اليم بالجر والرفع اما الجر فتقديره لهم
عذاب من عذاب اليم واذا كان عذابهم من عذاب
اليم كان عذابهم اليما ومن رفع كان المعنى لهم
عذاب اليم ويكون من الرجز الرجس الذي هو النجاسة
ومعنى النجاسة فيه قوله ويسقى من ماء صديد
وكان المعنى لهم عذاب من تجرع رجس
او شرب رجس فتكون تبيينا للعذاب ثم هو
قوله تعالى الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه
بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا
منه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله
ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل
صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون
اعلم انه تعالى ذكر الاستدلال بكيفية جريان
الفلك على وجه البحر وذلك لا يحصل الا بسبب تسخير
ثلاثة اشيا احدها الرياح التي تجري على وفق المراد
وثانيها خلق وجه الماء على الملاسة التي تجري عليها الفلك
وثالثها خلق الخشبة على وجه تبقى طافية على وجه

الماء ولا تغوص فيه فهذه الاحوال الثلثة لا تقدر
عليها احد من البشر فلا بد من موجود قادر عليها
وهو الله سبحانه وتعالى وقوله تعالى ولتبتغوا
من فضله معناه اما بسبب التجارة او بالغوص على اللؤلؤ
والمرجان او لاجل استخراج اللحم الطري ثم قال تعالى
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه والمعنى
او لان الله تعالى وقف اجرام السموات والارض
في مقارها واحيازها لما حصل الانتفاع لان بتقدير
كون الارض من الذهب او الفضة او الحديد لم تحصل
الانتفاع وكل ذلك قد بيناه فان قيل ما معنى
منه في قوله جميعا منه قلنا معناه انها واقعة موقع
الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة
من عنده يعني انه تعالى مكونها وموجدها بقدرته
وحكمته ثم سخرها لخلقه قال صاحب الكشاف وقرا سلمة
ابن محارب منه على ان يكون منه فاعل سخر على الاسناد
المجازي او على انه خبر مبتدا محذوف اي ذلك منه
هو منه واعلم ان الله تعالى لما علم عباده دلائل
التوحيد والقدرة والحكمة اتبع ذلك بتعليم الاخلاق
الفاضلة والافعال الحميدة فقال قل للذين امنوا
يغفروا للذين لا يرجون ايام الله والمراد بالذين
لا يرجون ايام الله الكفار واختلفوا في سبب نزول
الاية فقال ابن عباس قل للذين امنوا عمر يغفروا للذين
لا يرجون ايام الله يعني عبد الله بن ابي وذلك انهم نزلوا

في غزاة بني المصطلق على بئر يقال له المريسيع فارسل عبد الله
غلامه ليستقي الماء فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك
قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقي
حتى ملأ قرب النبي وقرب ابي بكر فقال عبد الله بن ابي
ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ قوله
عمر فاشتمل بسيفه يريد التوجه له فانزل الله تعالى
هذه الاية وقال مقاتل شتم رجل من كفار قريش
عمر فهم ان يبطش به فامر الله تعالى بالعفو والتجاوز وانزل
هذه الاية وروى ميمون بن مهران ان فنحاص اليهودي
قال لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا قال احتاج رب محمد فسمع بذلك عمر فاشتمل
على سيفه وخرج في طلبه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم
في طلبه فرده وقوله للذين لا يرجون ايام الله قال
ابن عباس لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه ولا
يخشون مثل عذاب الامم الخالية وذكرنا تفسير ايام الله
عند قوله وذكرهم بايام الله واكثر المفسرين يقولون
انه منسوخ وانما قالوا ذلك لانه يدخل تحت الغفران ان لا
يقتلوا ولا يقاتلوا فلما امر الله تعالى بهذه المقاتلة كان نسخا
والاقرب ان يقال انه محمول على ترك المنازعة في المحقرات
وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والافعال
الموحشة قال تعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
للمجازي بالمغفرة قوما يعملون الخير فان قيل ما الفائدة

والسلف في قوله ليجزي قوما ان المراد بهم هم المؤمنون
المذكورون في قوله قل للذين آمنوا فلما التنكير يدل على
تعظيم شانهم كانه قيل ليجزي قوما واي قوم قوما من
شانهم الصفح عن السيئات والتجاوز عن المؤذيات
وتحمل الوحشة وتجرع المكروه وقال آخرون
معنى الآية قل للمؤمنين يتجاوزوا عن الكفار ليجزي الله الكفار
بما كانوا يكسبون من الاثم كانه قيل لهم لا تكافئوهم
انتم حتى نكافئهم نحن ثم ذكر الحكم العام فقال من
عمل صالحا فلنفسه وهو مثل ضربه الله للذين يغفرون
ومن اساء فعليها مثل ضربه الله للكفار الذين كانوا
يقدمون على ايذاء الرسول والمؤمنين على ما لا
يحل ثم بين تعالى ان العمل الصالح يعود بالنفع العظيم على
فاعله والفعل الردي يعود بالضرر على فاعله
وانه تعالى امر بهذا ونهى عن ذلك لحظ العبد لا لنفع
يرجع الى الله وهذا ترغيب منه في العمل الصالح وزجر
عن العمل الباطل قوله تعالى ولقد آتينا بني
اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الامر
فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك
يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم
جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء
الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا
وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين هذا

بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب
الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا
الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون اعلم
انه تعالى بين انه انعم بنعم كثيرة على بني اسرائيل مع انه حصل
بينهم الاختلاف على سبيل البغي والحسد والمقصود ان
يبين ان طريقة قومه كطريقة من تقدم واعلم ان
النعم على قسمين نعم الدين ونعم الدنيا ونعم الدين افضل من
نعم الدنيا فلهذا بدأ الله تعالى بذكر نعم الدين فقال
ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة والاقرب
ان كل واحد من هذه الثلاثة يجب ان يكون مغايرا لصاحبه
اما الكتاب فهو التوراة واما الحكم ففيه وجوه يجوز ان يكون
المراد العلم والحكمة ويجوز ان يكون المراد العلم بفصل الحكومات
ويجوز ان يكون المراد معرفة احكام الله وهو علم الفقه واما
النبوة فمعلومة واما نعم الدنيا فهي المراد من قوله تعالى
ورزقناهم من الطيبات وذلك لانه تعالى وسع عليهم
في الدنيا فاورثهم اموال قوم فرعون وديارهم
ثم انزل عليهم المن والسلوى ولما بين تعالى انه
اعطاهم من نعم الدين ونعم الدنيا نصيبا وافرا قال
وفضلناهم على الخلق يعني انهم كانوا اكثر درجة
وارفع منقبة ممن سواهم في وقتهم فلهذا المعنى قال
المفسرون المراد وفضلناهم على عالمي زمانهم قال تعالى
وآتيناهم بينات من الامر وفيه وجوه الاول انه آتاهم

بينات من الأمر أي أدلة على أمور الدين الثاني قال
ابن عباس يعني بين لهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأنه
يهاجر من تهامة إلى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب
الثالث المراد وآتيناهم بينات أي معجزات قاهرة
على صحة نبوتهم والمراد معجزات موسى عليه السلام
ثم قال تعالى فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم وهذا مفسر في سورة عسق والمراد من ذكر
هذا الكلام التعجب من هذه الحالة لأن حصول العلم
يوجب ارتفاع الخلاف وههنا صار مجيء العلم سببا
لحصول الاختلاف وذلك لأنهم لم يكن مقصودهم
من العلم نفس العلم وإنما المقصود منه طلب الرياسة والتقدم
ثم ههنا احتمالات يجوز أنهم علموا ثم عاندوا ويجوز
أن يريد بالعلم الأدلة التي توصل إلى العلم والمعنى
أنه تعالى وضع الدلائل والبينات التي لو تأملوا
فيها لعرفوا الحق لكنهم على وجه الحسد والعناد
اختلفوا وأظهروا النزاع ثم قال تعالى إن ربك
يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون والمراد أنه
لا ينبغي أن يغتر المبطل بنعم الدنيا فإنها وإن ساوت
نعم المحق أو زادت عليها فإنه سيرى في الآخرة
ما يسوءه وذلك كالزجر لهم ولما بين تعالى أنهم
أعرضوا عن الحق لأجل البغي والحسد أمر رسوله
أن يعدل عن تلك الطريقة وأن يتمسك بالحق وأن

لا يكون له غرض سوى إظهار الحق وتقرير الصدق فقال
ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها أي على طريقة ومنهاج ع
من أمر الدين فاتبع شريعتك بالدلائل والبينات ولا تتبع [الثابتة]
ما لا حجة عليه من أهواء الجهال وأديانهم المبنية على
الأهواء والجهل قال الكلبي إن رؤساء قريش قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ارجع إلى ملة
آبائك فهم كانوا أفضل منك وأسن فأنزل الله تعالى
هذه الآية ثم قال إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا أي
لو ملت إلى أديانهم الباطلة فصرت مستحقا للعذاب فهم لا يقدرون
على دفع عذاب الله عنك ثم بين تعالى أن الظالمين يتولى بعضهم
بعضا في الدنيا وفي الآخرة لا ولي لهم ينفعهم في إيصال الثواب
وإزالة العقاب وأما المتقون المهتدون فالله وليهم
وناصرهم وهم موالوه وما أظهر الفرق بين الولايتين ولما
بين تعالى في هذه البيانات الباقية النافعة قال هذا
بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون وقد فسرناه في
آخر سورة الأعراف والمعنى هذا القرآن بصائر للناس
جعل ما فيه من البيانات الشافية والبينات الكافية
بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل في سائر الآيات
روحا وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب
لمن أيقن وآمن ولما بين الله تعالى الفرق بين الظالمين
المتقين من الوجه الذي تقدم بين الفرق بينهما
من وجه آخر فقال أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن
نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وفيه مباحث الأول

الاول ام كلمة وضعت للاستفهام عن شيء
حال كونه معطوفا على شيء آخر سواء كان ذلك المعطوف
مذكورا او مضمرا والتقدير ههنا أفيعلم المشركون هذا أم
يحسبون انا نتولاهم كما نتولى المتقين البحث الثاني
الاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة
أهله اي كاسبهم قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار
البحث الثالث قال الكلبي نزلت هذه الاية في
علي وحمزة وابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم وفي ثلثة
من المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قالوا
للمؤمنين والله ما انتم على شيء ولو كان ما تقولون
حقا لكان حالنا افضل من حالكم في الآخرة كما
انا افضل حالا منكم في الدنيا فانكر الله عليهم هذا الكلام
وبين انه لا يمكن ان يكون حال المؤمن المطيع مساويا
لحال الكافر العاصي في درجات الثواب ومنازل
السعادات واعلم ان لفظ حسب يستدعي
مفعولين احدهما الضمير المذكور في قوله ان نجعلهم
والثاني الكاف في قوله كالذين امنوا ونظيره قوله عز وجل
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون
وقوله انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا
ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقوله تعالى افنجعل
المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون وقوله تعالى
ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض

ام نجعل المتقين كالفجار ثم قال تعالى
سواء محياهم ومماتهم وفيه مسائل **المسئلة الاولى** قرا
حمزة والكسائي وحفص عن عاصم سواء بالنصب
والباقون بالرفع واختيار ابي عبيد النصب اما
وجه القراءة بالرفع فهو ان قوله سواء محياهم ومماتهم
مبتدا والجملة في حكم المفرد في محل النصب على البدل
من المفعول الثاني لقوله ام نجعل وهو الكاف
في قوله كالذين امنوا ونظيره قوله ظننت زيدا ابوه
منطلق واما وجه القراءة بالنصب فقال
صاحب الكشاف اجري سواء مجرى مستويا وارتفع
محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير
جملة ومن قرا ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم
ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سواء في
محياهم وفي مماتهم قال ابو علي من نصب سواء
جعل المحيا والممات بدلا من الضمير المنصوب في
نجعلهم فنصبوا التقدير ان نجعل محياهم ومماتهم
سواء قال ويجوز ان نجعله حالا ويكون المفعول
الثاني هو الكاف في قوله كالذين **المسئلة الثانية** اختلفوا
في المراد بقوله محياهم ومماتهم قال مجاهد عن ابن عباس
يعني احسبوا ان حياتهم ومماتهم كحيوة المؤمنين كلا
فانهم يعيشون كافرين ويموتون كافرين والمؤمنون
يعيشون مؤمنين ثم يموتون مؤمنين وذلك لان المؤمن
ما دام يكون في الدنيا فانه يكون وليه هو الله وانصاره المؤمنين

ومحياه الله معه والكافر بالضد منه كما ذكره في قوله
وان الظالمين بعضهم اولياء بعض وعند القرب الى الموت
فان حال المؤمن ما ذكره في قوله الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون وحال الكافر ما ذكره في قوله الذين
تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم واما في القيمة
فقال الله سبحانه وتعالى وجوه يومئذ مسفرة
ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة
ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة فهذا هو
الاشارة الى بيان وقوع التفاوت بين الحالتين والوجه
الثاني في تاويل الاية ان يكون المعنى انكار ان يستووا في
الممات كما استووا في الحيوة وذلك لان المؤمن والكافر
قد يستوي محياهم في الصحة والرزق والكفاية بل قد يكون
الكافر ارجح حالا من المؤمن وانما يظهر الفرق بينهما في الممات.
والوجه الثالث ان قوله سواء محياهم ومماتهم مستانف
على ان محيا المسيئين ومماتهم سواء فكذلك محيا المحسنين
ومماتهم اي كل يموت على حسب ما عاش عليه ثم انه تعالى
صرح بانكار التسوية فقال ساء ما يحكمون وهو
ظاهر قوله تعالى وخلق الله السموات
والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون
افرايت من اتخذ الهه هويه واضله الله على علم وختم على
سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله
افلا تذكرون وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا

وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا
ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم
الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
اعلم انه تعالى لما افتى بان المؤمن لا يساوي الكافر
في درجات السعادات اتبعه بالدلالة الظاهرة على صحة
هذه الفتوى فقال وخلق الله السموات والارض
بالحق ولو لم يوجد البعث لما كان ذلك بالحق بل كان بالباطل
لانه تعالى لما خلق الظالم وسلطه على المظلوم الضعيف
ثم لا ينتقم للمظلوم من الظالم كان ظالما ولو كان ظالما
لبطل انه ما خلق السموات والارض الا بالحق وتمام
تقرير هذه الدلائل مذكور في اول سورة يونس قال
القاضي هذه الاية تدل على ان مقصود الله ما لو فعل
لكان ظالما وذلك لا يصح الا على مذهب الذين
يقولون لو فعل كل شيء لم يكن ظالما على قول
من يقول انه لا يوصف بالقدرة على الظلم واجاب
الاصحاب عنه بان المراد فعل ما لو فعله غيره لكان
ظلما كما ان المراد من الابتلاء والاختبار فعل ما لو فعله غيره
لكان ابتلاء واختبارا وقوله تعالى ولتجزى فيه وجهان
الاول انه معطوف على قوله بالحق فيكون العطف
على محذوف والتقدير خلق الله السموات والارض ليدل
بها على قدرته ولتجزى كل نفس والمعنى ان المقصود
من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة

المحرم

وذلك لا يتم الا اذا حصل البعث والقيمة وحصل التفاوت
في الدركات والدرجات بين المحقين وبين المبطلين ثم
عاد تعالى الى شرح احوال الكفار وقبائح طرائقهم فقال
افرايت من اتخذ الهه هويه يعني تركوا متابعة الادلة واقبلوا
على متابعة الهوى فكان يعبد الهوى كما يعبد الرجل الهه
ومن الهه هويه لانه كلما طلبه الى شيء اتبعه وذهب
خلفه فكان هواه الهه يعني يعدل وثنا واخذ الها ثم
قال واضله الله على علم يعني على علم بان جوهر
روحه لا يقبل الصلاح وتطرق في جانب التعظيم قوله
الله اعلم حيث يجعل رسالاته وتحقيق الكلام فيه
ان جواهر الارواح البشرية مختلفة فمنها مشرقة
نورانية علوية الهية ومنها كدرة ظلمانية سفلية عظيمة
الميل الى الشهوات الجسدانية فهو تعالى يعامل كل احد منهم
بحسب ما يليق بجوهره وماهيته وهو المراد من قوله
واضله الله على علم في جواهر مردودين وبقوله الله اعلم
حيث يجعل رسالاته في حق المقبولين ثم قال تعالى
وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وهو المراد
من قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة وقد ذكرنا ذلك مع نظيره في سورة البقرة بالاستقصا
فالتفاوت بين الايتين انه في هذه الاية قدم ذكر السمع
على القلب وفي سورة البقرة قدم القلب على السمع والفرق
ان الانسان قد يسمع كلاما فيقع في قلبه منه اثر
مثل ان جماعة من الكفار كانوا يلقون الى الناس ان

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم شاعر وكاهن وانه يطلب الملك والرياسة
فالسامعون اذا سمعوا ذلك ابغضوه ونفرت قلوبهم عنه
واما هاهنا فكانوا يبغضونه بقلوبهم بسبب الحسد
الشديد فكانوا يسمعون ادلته ولو سمعوا كلامه ما فهموا
منه شيئا نافعا ففي الصورة الاولى كان الاثر يصعد من
البدن الى جوهر النفس وفي الصورة الثانية كان الاثر
ينزل من جوهر النفس الى قرار البدن فلما اختلف القسمان لا جرم
ارشد الله تعالى الى كل هذين القسمين بهذين الترتيبين
اللذين نبهنا عليهما ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذا الكلام
قال فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون ايها الناس
قال الواحدي وليس يبقى للقدرية مع هذه الاية
عذر ولا حيلة لان الله تعالى صرح بمنعه اياهم عن
الهدى حين اخبر انه ختم على سمع هذا الكافر وقلبه وبصره
واقول هذه المناظرة سبقت بالاستقصا في اول
سورة البقرة ٥ واعلم انه تعالى حكى عنهم بعد ذلك
شبهتهم في انكار القيمة وفي انكار الاله القادر
واما شبهتهم في انكار القيمة فهي قوله تعالى ان هي الا
حياتنا الدنيا نموت ونحيا فان قيل الحيوة مقدمة
على الموت في الدنيا فمنكروا القيمة كان يجب ان يقولوا
نحيا ونموت فما السبب في تقديم ذكر الموت على الحيوة
قلنا فيه وجوه الاول المراد بقوله نموت حال
كونهم نطفا في اصلاب الاباء وارحام الامهات وبقوله
نحيا ما حصل بعد ذلك في الدنيا الثاني نموت نحن

ونحيا بسبب بقاء الاولاد فالثالث يموت بعض ويحيى
بعض والرابع وهو الذي خطر ببالي عند كتبة
هذا الموضع انه تعالى قدم ذكر الحيوة فقال ان هي
الا حياتنا الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيى يعني ان تلك
الحيوة منها ما يطرى عليها الموت وذلك في حق الذين
ماتوا ومنها ما لم يطر عليه الموت بعد ذلك وذلك في
حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد واما شبهتهم في
انكار الاله الفاعل المختار فهو قولهم وما يهلكنا
الا الدهر يعني تولد الاشخاص انما كان بسبب حركات
الافلاك الموجبة لامتزاج الطبايع واذا وقعت تلك
الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحيوة واذا
وقعت على وجه آخر حصل الموت فالموجب للحيوة والموت
تاثيرات الطبايع وحركات الافلاك ولا حاجة في هذا
الباب الى اثبات الفاعل المختار فهذه الطايفة
جمعوا بين انكار الاله وبين انكار البعث
والقيمة ثم قال تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون
والمعنى ان قبل النظر والدليل ومعرفة الدليل الاحتمالات
باسرها قائمة فالذي قالوه يحتمل وضده ايضا يحتمل وذلك
هو ان يكون القول بالبعث والقيمة حقا وان يكون القول بوجود
الاله الحكيم حقا فانهم لم يذكروا شبهة ضعيفة ولا قوية في
ان هذا الاحتمال الثاني باطل ولكنه خطر ببالهم ذلك الاحتمال
الاول فجزموا به واصروا عليه من غير حجة ولا بينة فثبت انه ليس
لهم علم وجزم ويقين في صحة الذي اصروا عليه بسبب الظن والحسبان وثبت
المطلب البتة من غير موجب وهذه الاية من اقوى الدلايل

على

لامتزاجات

القول

على ان القول بغير حجة وبينة قول باطل فاسد وان
متابعة الظن والحسبان منكر عند الله تعالى ثم قال تعالى
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ايتوا بابائنا
ان كنتم صادقين وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قرى
حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتاخيره
المسئلة الثانية سمى قولهم حجة لوجوه الاول انه
في زعمهم حجة الثاني ان يكون المراد من كان حجتهم
هذا فليس لهم البتة حجة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع
الثالث انهم ذكروها في معرض الاحتجاج
بها **المسئلة الثالثة** ان حجتهم على انكار
البعث انه لو ان بمثل الشبهة ضعيفة جدا لانه
ليس كل ما لا يحصل في الحال وجب ان يكون ممتنع الحصول
فان حصول كل واحد منا كان معدوما من الازل
الى الوقت الذي خلقنا فيه ولو كان عدم الحصول في
وقت معين يدل على امتناع الحصول لكان عدم حصولنا
وذلك باطل بالاتفاق ثم قال تعالى قل الله يحييكم
ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة فان قيل هذا الكلام
مذكور لاجل جواب من يقول ان هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر فهذا القايل كان
منكرا لوجود الاله ولوجود يوم القيمة فكيف يجوز
ابطال كلامه بقوله قل الله يحييكم وهل هذا الا اثبات
الشي بنفسه وهو باطل قلنا انه تعالى ذكر الاستدلال
بحدوث الحيوان والانسان على وجود الفاعل الحكيم مرارا

مرارا واطوارا وقوله هاهنا قل الله يحييكم اشارة الى
تلك الدلايل التي بينها واوضحها مرارا وليس المقصود من
ذكر هذا الكلام اثبات الاله بقوله بل المقصود منه
التنبيه على ما هو الدليل الحق القاطع من نفس الامر
ولما ثبت ان الاحيا من الله وثبت ان الاعادة مثل
الاحيا الاول وثبت ان القادر على الشي قادر
على مثله ثبت انه تعالى قادر على الاعادة وثبت
ان الاعادة ممكنة في نفسها وثبت ان القادر الحكيم
اخبر عن وقوعها وجب القطع بكونها حقا
واما قوله تعالى ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه
فهو اشارة الى ما تقدم ذكر الاية المتقدمة وهو
ان كونه تعالى عادلا حاكما بالحق منزها عن
الجور والظلم يقتضي صحة البعث والقيمة ثم قال تعالى
اكثر الناس لا يعلمون يعني اكثر الناس
لا يعلمون دلالة حدوث الانسان والحيوان
والنبات على وجود الاله القادر الحكيم ولا يعلمون
ايضا انه تعالى لما كان قادرا على الايجاد ابتدا
وجب ان يكون قادرا على الاعادة ثانيا

قوله تعالى ولله ملك السموات
والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون
ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين امنوا وعملوا

الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين
واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم
قوما مجرمين ۝ اعلم انه تعالى لما احتج بكونه قادرا
على الاحيا في المرة الثانية في الاية المتقدمة عمم
الدليل فقال ولله ملك السموات والارض اي لله القدرة
على جميع الكاينات سواء كانت من السموات او من الارض
فاذا ثبت كونه تعالى قادرا على كل الممكنات وثبت
ان حصول الحياة في هذه الذات ممكن اذ لو لم يكن ممكنا
لما حصل في المرة الاولى فيلزم من هاتين المقدمتين
كونه تعالى قادرا على الاحيا في المرة الثانية
ولما بين تعالى امكان القول بالحشر والنشر بهذين
الطريقين ذكر تفاصيل احوال القيامة فاولها
قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
وفيه بحثان الاول عامل النصب في يوم تقوم
يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم البحث الثاني
قد ذكرنا في مواضع من هذا الكتاب ان الحيوة والعقل
والصحة هي راس المال والتصرف فيها لطلب السعادة
الاخروية يجري مجرى تصرف التاجر في راس المال لطلب الربح
والكفار قد اتعبوا انفسهم في هذه التصرفات وما وجدوا
منها الا الحرمان والخذلان وكان ذلك في الحقيقة
نهاية الخسران وثانيها قوله وترى كل امة جاثية
قال الليث الجثو الجلوس على الركب كما يجثى بين يدي
الحاكم قال الزجاج ومثله جذا يجذو [illegible]

[illegible]

لان الجاثي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه وعن
ابن عباس جاثية مجتمعة مرتقبة لما يعمل بها ثم قال تعالى
كل امة تدعى الى كتابها على الابتداء وكل امة على الابدال
من كل امة وقوله الى كتابها اى الى صحائف اعمالها
فاكتفى باسم الجنس لقوله تعالى ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين مما فيه والظاهر انه يدخل فيه المؤمنون
والكافرون لقوله تعالى بعد ذلك فاما الذين امنوا ثم
قال واما الذين كفروا فان قيل الجثو على الركبة
انما يليق بالخائف والمؤمنون لا خوف عليهم يوم القيمة قلنا
المحق الآمن قد يشارك المبطل في مثل هذه
الحالة الى ان يظهر كونه محقا ثم قال اليوم تجزون
والتقدير فيقال لهم اليوم تجزون فان قيل كيف اضيف
الكتاب اليهم والى الله تعالى قلنا لا منافاة بين الامرين
لانه كتابهم بمعنى انه الكتاب المشتمل على اعمالهم وكتاب الله
بمعنى انه هو الذي امر الملائكة بكتبه ينطق عليكم
بالحق اى يشهد عليكم باعمالكم من غير زيادة ولا
نقصان انا كنا نستنسخ الملائكة ما كنتم تعملون اى
نستكتبهم اعمالهم ثم بين احوال المطيعين فقال
فقال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم
في رحمته ذلك هو الفوز المبين وفيه مسائل **المسئلة
الاولى** ذكر بعد وصفهم بالايمان كونهم عاملين
الصالحات فوجب ان يكون عمل الصالحات مغايرا للايمان
زائدا عليه **المسئلة الثانية** قالت المعتزلة

علق الدخول في رحمة الله على كونه اتيا بالايمان والاعمال
الصالحة والمعلق على مجموع امرين يكون عدما عند عدم احدهما
فعند عدم الاعمال الصالحة وجب ان لا يحصل الفوز
بالجنة وجوابنا ان تعليق الحكم على الوصف لا يدل على
عدم الحكم عند عدم الوصف **المسئلة الثالثة** سمى الثواب
رحمة والرحمة انما يصح تسميتها بهذا الاسم اذا لم يكن
واجبة فوجب ان لا يكون الثواب واجبا على الله تعالى ثم
قال واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى
عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين وفيه مسائل
المسئلة الرابعة سمى الثواب رحمة والرحمة انما
يصح تسميتها بهذا الاسم اذا لم يكن واجبة فوجب
ان لا يكون الثواب واجبا على الله تعالى ثم قال تعالى
فاما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم
وكنتم قوما مجرمين وفيه مسائل **المسئلة الاولى**
ذكر الله المؤمنين والكافرين ولم يذكر قسما ثالثا وهذا
يدل على ابطال قول المعتزلة في اثبات منزلة بين المنزلتين
باطل ه **المسئلة الثانية** انه تعالى جعل استحقاق
العقوبة لا يحصل الا بعد مجيء الشرع وذلك يدل على ان
الواجبات لا تجب الا بالشرع خلافا لما تقوله المعتزلة من
ان بعض الواجبات قد يجب بالعقل **المسئلة الرابعة**
جواب اما محذوف والتقدير واما الذين كفروا فيقال
لهم افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم عن قبول الحق
وكنتم قوما مجرمين قالوا كيف يحسن وصف الكافر بكونه

جرما في معرض الطعن فيه والذم قلنا معناه انهم مع كونهم
كفارا ما كانوا جازمين بل كانوا شاكين في انفسهم بل كانوا فساقا
في ذلك الدين والله اعلم قوله تعالى واذا قيل
ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري
ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم
سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل
اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وماواكم
النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا
وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم
يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض
رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو
العزيز الحكيم ۝ في الاية مسايل المسئلة الاولى
قرئ والساعة رفعا ونصبا قال الزجاج من نصب
عطف على الوعد ومن رفع فعلى معنى وقيل الساعة
لا ريب فيها قال الاخفش الرفع اجود في المعنى
واكثر في كلام العرب اذا جا بعد خبر ان لانه
كلام مستقل بنفسه بعد مجي الكلام الاول بتمامه ۝
المسئلة الثانية حكى الله تعالى عن الكفار انهم اذا قيل
ان وعد الله بالثواب والعقاب حق وان الساعة لا ريب
فيها قالوا ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن
بمستيقنين اقول الاغلب على الظن ان القوم كانوا
في هذه المسئلة على قولين منهم من كان قاطعا بنفي البعث والقيامة
وهم الذين ذكرهم الله في الاية المتقدمة بقوله وقالوا ما هي

الا حياتنا الدنيا ومنهم من كان شاكا متحيرا فيه
لانهم لكثرة ما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم
ولكثرة ما سمعوا من دلايل القول بصحته صاروا شاكين
فيه وهم الذين ارادهم الله بهذه الاية والذي يدل عليه انه تعالى
حكى مذهب اوليك القاطعين ثم اتبعه بحكاية قول
هولاء فوجب كون هولاء مغايرين للفريق الاول ۝
ثم قال تعالى وبدا لهم في الاخرة سيئات ما عملوا
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وهذا كالدليل
على ان هذه الفرقة لما قالوا ان نظن الا ظنا انما ذكروه
على سبيل الاستهزاء والسخرية وعلى هذا الوجه
فهذا الفريق شر من الفريق الاول لان الاولين كانوا
منكرين وما كانوا مستهزئين وهذا الفريق
ضموا الى الاصرار على الانكار الاستهزاء ۝ ثم قال تعالى
وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا
وفي تفسير هذا النسيان وجهان الاول نترككم
في العذاب كما تركتم الطاعة التي هي الزاد ليوم المعاد
الثاني نجعلكم بمنزلة الشي المنسي غير المبالى به كما
لم تبالوا انتم بلقاء يومكم هذا ولم تلتفتوا اليه بل جعلتموه
كالشي المطرح الذي يطرح نسيا منسيا فجمع الله تعالى
عليهم من وجوه العذاب الشديد ثلثة قطع رحمته تعالى
عنهم بالكلية وتصيير ماواهم النار وبالكلية
ان لا يحصل لهم احد من الاعوان والانصار ثم بين تعالى
انه تعالى انما يفعل بهم ذلك لانهم صاروا مستحقين لهذه الوجوه الثلثة

وقد كانوا... تمثيل
ومنهم ... بحسبان
تعدو ... حمرانهم
وفي ... اول ...

... الى انسان

من العذاب الشديد لاجل انكم اتيتم بثلثة انواع من الاعمال
القبيحة فاولها الاصرار على انكار الدين الحق وثانيها الاستهزا
به والسخرية منه وهذان النوعان داخلان تحت قوله تعالى
ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا ۝ وثالثها الاستغراق
في حب الدنيا والاعراض بالكلية عن الاخرة وهو المراد
من قوله تعالى وغرتكم الحيوة الدنيا ثم قال تعالى
فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون وقرا حمزة
والكسائي يخرجون بفتح الياء والباقون بضمها ولا هم
يستعتبون اي ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي
يرضوه ولما تم الكلام في هذه المباحث الشريفة الروحانية
ختم السورة بتحميد الله تعالى فقال فلله الحمد رب
السموات ورب الارض رب العالمين اي فاحمدوا الله الذي
هو خالق السموات والارضين بل خالق كل العالمين من
الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه
الربوبية توجب الحمد والثناء على كل احد من المخلوقين
والمربوبين ثم قال تعالى وله الكبرياء في السموات
والارض وهو العزيز الحكيم وههنا دقيقة وهي
احدهما ان التكبير لا بد وان يكون بعد التحميد والاشارة
الى ان الحامد اذا حمد الله وحمده عرف ان الله اعلى
واكبر من ان يكون الحمد الذي ذكره لائقا بانعامه بل هو اكبر
من حمد الحامدين واياديه اعلى واجل من شكر الشاكرين
والثاني ان هذه الكبرياء لا لاجل ان واجب

الوجود لذاته ليس الا هو ثم قال تعالى وهو العزيز الحكيم
يعني لكمال قدرته يقدر على خلق اي شيء اراد وبكمال حكمته يخص كل نوع
من مخلوقاته بآثار الحكمة والرحمة والفضل والكرم وقوله وهو
العزيز الحكيم يفيد الحصر فهذا يفيد ان الكامل في القدرة وفي الحكمة
وفي الرحمة ليس الا هو ۝

ثم قال مولانا رحمه الله تعالى تم تفسير
هذه السورة يوم الجمعة بعد الصلاة الخامس عشر
من ذي الحجة سنة ثلث وستمائة
والحمد لله حمدا دائما طيبا مباركا مخلدا مويدا كما يليق بعلو شانه
وباهر برهانه وعظيم احسانه والسلام على الارواح الطاهرة
المقدسة من ساكني اعلى السموات وتخوم الارضين
من الملائكة والانبياء والاولياء والموحدين
خصوصا على محمد واله اجمعين ۝

سورة الاحقاف خمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا
معرضون قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد
ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض

ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان
كنتم صادقين ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له
الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون ۝ اعلم ان نظم اول
هذه السورة كنظم اول الجاثية وقد ذكرنا ما فيه واما
قوله ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
فهذا يدل على اثبات الاله للعالم ويدل على ان ذلك الاله عادل
يكون عادلا رحيما بعباده ناظرا لهم محسنا اليهم ويدل
على ان القيمة حق اما المطلوب الاول وهو اثبات
الاله لهذا العالم وذلك لان الخلق عبارة عن التقدير وآثار
التقدير ظاهرة في السموات والارض من الوجوه العشرة المذكورة
في سورة الانعام وقد بينا ان جملة تلك الوجوه تدل
على وجود الاله القادر المختار واما المطلوب الثاني
وهو اثبات ان اله العالم عادل رحيم فيدل عليه قوله تعالى
الا بالحق لان قوله الا بالحق معناه الا لاجل الفضل والرحمة
والاحسان وان الاله يجب ان يكون فضله راجحا وان يكون
احسانه راجحا وان يكون وصول المنافع منه الى المحتاجين
اكثر من وصول المضار اليهم قال الجبائي هذا يدل على ان
كل ما بين السموات والارض من القبائح فهو ليس من خلقه
بل هو من افعال عباده والا لزم ان يكون خالقا لكل باطل
وذلك ينافي قوله ما خلقناهما الا بالحق اجاب اصحابنا
بان خلق الباطل غير والخلق بالباطل غير ونحن نقول انه هو
الذي خلق الباطل الا انه خلق ذلك الباطل بالحق لان ذلك تصرف
من الله تعالى في ملك نفسه وتصرف المالك في ملك نفسه يكون

سورة حم

الاله

بالحق لا بالباطل فاندفع والذي يقرر ما ذكرناه ان قوله ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما يدل على كونه تعالى خالقا لكل اعمال
العباد لان اعمال العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب
كونها مخلوقة لله تعالى ووقوع التناقض في الاية الواحدة محال
فلم يبق الا ان يكون المراد ما ذكرناه فان قالوا ان افعال العباد
اعراض والاعراض لا توصف بانها حاصلة بين السموات والارض
فنقول على هذا التقدير سقط ما ذكرتموه من الاستدلال
والله اعلم ۝ واما المطلوب الثالث فهو دلالة الاية
على صحة القول بالبعث والقيمة وتقريره انه لو لم توجد القيمة
لتعطل استيفاء حقوق المظلومين من الظالمين ولتعطل توفير
الثواب على المطيعين وتوفير العقاب على الكافرين وذلك يمنع
من القول بانه تعالى خالق السموات والارض وما بينهما بالحق
واما قوله تعالى واجل مسمى فالمراد انه ما خلق هذه الاشياء
الا بالحق والا لاجل مسمى وهذا يدل على ان اله العالم
ما خلق هذا العالم ليبقى مخلدا سرمدا بل انما خلقه ليكون
دار العمل ثم انه سبحانه يفنيه ثم يعيده فيقع الجزاء في الدار
الاخرة فعلى هذا الاجل المسمى هو الوقت الذي عينه الله
سبحانه وتعالى لافناء الدنيا ثم قال تعالى والذين كفروا عما
انذروا معرضون والمراد انه مع نصب الله تعالى هذه الدلائل
ومع ارسال الرسل وانزال الكتب ومع مواظبة الرسل على
الترغيب والترهيب والاعذار والانذار بقي هؤلاء الكفار
معرضين عن هذه الدلائل غير ملتفتين اليها وهذا يدل
على وجوب النظر والاستدلال وعلى ان الاعراض

على اثبات

عن الدليل مذموم في الدين والدنيا واعلم انه تعالى لما قرر
هذا الاصل الدال على الاله وعلى اثبات كونه عادلا رحيما
وعلى اثبات البعث والقيامة بنى عليه التفاريع فالفرع الاول
الرد على عبادة الاصنام فقال قل ارايتم ما تدعون من دون الله
اروني ماذا خلقوا من الارض وهي الاصنام اي اخبروني
ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات والمراد ان
هذه الاصنام هل يعقل ان يضاف اليها خلق جزء من
اجزاء هذا العالم فلما كان صريح العقل حاكما
بانه لا يجوز اسناد خلق جزء من اجزاء هذا العالم اليها
وان كان ذلك الجزء اقل الاجزاء ولا يجوز ايضا اسناد
الاعانة اليها في اقل الافعال واذنها حينئذ صح ان الخالق
الحقيقي لهذا العالم هو الله سبحانه وتعالى وان المنعم
الحقيقي بجميع اقسام النعم هو الله سبحانه وتعالى والعبادة
عبارة عن الاتيان باكمل وجوه التعظيم وذلك لا يليق
الا بمن صدر عنه اكمل وجوه الانعام فلما ثبت ان الخالق
الحالق الحق والمنعم الحقيقي هو الله سبحانه وجب انه لا يجوز
الاتيان بهذه العبادة والعبودية الا لله والا لاجله يعني ان
تعالى انا لا نعبدها لانها تستحق هذه العبودية بل انما نعبدها
لاجل ان الاله الخالق المنعم امرنا بعبادتها فعند هذا ذكر
الله تعالى ما يجري مجرى الجواب عن هذا السؤال فقال
ائتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم وتقرير هذا الجواب
ان ورود هذا الامر اما ان يكون على محمد او في سائر الكتب
الالهية المنزلة على سائر الانبياء او انه لم يوجد ذلك في الكتب

الالهية لكن من تقابل العلوم المنقولة عنهم والكل باطل اما
اثبات ذلك بالوحي الى محمد صلى الله عليه وسلم فهو معلوم البطلان
واما اثباته بسبب اشتمال الكتب الالهية المنزلة على الانبياء
المتقدمين فهو ايضا باطل لانه علم بالتواتر الضروري اطباق
جميع الكتب الالهية على المنع من عبادة الاصنام
وهذا هو المراد من قوله ايتوني بكتاب من قبل هذا
واما اثبات ذلك بالعلوم المنقولة عن الانبياء سوى ما
جاء في الكتاب فهو ايضا باطل لان العلم الضروري حاصل
بان احدا من الانبياء ما دعى الى عبادة الاصنام وهذا
هو المراد من قوله او اثارة من علم ولما بطل الكل ثبت ان
الاشتغال بعبادة الاصنام عمل باطل وقول فاسد
وبقي في قوله تعالى او اثارة من علم نوعان من البحث
النوع الاول البحث اللغوي قال ابو عبيدة
والفراء والزجاج اثارة من علم اي بقية وقال
المبرد اثارة ما يؤثر من علم كقولك هذا الحديث يؤثر
عن فلان ومن هذا المعنى سميت الاخبار والاثار
يقال جاء في الاثر كذا وكذا قال الواحدي
وكلام اهل اللغة في هذا الحرف يدور على ثلثة اقوال الاول
الاثارة واشتقاقها من اثرت الشيء اثيره اثارة كانها
بقية تستخرج فتثار والثاني من الاثر الذي هو الرواية
والثالث من الاثر بمعنى العلامة قال صاحب الكشاف
وقرئ اثرة اي من شيء اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة
به لغيركم وقرئ اثرة بالحركات الثلث اي مع الهمزة مع سكون

الثا والاثر بالكسر بمعنى الاثرة والمصدر من قصد اثر
الحديث اذا رواه واما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر
كالخطبة اسم لما يخاطب به وههنا قول اخر في تفسير قوله تعالى
او اثارة من علم هو علم الخط الذي يخط في الرمل والعرب
كانوا يخطونه وهو علم مشهور وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه خطه
علم علمه وعلى هذا الوجه فمعنى الاية ايتوني بعلم من قبل
هذا الخط الذي تخطونه في الرمل يدل على صحة مذهبكم
في عبادة الاصنام فان صح تفسير الاية بهذا الوجه
كان ذلك من باب التهكم بهم واقوالهم ودلائلهم
والله اعلم قوله تعالى ومن اضل ممن
يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم
عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم
اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم
هذا سحر مبين ام يقولون افتريه قل ان افتريته فلا تملكون
لي من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا
بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم اعلم انه تعالى
بين فيما سبق ان القول بعبادة الاصنام قول باطل من حيث
انها لا قدرة لها البتة على الخلق والفعل والايجاد
والاعدام والنفع والضر واردفه بدليل اخر على بطلان
ذلك المذهب وهي انها جمادات لا تسمع دعاء الداعي
ولا تعلم حاجة المحتاج وهذا حمله فالدليل الاول

كان اشارة الى نفي العلم من كل الوجوه واذا ثبت نفي العلم والقدرة من كل
الوجوه لم تبق عبادتها معلومة ببديهة العقل فقوله
ومن اضل استفهام على سبيل الانكار والمعنى
انه لا احد ابعد عن الحق واقرب الى الجهل ممن يدعوا
من دون الله الاصنام فيتخذها الهة ويعبدها وهي
اذا دعيت لا تسمع ولا تصح منها الاجابة لا في الحال
ولا بعد ذلك اليوم الى يوم القيمة وانما جعل ذلك
غاية لان يوم القيمة قد قيل انه تعالى يحييها وتقع بينها
وبين من يعبدها مخاطبة فلذلك جعله تعالى حدا
واذا قامت القيمة وحشر الناس فهذه الاصنام تعادي
هؤلاء العابدين واختلفوا فيه فالاكثرون
على انه تعالى يحيي هذه الاصنام يوم القيمة وهي تظهر
عداوة هؤلاء العابدين وتتبرا منهم وقال بعضهم
بل المراد عبدة الملائكة وعيسى فانهم في يوم
القيمة يظهرون عداوة هؤلاء العابدين فان قيل
ما المراد بقوله وهم عن دعائهم غافلون وكيف يعقل وصف الاصنام
بما لا يليق الا بالعقلاء وهي لفظة من وقوله انهم غافلون
قلت انهم لما عبدوها ونزلوها منزلة من ينفع ويضر صح ان
يقال فيها انها بمنزلة الغافل الذي لا يسمع ولا يجيب
وهذا هو الجواب ايضا عن قوله ان لفظة من ولفظة هم كيف
يليق وايضا يجوز ان يريد كل معبود من دون الله
من الملائكة وعيسى وعزير والاصنام الا انه غلب

الناس

الاوثان على الاوثان ۝ واعلم انه تعالى انما تكلم في تقرير
التوحيد ونفي الاضداد والانداد تكلم في النبوة وبين ان
محمدا صلى الله عليه وسلم كلما عرض عليهم نوعا من انواع
المعجزات زعموا انه سحر فقال واذا تتلى عليهم اياتنا
البينة وعرضت عليهم المعجزات الظاهرة سموها بالسحر ولما
بين انهم يسمون المعجز بالسحر بين انهم متى سمعوا القران قالوا
ان محمدا افتراه واختلقه من عند نفسه ومعنى الهمزة في ام
للانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع القول المنكر
العجيب ثم انه تعالى بين بطلان شبهتهم فقال قل ان افتريته
على سبيل الفرض فان الله تعالى يعاقبني بعقوبة بطلان ذلك
الافتراء وانتم لا تقدرون على دفعه عن معاجلتي بالعقوبة فكيف
اقدم على هذه الفرية تعرضا لعقابه يقال فلان لا يملك
اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله
شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله
شيئا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا املك لكم من الله شيئا
ثم قال تعالى هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه
من القدح في وحي الله تعالى والطعن في اياته وتسميته سحرا تارة وفرية
اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق
ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة
وعيد لهم على اقاصيهم في الطعن والشتم قال
وهو الغفور الرحيم لمن رجع عن الكفر وتاب واستعان
بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوه ۝ قوله تعالى
قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان

اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين ۝ قل ارايتم ان كان
من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين
وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم
ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا
كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى
للمحسنين ۝ اعلم انه تعالى لما حكى عنهم انهم
طعنوا في كون القران معجزا بان قالوا انه يختلقه
من عند نفسه ثم ينسبه الى انه كلام الله على سبيل
الفرية حكى عنهم نوعا اخر من الشبهات وهو انهم
كانوا يقترحون منه معجزات عجيبة قاهرة ويطالبونه
بان يخبرهم عن المغيبات فاجاب الله سبحانه وتعالى
عنه بان قال قل ما كنت بدعا من الرسل والبدع
والبديع من كل شيء المبدا والبدعة ما اخترع مما لم
يكن موجودا قبله بحكم السنة وفيه وجوه
الاول ما كنت بدعا من الرسل اي ما كنت
اولهم فلا ينبغي ان تنكروا اخباري باني رسول الله اليكم
ولا تنكروا دعائي لكم الى التوحيد ونهيي عن عبادة
الاصنام فان كل الرسل انما بعثوا بهذا الطريق
الوجه الثاني انهم طلبوا منه معجزة عظيمة واخبارا
عن الغيوب فقال قل ما كنت بدعا من الرسل والمعنى
ان الاتيان بهذه المعجزات القاهرة والاخبار عن [illegible]

العيوب ليس في وسع البشر وأنا من جنس الرسل وأحد منهم
فإنهم لم يقدروا على ما تريدونه فكيف أقدر عليه الوجه
الثالث أنهم كانوا يعيبونه بأنه يأكل الطعام ويمشي في
الأسواق وبأنه فقير وأن أتباعه فقراء فقال قل ما
كنت بدعا من الرسل وكلهم كانوا على هذه الصفة وبهذه
المثابة فهذه الأشياء لا تقدح في نبوتي كما لا تقدح في نبوتهم
قوله وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وفيه مسائل
المسألة الأولى في تفسير الآية وجهان أحدهما
أن يحمل ذلك على أحوال الدنيا والثاني أن يحمل على
أحوال الآخرة أما الأول ففيه وجوه الأول
لا أدري ما يصير أمري وأمركم ومن الغالب منا ومن
المغلوب الثاني قال ابن عباس في رواية الكلبي
لما اشتد البلاء بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة رأى في
المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء فقصها على
أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا أن ذلك فرج مما هم فيه
من أذى المشركين ثم إنهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون
أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذي قلت ومتى
نهاجر إلى الأرض التي رأيتها في المنام فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم فأنزل الله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري
ما يفعل بي ولا بكم وهو شيء رأيته في المنام وأنا لا أتبع إلا
ما يوحيه الله إلي الثالث قال الضحاك لا أدري ما تؤمرون به
ولا أومر به في باب التكاليف والشرائع والجهاد ولا في الابتلاء
والامتحان وإنما أنذركم بما أعلمني الله به من أحوال الآخرة

الله

في الثواب والعقاب والرابع المراد أنه يقول لا أدري ما يفعل
بي في الدنيا أأموت أم أقتل كما قتل الأنبياء قبلي ولا أدري ما
يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء
أو يخسف بكم أو يفعل بكم ما فعل بسائر الأمم أما الذين
حملوا هذه الآية على أحوال الآخرة فروي عن ابن عباس
أنه قال لما نزلت هذه الآية فرح المشركون واليهود
وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به وبنا فأنزل الله
إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما
إلى قوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما فبين تعالى
ما يفعل به وبمن اتبعه ونسخت هذه الآية وأرغم الله
أنف المنافقين والمشركين وأكثر المحققين
استبعدوا هذا القول واحتجوا عليه بوجوه
الأول أن النبي لا بد وأن يعلم من نفسه كونه
نبيا ومتى علم كونه نبيا علم أنه لا تصدر عنه الكبائر
وأنه مغفور له وإذا كان كذلك امتنع كونه
شاكا في أنه هل هو مغفور له أم لا الثاني لا شك
أن الأنبياء أرفع حالا من الأولياء فلما قال في
حق الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون فكيف يعقل أن يبقى الرسول الذي هو
رئيس الأتقياء وقدوة الأولياء شاكا في أنه هل
هو من المغفورين فثبت أن هذا القول ضعيف
المسألة الثانية قال صاحب الكشاف قرئ ما يفعل

والمنافقون
تعالى

تفتح البلاد اى تفعل الله عز وجل فان قالوا تفعل ما يشاء وعن
منى وكان وجه الكلام ان يقال ما يفعل بكم قال تعالى
ان اتبع الا ما يوحى الى يعنى انى لا اقول قولا ولا اعمل عملا الا
بمقتضى الوحى واحتج نفاة القياس بهذه الاية فقالوا
للنبى صلى الله عليه وسلم ما قال قولا ولا عمل عملا الا
بالنص الذى اوحاه الله اليه فوجب ان يكون حالنا كذلك
بيان الاول قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى بيان الثانى
قوله تعالى وما انا الا نذير مبين كانوا يطالبونه
بالمعجزات العجيبة وبالاخبار عن الغيوب فقال قل ما انا
الا نذير مبين والقادر على تلك الاعمال الخارجة
عن قدرة البشر والعالم بتلك الغيوب ليس الا الله تعالى
ثم قال تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به
وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم
ان الله لا يهدى القوم الظالمين وفيه مسايل
المسئلة الاولى جواب الشرط محذوف والتقدير
ان يقال ان هذا الكتاب من عند الله ثم كفرتم به وشهد
شاهد من بنى اسرائيل على صحته ثم استكبرتم لكنتم من
الخاسرين ثم حذف هذا الجواب ونظيره قوله
ان احسنت اليك واسات واقبلت عليك واعرضت
عنى فقد ظلمتنى وكذا هاهنا التقدير اخبرونى ان ثبت
ان القرآن من عند الله بسبب عجز الخلق عن معارضته ثم كفرتم
به وحصل ايضا شهادة اعلم بنى اسرائيل بكونه معجزا من عند الله
فلو استكبرتم وكفرتم الستم اضل الناس واظلمهم

تعالى ارايتم

والله اعلم

واعلم ان جواب الشرط قد يحذف فى بعض الايات
وقد يذكر اما الحذف فكما فى هذه السورة وكما فى قوله ولو
ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى
واما المذكور فكما فى قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله
ثم كفرتم به من اضل وقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
الى يوم القيامة من اله غير الله المسئلة الثانية اختلفوا فى
المراد بقوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على قولين الاول
وهو الذى قال به الاكثرون ان هذا الشاهد هو عبد الله
ابن سلام رضى الله عنه روى صاحب الكشاف انه لما
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم
انه ليس بوجه كذاب وتامله وتحقق انه النبى المنتظر
فقال له انى سائلك عن ثلث ما يعلمهن الا نبى
ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة
والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال صلى الله عليه وسلم
اما الاول فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب
واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت
واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء
المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا ثم قال
يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامى قبل
ان تسالهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود فقال
لهم النبى صلى الله عليه وسلم اى رجل عبد الله فيكم فقالوا
خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا
وابن اعلمنا فقال ارايتم ان اسلم عبد الله فقالوا

اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا رسول الله فقالوا اشرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف
يا رسول الله فقال سعد بن ابي وقاص ما سمعت يقول لاحد يمشي على الارض
من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني
اسرائيل على مثله واعلم ان الشعبي ومسروقا وجماعة
اخر من المفسرين انكروا ان يكون الشاهد المذكور في هذه الاية هو عبد الله بن سلام
قالوا لان اسلامه كان بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعامين وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل هذه الاية المكية
على واقعة حدثت في اخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
واجاب الكلبي بان السورة مكية الا هذه الاية فانها
مدنية وكانت الاية تنزل فيامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يضعها في سورة كذا فهذه الاية نزلت بالمدينة وان الله تعالى
امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يضعها في هذه السورة المكية
في هذا الموضع المعين ولقائل ان يقول ان الحديث الذي
رويتم عن عبد الله بن سلام مشكل وذلك لان ظاهر الحديث
يشعر بانه لما سال النبي صلى الله عليه وسلم عن المسائل الثلاثة فلما اجاب
النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الجوابات امن عبد الله بن سلام لاجل ان النبي
صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الجوابات وهذا بعيد لوجهين الاول
ان الاخبار عن اول اشراط الساعة وعن اول طعام ياكله اهل الجنة اخبار
عن وقوع شي من الممكنات وما هذا سبيله فانه لا يعرف كون
ذلك الخبر صادقا الا اذا عرف اولا كون المخبر صادقا فلو لا انا عرفنا صدق
المخبر بكون ذلك الخبر صادقا لزم الدور وانه محال الثاني انا نعلم
بالضرورة ان الجوابات المذكورة عن

فصل

بوهم

هذه

ت

هذه المسائل لا يبلغ العلم بها الى حد الاعجاز البتة بل نقول الجوابات
الباهرة عن المسائل الصعبة لما لم تبلغ الى حد الاعجاز والجواب
يحتمل انه جاء في بعض كتب الانبياء المتقدمين ان رسول اخر الزمان
يسال عن هذه المسائل وهو يجيب عنها بهذه الجوابات وكان
عبد الله بن سلام عالما بهذا المعنى فلما سال النبي صلى الله عليه وسلم
واجاب بتلك الاجوبة ولا حاجة بنا الى ان نقول العلم
بهذه الجوابات معجز والله اعلم القول الثاني في تفسير
قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل انه ليس المراد منه شخصا
معينا بل المراد منه ان ذكر محمد صلى الله عليه وسلم موجود
في التوراة والبشارة بمقدمه حاصلة فيها فتقدير الكلام
لو ان رجلا منصفا عارفا بالتوراة اقر بذلك واعترف
به ثم امن بمحمد صلى الله عليه وسلم واستكبرتم لكنتم ظالمين لانفسكم
ضالين عن الحق فهذا الكلام مقرر سواء كان المراد
بذلك الكلام الشاهد شخصا معينا او لم يكن كذلك لان
المقصود الاصلي من هذا الكلام انه ثبت بالمعجزات القاهرة
ان هذا الكتاب من عند الله وثبت ان التوراة مشتملة
على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم ومع هذين
الامرين كيف يليق بالعقل انكار نبوته المسئلة الثانية
قوله على مثله ذكروا فيه وجوها والاقرب ان نقول
انه صلى الله عليه وسلم قال لهم ارايتم ان كان هذا
القران من عند الله كما اقول وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثل ما قلت فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم
الظالمين وفيه مسائل المسئلة الاولى

انه تهديد

وهو قائم مقام الجواب المحذوف والتقدير قل أرأيتم إن كان
من عند الله ثم كفرتم به وإنكم لا تكونون مهتدين بل
تكونون ضالين **المسألة الثانية** قالت المعتزلة
هذه الآية تدل على أنه تعالى إنما منعهم الهداية بناء على الفعل
القبيح الذي صدر منهم أولا فإن قوله إن الله لا يهدي القوم
الظالمين صريح في أنه تعالى إنما لا يهديهم لكونهم ظالمين
لأنفسهم فوجب أن يعتقد في جميع الآيات الواردة
في المنع من الإيمان والهداية أن يكون الأمر فيها
كما هنا والله أعلم ثم قال تعالى وقال الذين
كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وفيه
مسائل **المسألة الأولى** هذه شبهة أخرى للقوم
في إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي سبب نزوله وجوه
الأول أن هذا كلام كفار مكة قالوا إن
عامة من يتبع محمدا الفقراء والأرذال مثل عمار وصهيب
وابن مسعود ولو كان هذا الدين خيرا ما سبقنا إليه
هؤلاء الثاني قيل لما أسلمت جهينة وغطفان
وأسد وأشجع لو كان خيرا ما سبقنا إليه الثالث
قيل إن أمة لعمر أسلمت وكان عمر يضربها ويقول لولا أني
فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعونا
إليه محمد حقا ما سبقتنا إليه فلانة الرابع قيل إن
اليهود قالوا هذا الكلام عند إسلام عبد الله بن سلام **المسألة الثالثة**
اللام في قوله تعالى للذين آمنوا فيه وجهان الأول أن يكون المعنى
وقال الذين كفروا للذين آمنوا على وجه الخطاب كما تقول قال زيد لعمرو ثم تترك الخطاب
وانتقل إلى الغيبة كقوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح

ومزينة وأسلم وغفار صح

قال صاحب الكشاف للذين آمنوا لأجلهم يعني الكفار قالوا
لأجل إيمان الذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وفيه وجه
ثالث وهو أن الكفار لما سمعوا أن جماعة آمنوا برسول الله
خاطبوا جماعة من المؤمنين الحاضرين وقالوا لهم لو كان
هذا الدين خيرا لما سبقنا إليه أولئك الغائبون
الذين أسلموا واعلم أنه تعالى لما حكى عنهم هذا الكلام
أجاب عنه بقوله وإذ لم يهتدوا به فسيقولون
هذا إفك قديم والمعنى أنهم لما لم يقفوا على كونه معجزا
فلا بد من عامل في الظرف في قوله وإذ لم يهتدوا به
فسيقولون وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل
في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه
هذا الكلام وأجاب عنه بأن العامل في إذ محذوف
لدلالة الكلام عليه والتقدير وإذ لم يهتدوا به
ظهر عنادهم فسيقولون هذا إفك قديم ثم قال تعالى ومن
قبله كتاب موسى إماما ورحمة كتاب موسى مبتدأ ومن
قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وقوله إماما نصب
على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله
كتاب موسى والتقدير وآتينا الذي قبله التوراة
ومعنى إماما أي قدوة يؤتم به في دين الله تعالى ووجه تعلق
هذا الكلام بما قبله أن القوم طعنوا في صحة القرآن
وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه هؤلاء الصعاليك
فكأنه تعالى قال الذي يدل على صحة القرآن أنكم لا تنازعون
في أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام وجعل

هذا الكتاب اماما تقتدي به في ان التوراة مشتملة على
البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فاذا سلمتم كون التوراة
اماما تقتدي به فاقبلوا حكمه في كون محمد صلى الله عليه وسلم
حقا من الله ثم قال وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا اي وهذا
القرآن مصدق لكتاب موسى في ان محمدا رسول من عند الله
وقوله لسانا عربيا نصب على الحال ثم قال لينذر الذين
ظلموا وفيه قراءتان الياء لان الكتاب ما ورد من هذا المعنى
بالمخاطبة هو له ولتنذره وذكرى للمؤمنين والتاء لعدم
ذكر الكتاب فاسند الانذار الى الكتاب كما اسند الى الرسول
وقوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الى قوله
لينذر باسا شديدا من لدنه ثم قال وبشرى للمحسنين
قال الزجاج الاجود ان يكون قوله بشرى في موضع
رفع المعنى وهو بشرى للمؤمنين قال ويجوز ان
يكون في موضع نصب على معنى لينذر الذين ظلموا ويبشر
للمحسنين وحاصل الكلام ان المقصود من انزال هذا الكتاب
انذار المعرضين وبشارة المطيعين قوله تعالى
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها
جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا
حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا
حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان
اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح
لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين اولئك الذين نتقبل عنهم احسن
ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون

اعلم

اعلم انه تعالى لما قرر دلائل التوحيد والنبوة وذكر شبهات المنكرين
واجاب عنها ذكر بعد ذلك طريقة المحقين والمحققين
فقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقد ذكرنا تفسير
هذه الكلمة في سورة السجدة والفرق بين
الموضعين ان في سورة السجدة ذكر ان الملائكة ينزلون
ويقولون الا تخافوا ولا تحزنوا وهاهنا رفع الواسطة
من البين وذكر انه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاذا جمعنا بين
الاثنين حصل من مجموعهما ان الملائكة يبلغون اليهم
هذه البشارة ايضا من غير واسطة واعلم ان
هذه الآيات دالة على ان من آمن بالله وعمل صالحا فانهم
بعد الحشر لا ينالهم خوف ولا حزن ولهذا قال
اهل التحقيق انهم يوم القيامة آمنون من الاهوال وقال
بعضهم خوف العقاب زائل عنهم اما خوف جلال الهيبة
فلا يزول البتة عن العبد الا ترى ان الملائكة مع علو درجاتهم
وكمال عصمتهم لا يزول الخوف عنهم فقال يخافون ربهم
من فوقهم وهذه المسئلة سبقت بالاستقصاء في آيات
كثيرة منها قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر
ثم قال تعالى اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما
كانوا يعملون قالت المعتزلة هذه الآية تدل على
مسائل اولها قوله اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها وهذا يفيد
الحصر وهذا يدل على ان اصحاب الجنة ليسوا الا الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا يدل على ان صاحب
الكبيرة قبل التوبة لا يدخل الجنة وثانيها قوله جزاء بما كانوا

يعملون وهذا يدل على فساد قول من يقول الثواب فضل لا جزاء
وثالثها قوله جزاء بما كانوا يعملون يدل على اثبات العمل للعبد
ورابعها ان هذا يدل على انه يجوز ان يحصل الاثر في الحال
او ثوابا موجودا قبل ذلك بدليل ان العمل المتقدم اوجب
الثواب المتاخر وخامسها ان يكون العبد مستحقا على الله تعالى
واعلم ان هذا النوع الاحسان الى الوالدين لا جرم اردفه
بهذا المعنى فقال ووصينا الانسان بوالديه حسنا
وقد تقدم الكلام في نظير هذه الاية في سورة
العنكبوت وفي سورة لقمان وفيه مسايل **المسئلة
الاولى** قرا عاصم وحمزة والكسائي بوالديه احسانا
والباقون حسنا واعلم ان الاحسان خلاف الاساءة
والحسن خلاف القبح فمن قرا احسانا فحجته قوله في سورة
بني اسرائيل وبالوالدين احسانا والمعنى امرناه ان يوصل
اليهما احسانا وحجة القراءة الثانية قوله في العنكبوت
ووصينا الانسان بوالديه حسنا ولم يختلفوا فيه والمراد
ايضا انا امرناه بان يوصل اليهما فعلا كما يقال هذا
الرجل علم وكرم وانتصب حسنا على المصدر لان
معنى ووصينا الانسان بوالديه امرناه ان يحسن اليهما
احسانا ثم قال تعالى حملته امه كرها وفيه مسايل
المسئلة الثانية قرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
كرها بضم الكاف والباقون بفتحها قيل هما لغتان
مثل الضعف والضعف والفقر والفقر ومن غير المصادر
الدف والدف والشهد والشهد قال الواحدي الكره مصدر

من كرهت الشيء اكرهه والكره الاسم كانه الشيء المكروه
قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم فهذا
بالضم وقال ان ترثوا النساء كرها فهذا في موضع
الحال ولم يقرا بغير الفتح فما كان مصدرا او في موضع الحال
فالفتح فيه احسن **المسئلة الثالثة** قال المفسرون حملته
امه على مشقة ووضعته في مشقة وليس يريد ابتداء الحمل
فان ذلك لا يكون مشقة وقد قال تعالى فلما تغشاها
حملت حملا خفيفا فمرت به يريد ابتداء الحمل ان ذلك
لا يكون مشقة فالحمل نطفة وعلقة ومضغة فاذا اثقلت
فحينئذ حملته كرها ووضعته كرها يريد شدة الطلق
المسئلة الرابعة دلت الاية على ان حق الام اعظم لانه تعالى
قال اولا ووصينا الانسان بوالديه حسنا فذكرهما معا
ثم خص الام بالذكر فقال حملته امه كرها ووضعته
كرها وذلك يدل على ان حقها اعظم وان وصول
المشاق اليها بسبب الولد اكثر والاخبار الكثيرة مذكورة
في هذا الباب ثم قال تعالى وحمله وفصاله ثلثون
شهرا وفيه مسايل **المسئلة الاولى** هذا من باب حذف
المضاف والتقدير ومدة حمله وفصاله ثلثون شهرا والفصال
الفطام وهو فصله عن اللبن فان قيل المراد بيان
مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلنا لما كان
الرضاع يليه الفصال ويلائمه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا
المسئلة الثانية دلت الاية على ان اقل الحمل ستة اشهر
لانه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلثين شهرا قال

والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين فإذا أسقطنا
الحولين الكاملين وهي أربعة شهرا من ثلثين بقي مدة الحمل
ستة أشهر ٥ وروي أن امرأة رفعت إليه ولدا
وكان قد ولد لستة أشهر فأمر برجمها فقال علي لا رجم
عليها وذكر الطريق الذي ذكرناه وعن عثمان أنه هم بذلك
فقرأ ابن عباس عليه ذلك ٥ واعلم أن العقل والتجربة
يدلان أيضا على أن العقل والتجربة يدلان أيضا على أن
الأمر كذلك قال أصحاب التجارب إن لتكون
الجنين زمانا مقدرا فإذا تضاعف ذلك الزمان
تحرك الجنين فإذا انضاف إلى ذلك المجموع مثلاه انفصل
الجنين عن الأم فلنفرض أنه يتم خلقه في ثلثين يوما فإذا
تضاعف ذلك الزمان حتى صار ستين يوما تحرك
الجنين فإذا انضاف إلى هذا المجموع مثلاه وهو مائة
وعشرون يوما حتى صار المجموع مائة وثمانين وهو ستة
أشهر فحينئذ ينفصل الجنين ولنفرض أنه يتم خلقه
في خمسة وثلثين يوما صار المجموع مائتين وعشرة
أيام وهو سبعة أشهر انفصل الولد ولنفرض أنه
يتم خلقه في أربعين يوما فيتحرك في ثمانين يوما فينفصل
عند مائتين وأربعين يوما وهو ثمانية أشهر ولنفرض
أنه تمت الخلقة في خمسة وأربعين يوما فينفصل عند مائتين
وسبعين يوما وهو تسعة أشهر فهذا هو الضبط الذي ذكره
أصحاب التجارب قال جالينوس إني كنت شديد التفحص
عن مقادير أزمنة الحمل فرأيت امرأة ولدت في المائة والأربع

وعشرون

والثمانين ليلة وزعم أبو علي بن سينا أنه شاهد ذلك فقد
صار أقل مدة الحمل بحسب نص القرآن وبحسب التجارب
الطب شيئا واحدا وهو ستة أشهر وأما أكثر مدة
الحمل فليس في القرآن ما يدل عليه قال أبو علي بن سينا
في الفصل السادس من المقالة التاسعة من حيوان الشفاء
بلغني من حيث وثقت به كل الثقة أن امرأة وضعت بعد
الرابع من سني الحمل قد نبتت أسنانه وحكي عن
أرسطاطاليس أنه قال أزمنة الولادة وحمل الحيوان
مضبوطة سوى الإنسان فربما وضعت الحمل لسبعة أشهر
وربما وضعت في الثامن وقل ما يعيش المولود في الثامن إلا في
بلاد معينة مثل مصر والغالب هو الولادة بعد التاسع قال
أهل التجارب والذي قلناه من أنه إذا تضاعف زمان
التكوين تحرك الجنين وإذا انضم إلى المجموع مثلاه انفصل
الجنين إنما قلناه بحسب التقريب لا بحسب التحديد فإنه
ربما زاد أو نقص بحسب أيام لانه لم يقم على هذا الضبط برهان
إنما هو تقريب ذكروه بحسب التجربة والله أعلم ثم قالوا
المدة التي فيها يتم خلق الجنين تنقسم إلى أقسام فأولها
أن الرحم إذا اشتمل على المني ولم ينفذ إلى الخارج استدار
المني على نفسه منحصرا إلى ذاته وصار كالكرة ولما كان
من شأن المني أن يفعل الحر فيه لا جرم يتخلخل في هذا الوقت
وبالحري أن يخلق المني من مادة تتحرك بالحرارة إذا كان الغرض
منه تكون الجنين واستحصاف أجزائه ويصير المني زبدا في
اليوم السادس وسادسها ظهور النقط الثلاث الدموية في
أحدها في الوسط وهو الموضع الذي إذا تمت الخلقة كان القلب

والثاني فوق وهو الدماغ والثالث على المنى وهو الكبد ثم ان تلك النطفة تتباعد وتظهر فيها خطوط حمر وذلك يحصل بعد تلك ايام اخرى فيكون الجميع تسعة ايام وثانيها ان تنفذ الدموية في الجميع فتصير علقة وذلك بعد ستة ايام اخرى حتى يصير المجموع خمسة عشر يوما قال ورابعها ان تصير لحما وقد تميزت الاعضاء الرئيسية واستدت رطوبة النخاع وذلك انما يتم باثني عشر يوما فيكون المجموع سبعة وعشرين يوما وخامسها ان ينفصل الراس عن المنكبين والاطراف عن الضلوع والبطن يميز الحس في بعض ويخفى في بعض وذلك يتم في تسعة ايام اخرى فيكون المجموع ستة وثلثين يوما وسادسها ان يتم انفصال هذه الاعضاء بعضها عن بعض وتصير بحيث يظهر ذلك الحس ظهورا بينا وذلك يتم في اربعة ايام اخرى فيكون المجموع اربعين يوما وقد يتاخر الى خمسة واربعين يوما والاقل هو الثلثون فصار هذه التجارب الطبية مطابقة لما اخبر عنه الصادق المصدوق في قوله صلى الله عليه وسلم يجمع خلق احدكم في بطن امه اربعين يوما قال اهل التجارب ان السقط بعد الاربعين اذا شق عنه السلاء له ووضع في الماء البارد ظهر شيء صغير متميز الاطراف **المسئلة الثالثة** هذه الاية دلت على اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع اما انه يدل على اقل مدة الحمل فقد بيناه واما انه يدل على اكثر مدة الرضع فلقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة والفقهاء ربطوا بهذين الضابطين احكاما كثيرة في الفقه واصافاد انه لما

اقل مدة الحمل هو الاشهر الستة فبتقدير ان ماتى المراة بالولد في هذه الاشهر الستة يبقى جانبها مصونا عن تهمة الزنا والفاحشة وبتقدير ان يكون اكثر مدة الرضاع ما ذكرناه فاذا حصل الرضاع بعد هذه المدة لا يترتب عليها احكام الرضاع فتبقى المراة مستورة عن الاجانب وعند هذا يظهر ان المقصود من تقدير اقل الحمل ستة اشهر وتقدير اكثر الرضاع حولين كاملين السعي في دفع المضار والفواحش وانواع التهمة عن المراة فسبحان الله ما اجل تحت كل كلمة من هذا الكتاب الكريم اسرار عجيبة ونفائس لطيفة تعجز العقول عن الاحاطة بكمالها وروى الواحدي في البسيط عن عكرمة انه قال اذا حملت تسعة اشهر ارضعته احدى وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعته اربعة وعشرين شهرا والصحيح ما قدمناه ثم قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وفيه مسائل **المسئلة الاولى** اختلف المفسرون في تفسير الاشد قال ابن عباس في رواية عطاء يريد ثماني عشرة سنة والاكثرون من المفسرين على انه ثلاث وثلاثون سنة واحتج الفراء عليه بان قال ان الاربعين اقرب في النسق الى ثلاث وثلاثين منها الى ثماني عشرة الا ترى انك تقول اخذت عامة المال او كله فيكون احسن من قولك اخذت اقل المال او كله ومثله قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فبعض هذه الاقسام قريب من بعض فكذلك

هاهنا وقال الزجاج الاولى حمله على ثلاث وثلثين سنة
لان هذا الوقت الذي يكمل فيه بدن الانسان واقول
تحقيق الكلام في هذا الباب ان يقال ان مراتب سن الحيوان
ثلثه وذلك لان بدن الحيوان لا يكون الا برطوبة غريزية وحرارة
غريزية ولا شك ان الرطوبة الغريزية غالبة في اول العمر وناقصة
في اخر العمر والانتقال من الزيادة الى النقصان لا يعقل حصوله
الا اذا حصل الاستوا في وسط هاتين المدتين فثبت ان مدة
العمر منقسمة الى ثلثة اقسام اولها ان تكون الرطوبة
الغريزية زايدة على الحرارة الغريزية وحينئذ تكون
الاعضا قابلة للتمدد في ذواتها وللزيادة بحسب الطول
والعرض والعمق وهذا هو سن النشو والنما والمرتبة الثانية
وهي المرتبة المتوسطة ان تكون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ الحرارة
الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف
وهو سن الشباب والمرتبة الثالثة وهي المرتبة الاخيرة
ان تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفا بحفظ الحرارة الغريزية
ثم هذا النقصان على قسمين فالاول هو النقصان
الخفي وهو سن الكهولة والثاني هو النقصان الظاهر
وهو سن الشيخوخة فهذا ضبط معلوم ثم ههنا بقية مقدمة
اخرى وهي ان دورة القمر انما تكمل في مدة ثمانية وعشرين يوما وشي
فاذا قسمنا هذه المدة باربعة اقسام كان كل قسم منها سبعة
فلهذا السبب قدروا الشهور بالاسابيع الاربعة ولهذه
الاسابيع تأثيرات عظيمة في اختلاف احوال هذا العالم
اذا عرفت هذا فنقول ان المحققين من اصحاب

التجارب

قسموا
التجارب جملة سن النما والنشو الى اربعة اسابيع ويحصل للادمي
انما كل اسبوع من هذه الاسابيع الاربعة نوع من التغير
يؤدي الى حالة اما عند تمام الاسبوع الاول من العمر
فتصلب اضلاعه بعد الصلابة وتقوى افعال الصابعة
القوة وتتبدل اسنانه الضعيفة الواهية باسنان قوية
ويكون الشهوة في هذه الاسابيع اقوى في الهضم مما كان قبل ذلك
واما في نهاية الاسبوع الثاني فتقوى الحرارة وتقل الرطوبات
وتتسع المجاري وتقوى قوة الهضم وتقوى الاعضا وتصلب قوة
وصلابة كافية وتتولد فيه مادة الزرع وعند هذا
يحكم الشرع عليه بالبلوغ على قول الشافعي رضي الله عنه وهو
الحق الذي لا محيد عنه لان هذا الوقت لما قويت الحرارة الغريزية
تحللت الرطوبات واعتدل الدماغ فتكمل القوى التي هي
الذكر والفكر ولا جرم يحكم عليه بكمال العقل ولا جرم حكمت
الشريعة بالبلوغ وبوجوب التكاليف الشرعية فما احسن قول من
ضبط البلوغ الشرعي بخمسة عشر سنة واعلم انه يشرع
حصول هذه الاحوال في ظاهر البدن واحدها انبات شعر
الارنبة لان الرطوبة الغريزية التي هناك تنقص فيظهر
الانفراق ويشابه الخضرة فتنبو وتغلظ الصوت
وثانيها نبات شعر الابط وهي الفضلة العفنية التي تدفعها
العلة الى ذلك الموضع وذلك لان القلب لما قويت حرارته
لا جرم قويت على انضاج المادة ودفعها الى اللحم الغددي الرخو
الذي في الابط وثالثها نبات الشعر وحصول الاحتلام وكل
ذلك لان الحرارة قويت وقدرت على تولد الابخرة المولدة للشعر

وعلى مولد مادة الزرع وفي هذا الوقت تحرك الشهوة في الصبا
وتشتهر فيه بعض ويترك حتى وقبل ذلك بسبب
ان الحرارة الغريزية التي فيهن اوسث في هذا السابوع الثالث
قد حصل في حد الكمال وتنبت للذكر اللحية ويزداد حسنه
وكماله واما في السابوع الرابع فهاهنا لا يظهر
الازدياد اما مدة الشباب وهي مدة الوقت فبلوغ واحد
فيكون المجموع خمسة وثلثين سنة ولما زادت هذه المدد
مما قد يزداد وقد تنقص بحسب الامزجة جعل
الغاية فيه مدة اربعين سنة وهذا هو السن الذي يحصل
فيه غاية الكمال اللائق بالانسان اذا عرفنا ذلك في هذا الوقت
تسكن افعال القوى الطبيعية بعض السكون
وتنتهي افعال القوى الحيوانية عليها وتبتدي افعال
القوى النفسانية بالقوة والكمال واذا عرفت هذه المقدمة
ظهر لك ان بلوغ الانسان وقت الاشد وبلوغه الى
الاربعين شي اخر وان بلوغه الى وقت الاشد عبارة عن الوصول
الى اخر النشو والنما وان بلوغه الى وقت الاربعين عبارة
عن الوصول الى اخر مدة الشباب ومن ذلك الوقت تاخذ القوى
الطبيعية والحيوانية في الانتقاص والنفس من حين
الاربعين تاخذ في الاستكمال ولولا ان النفس غير البدن
لحصل للشي الواحد في الوقت الواحد الكمال والنقصان
وذلك محال وهذا الكلام الذي ذكرناه ولخصناه مذكور
في صريح القران لانا بينا ان بعد الاربعين تبتدي الحالات الحاصلة
بحسب القوى الطبيعية والحيوانية واما الحالات الحاصلة

بسبب القوى النطقية والعقلية فانما تبتدا بالاستكمال
والدليل عليه قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة
قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
وهذا يدل على ان توجه الانسان الى عالم العبودية والاشتغال
بطاعة الله انما يحصل من هذا الوقت وهذا تصريح بان
القوى النفسانية العقلية النطقية انما تبتدا بالاستكمال
من هذا الوقت فسبحان من اودع في هذا القران الكريم
هذه الاسرار الشريفة المقدسة قال المفسرون
لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة واقول هذا
مشكل بعيسى عليه السلام فان الله تعالى جعله نبيا من اول عمره
الا انه يجب ان يقال الاغلب انه ما جاء الوحي الا بعد الاربعين
وهكذا كان الامر في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وروي ان عمر بن عبد العزيز لما بلغ اربعين سنة قال
يقول اللهم اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي الى
تمام الدعاء وروي انه جاء جبريل عليه السلام الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الحافظان ان ارفق
بعبدي من حيوته سنته حتى اذا بلغ الاربعين قبل احفظا
وحققا وكان راوي هذا الحديث اذا روى هذا الحديث
بكا حتى يبل لحيته رواه القاضي في التفسير **المسألة الثانية**
اعلم ان قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة يدل على
ان الانسان كالمحتاج الى مراعاة الوالدين له الى قرب من هذه
المدة وذلك لان العقل كالناقص ولابد له من رعاية
الوالدين في رعاية المصالح ودفع الافات وفيه تنبيه على ان نعم

الوالدين على الولد بعد دخوله في الوجود انما ذكر هذه المدة الطويلة
وذلك يدل على ان نعم الوالدين كانه تخرج عن وسع الانسان
مكافاتها الا بالدعاء والذكر الجميل ۝ المسئلة الثالثة
حكى الواحدي عن ابن عباس وقوم كثير من اصحاب المفسرين
ومتقدميهم ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه
والدليل عليه ان الله حد وقت الحمل والفصال ههنا بمقدار
يعلم انه قد ينقص وقد يزيد عنه بسبب اختلاف الناس
في هذه الاحوال فوجب ان يكون المقصود منه شخصا واحدا حتى يقال
ان هذا التقدير اخبار عن حاله فيمكن ان يكون ابو بكر كان حمله وفصاله
هذا القدر ثم قال تعالى في صفة ذلك الانسان حتى اذا بلغ
اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر
نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي ومعلوم انه ليس
كل انسان يقول هذا القول فوجب ان يكون المراد من هذه
الاية انسانا معينا قال هذا القول واما ابو بكر فقد قال هذا
القول في قرب هذا السن لانه كان اقل سنا من النبي صلى الله عليه وسلم
بسنتين وشيء والنبي صلى الله عليه وسلم بعث عند الاربعين
وكان ابو بكر قريبا من الاربعين وهو قد صدق النبي صلى الله
عليه وسلم وامن به وثبت بما ذكرناه ان هذه الاية
صالحة لان يكون المراد منها ابو بكر واذا ثبت القول
بهذه الصلاحية فنقول ندعي انه هو المراد من هذه
الاية ويدل عليه انه تعالى قال في اخر الاية اولئك
الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة
وهذا يدل على ان المراد من هذه الاية افضل الخلق لان الذي يتقبل الله
منه احسن اعماله ويتجاوز عن كل سيئاته يجب ان

يكون من افاضل الخلق واكابرهم ۝ واجمعت الامة على
ان افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابو بكر
واما علي ولا يجوز ان يكون المراد من هذه الاية علي بن ابي طالب
لان هذه الاية انما تليق بمن اتى بهذه الكلمة عند بلوغ
الاشد وعند القرب من الاربعين وعلي بن ابي طالب ما كان
كذلك لانه انما امن في زمن الصبى وعند القرب من الصبى
فثبت ان المراد من هذه هو ابو بكر والله اعلم ۝ المسئلة
الرابعة قوله تعالى اوزعني قال ابن عباس معناه
الهمني قال صاحب الصحاح اوزعته اغريته
به فاوزع به فهو موزع به اي مغرى به واستوزعت
الله فاوزعني اي استلهمته فالهمني ۝ المسئلة الخامسة
اعلم انه تعالى حكى عن هذا الداعي انه طلب من الله تعالى
ثلاثة اشياء احدها ان يوفقه الله للشكر على نعمه
والثاني ان يوفقه للاتيان بالطاعة المرضية
عند الله والثالث ان يصلح له في ذريته وفي ترتيب
هذه الاشياء الثلثة على الوجه المذكور وجهان الاول
انا بينا ان مراتب السعادة ثلثة اكملها النفسانية
واوسطها البدنية وادونها الخارجية والسعادات
النفسانية هي اشتغال القلب بشكر الاء الله ونعمائه
والسعادات البدنية هي اشتغال البدن بالطاعة
والخدمة والسعادات الخارجية هي سعادة الاهل

والولد فلما كانت المرادات محصورة في هذه الثلثة لا
جرم رتبها الله على هذا الوجه والسبب الثاني لرعاية
هذا الترتيب انه تعالى قدم الشكر على العمل لان الشكر
من اعمال القلوب والعمل من اعمال الجوارح وعمل القلب
اشرف من عمل الجوارح وايضا المقصود من الاعمال الظاهرة
احوال القلب قال تعالى واقم الصلاة لذكري بين ان
الصلوة مطلوبة لاجل انها تفيد الذكر فثبت ان اعمال القلوب
اشرف من اعمال الجوارح والاشرف يجب تقديمه في
الذكر وايضا الاشتغال بالشكر اشتغال بقضاء
حقوق النعم الماضية والاشتغال بالطاعة اشتغال بطلب
النعم المستقبلة وقضاء الحقوق الماضية يجري مجرى
قضاء الدين وطلب المنافع المستقبلة طلب للزوائد ومعلوم
ان قضاء الدين مقدم على سائر المهمات فلهذا قدم
الشكر على سائر الطاعات وايضا انه قدم طلب
التوفيق على الشكر وطلب التوفيق على الطاعة على
طلب ان يصلح له في ذريته وذلك لان المطلوبين الاولين
اشتغال بالتعظيم لامر الله والمطلوب الثالث اشتغال
بالشفقة على خلق الله ومعلوم ان التعظيم لامر الله
يجب تقديمه على الشفقة على خلق الله

المسألة السادسة

قال اصحابنا ان العبد طلب من الله تعالى في ان يلهمه
الشكر على نعم الله وهذا يدل على انه لا يتم شيء من الطاعات
والاعمال الا باعانة الله ولو كان العبد مستقلا بافعاله

السبب

لكان

لكان هذا الطلب عبثا وايضا المفسرون قالوا المراد
من قوله اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي هو الايمان
او الايمان يكون داخلا فيه والدليل عليه قوله تعالى
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم
والمراد صراط الذين انعمت عليهم نعمة الايمان واذا ثبت
هذا فنقول الحمد والشكر لله تعالى على فعل
فعله هو على فعل غيره وذلك قبيح لقوله تعالى ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا فان قيل هب انه يشكر الله
على ما انعم عليه فكيف يشكره على النعم التي انعم بها على
والديه وانما يجب على الرجل ان يشكر ربه على ما وصل
اليه من النعم [illegible] وصلت من الله الى والديه فقد
وصل منها اثر اليه فوصاه الله على ان يشكر ربه على
الامرين واما المطلوب الثالث من المطالب المذكورة
في هذا الدعاء فهو قوله وان اعمل صالحا ترضاه واعلم
ان الشيء الذي يعتقد الانسان فيه كونه صالحا على قسمين
احدهما الذي يكون صالحا عنده ويكون صالحا عند الله تعالى
ايضا والثاني الذي يظنه صالحا ولكنه لا يكون
صالحا عند الله تعالى فلما انقسم الصالح في ظنه الى هذين
القسمين طلب من الله ان يوفقه لان ياتي بعمل صالح يكون
صالحا عند الله تعالى ويكون مرضيا عند الله والمطلوب الرابع
من المطالب المذكورة في هذه الاية قوله تعالى واصلح لي في ذريتي
لان ذلك من اجل نعم الله تعالى على الوالد كما قال

ابرهيم صلوات الله عليه واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
فان قيل ما معنى قوله واصلح لي في ذريتي قلنا
معنى الكلام هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم
واعلم انه تعالى لما حكى عن ذلك الداعي انه
طلب هذه الاشيا الثلثة قال بعد ذلك اني تبت
اليك واني من المسلمين والمراد ان الدعا لا يصح الا
مع التوبة والا لكونه من المسلمين فبين اني انما اقدمت
على هذا الدعا بعد ان تبت من الكفر ومن كل قبيح
وبعد ان دخلت في الاسلام والانقياد لامر الله ولقضائه
واعلم ان الذين قالوا ان هذه الاية نزلت في ابي بكر
قالوا ان ابا بكر اسلم والداه ولم يتفق لاحد من الصحابة المهاجرين
اسلام الابوين الا له فابوه ابو قحافة عثمان بن
عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وقوله وان اعمل صالحا
ترضاه قال ابن عباس واجابه الله فاعتق تسعة
من المومنين يعذبون في الله منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم
يرد شيا من الخير الا اعانه الله عليه وقوله تعالى
واصلح لي في ذريتي قال ابن عباس لم يبق لابي بكر
ولد من الذكور والاناث الا وقد امنوا ولم يتفق لاحد
من الصحابة ان اسلم ابواه وجميع اولاده الذكور والاناث
الا ابو بكر ثم قال تعالى اولئك اي اهل هذا القول
الذين نتقبل عنهم قرى بضم اليا على بنا الفعل للمفعول وقرى

بالنون المفتوحة وكذلك نتجاوز وكلاهما في المعنى واحد لان
الفعل وان كان مبنيا للمفعول فمعلوم انه لله سبحانه
فهو كقوله يغفر لهم ما قد سلف فبين سبحانه بقوله اولئك
الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ان من تقدم ذكره ممن يدعوا
بهذا الدعا ويسلك هذه الطريقة التي تقدم ذكرها نتقبل
عنهم والتقبل من الله هو ايجاب الثواب له على عمله فان
قيل ولم قال تعالى احسن ما عملوا والله يتقبل الاحسن
وما دونه قلنا الجواب من وجوه الاول المراد بالاحسن (احسن)
الحسن كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم
وكقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان اي عادلا
بني مروان الثاني ان الحسن من الاعمال هو المباح
الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب والاحسن ما
يغاير ذلك وهو كل ما كان مندوبا او واجبا ثم قال
ونتجاوز عن سيئاتهم والمعنى انه تعالى يتقبل طاعتهم ويتجاوز
عن سيئاتهم قال في اصحاب الجنة قال صاحب
الكشاف ومعنى هذا الكلام مثل قولك اكرمني الامير
في ناس من اصحابه يريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني
في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كاينين في
اصحاب الجنة ومعدودين منهم وقوله وعد الصدق مصدر
مؤكد لان قوله نتقبل ونتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز (وعد)
والمقصود بيان انه تعالى يعامل من صفته ما قدمناه بهذا
الجزا وذلك وعد من الله فبين انه صدق ولا شك فيه

قوله تعالى والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن
أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله
ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير
الأولين أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت
من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ولكل
درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ويوم
يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في
حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب
الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق
وبما كنتم تفسقون ○ اعلم أنه تعالى لما وصف الولد
البار بوالديه في الآية المتقدمة وصف الولد العاق
لوالديه في هذه الآية فقال والذي قال لوالديه أف
لكما وفي هذه الآية قولان الأول أنها نزلت
في عبد الرحمن بن أبي بكر قالوا كان أبواه يدعواه إلى
الإسلام فأبى وهو قوله أف لكما واحتج القائلون
بهذا القول على صحته بأنه لما كتب معاوية إلى مروان
بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن بن أبي بكر لقد
جئتم شيئا نكرا أتبايعون أبناءكم فقال مروان يا أيها الناس
هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما والقول الثاني
أنه ليس المراد منه شخص معين بل المراد منه كل من كان موصوفا بهذه
الصفة وهو كل من دعاه أبواه إلى الدين الحق فأبى وأنكر
وهذا القول هو الصحيح عندنا ويدل عليه وجوه الأول أنه تعالى
وصف هذا الذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني بقوله أولئك
الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس

من سادات المسلمين فبطل حمل الآية عليه فإن قالوا
روي أنه لما دعاه أبواه إلى الإسلام وأخبراه
بالبعث بعد الموت قال أتعدانني أن أخرج من القبر
يعني أبعث بعد الموت وقد خلت القرون من قبلي
يعني الأمم الخالية فلم يرجع منهم أحد فأين عبد الله بن جدعان
وأين فلان وأين فلان إذا عرفت هذا فنقول
قوله أولئك الذين حق عليهم المراد هؤلاء الذين ذكرهم
عبد الرحمن من المشركين الذين ماتوا قبله هم الذين حق
عليهم القول وحينئذ فالضمير عائد إلى المشار إليهم
بقوله وقد خلت القرون من قبلي لا إلى المشار إليه بقوله
والذي قال لوالديه أف لكما هذا ما ذكره الكلبي
في دفع ذلك الدليل وهو حسن والوجه الثاني
في إبطال ذلك القول ما روي أن مروان لما خاطب عبد الرحمن
بن أبي بكر بذلك الكلام سمعت عائشة رضي الله عنها
ذلك فغضبت وقالت والله ما هو به ولكن الله لعن أباك
وأنت في صلبه والوجه الثالث وهو الأقوى أنه تعالى
وصف الولد البار بأبويه في الآية المتقدمة ووصف
الولد العاق لأبويه في هذه الآية وذكر من صفات ذلك
الولد أنه بلغ في العقوق إلى حيث لما دعاه أبواه
إلى الدين الحق وهو الإقرار بالبعث والقيامة أصر على الإنكار
وأبى واستكبر وعول في ذلك الإنكار على
شبهات خسيسة وكلمات واهية وإذا كان كذلك
كان المراد كل ولد اتصف بالصفات المذكورة ولا حاجة

الثانية ان يخصص اللفظ المطلق بشخص معين قال صاحب
الكشاف قرئ بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات
الثلاث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به
الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم
انه متوجع واللام للبيان معناه هذا التافيف
لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما وقرئ اتعدانني
بنونين وبحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت
اذا صوت به الانسان واتعدانني باحدهما واتعداني
بالادغام وقرأ بعضهم اتعدانني بفتح النون كانه
استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح
الاول تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم ومن طرح احدهما
ثم قال ان اخرج اي ابعث واخرج من الارض وقرئ
اخرج وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم
قال وهما يستغيثان الله فان قيل لو كان الواجب
ان يقال يستغيثان بالله فلما الجواب من وجهين
الاول ان المعنى انهما يستغيثان بالله من كفره
وانكاره فلما حذف الجار وصل الفعل الثاني يجوز
ان يقال الباء حذف لانه اريد بالاستغاثة الدعا فحذف
الجار لان الدعا لا يقتضيه وقوله تعالى ويلك آمن
اي يقولان له ويلك امن وصدق بالبعث وهو دعا
عليه بالثبور والمراد الحث والتحريض على الايمان بالبعث
لا حقيقة الهلاك ثم قال ان وعد الله حق
فيقول لهما ما هذا الا اساطير الاولين ثم قال تعالى
اولئك الذين حق عليهم اي حقت عليهم كلمة العذاب ثم فيها بحثان

قوله

الاول الذين يقولون المراد بالولد هو عبد الرحمن بن ابي بكر
قالوا المراد بهؤلاء الذين حقت عليهم كلمة العذاب هم الرؤساء
الذين خلوا من قبله والذين قالوا المراد به ليس عبد الرحمن
بل كل ولد كان موصوفا بالصفة المذكورة قالوا هذا
الوعيد مختص بهم وقوله في امم نظيره قوله في اصحاب
الجنة وقد ذكرنا انه نظير لقوله اكرمني الامير في
ناس من اصحابه يريد اكرمني في جملة من اكرم منهم
ثم قال انهم كانوا خاسرين وقرئ ان بالفتح على معنى
امن بان وعد الله حق ثم قال ولكل درجات مما
عملوا وفيه قولان الاول ان الله تعالى ذكر الولد
البار ثم اردفه بالولد العاق فقوله ولكل درجات
مما عملوا خاص بالمؤمنين وذلك لان المؤمن البار
بوالديه لهم درجات متفاوتة ومراتب مختلفة في هذا
الباب والقول الثاني ان قوله ولكل درجات مما عملوا
عائد الى الفريقين والمعنى ولكل واحد من الفريقين
درجات في الايمان والكفر والطاعة والمعصية فان قالوا
كيف يجوز لفظ الدرجات في اهل النار وقد جاء في الاثر
الجنة درجات والنار دركات قلنا فيه وجوه الاول
يجوز ان يقال ذلك على جهة التغليب الثاني قال
ابن زيد درج اهل الجنة تذهب علوا ودرج اهل النار
تذهب هبوطا الثالث ان المراد بالدرجات المراتب
المتزايدة الا ان زيادات اهل الجنة في الخيرات والطاعات
وزيادات اهل النار في المعاصي والسيئات ثم قال وليوفيهم
اعمالهم وقرئ بالنون وهذا تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه

كأنه قال واستوفيتم اعمالكم ولا نظلمهم حقوقهم فقدر
جزاهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب
دركات ولما بين الله تعالى انه يوصل حق كل احد اليه بين
احوال اهل العقاب اولا فقال ويوم يعرض الذين
كفروا على النار قيل يدخلون النار وقيل
يعرض عليهم النار ليروا هولها اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا قرأ ابن كثير استفهام بهمزة ومدة وابن عامر
استفهام بهمزتين بلا مد والباقون اذهبتم بلفظ الخبر
والمعنى ان كل ما قدر لكم من الطيبات والدرجات
فقد استوفيتموه في الدنيا واخذتموه فلم يبق لكم بعد
استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر لو شئت لكنت اطيبكم
طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي ه
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على
اهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون
لها رقاعا فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم
في حلة ويروح في اخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه
باخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال
بل انتم اليوم خير قال صاحب الكشاف فالاولى ان الصالحين
يؤثرون التقشف والزهد في الدنيا رجاء ان يكون ثوابهم في الآخرة
اكمل الا ان هذه الآية لا تدل على المنع من التنعم لان هذه الآية وردت
في حق الكافر وانما وبخ الله الكافر لانه تمتع بالدنيا ولم يؤد شكر المنعم بطاعته
والايمان به اما المؤمن فانه يؤدي بايمانه شكر المنعم فلا يوبخ
بتمتعه والدليل عليه قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
والطيبات من الرزق ه نعم لا ينكر ان الاحتراز عن التنعم اولى لان النفس

اذا اعتادت التنعم صعب عليها الاحتراز اى الهوان
تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض
بغير الحق وبما كنتم تفسقون فعلل تعالى ذلك
العذاب بامرين احدهما الاستكبار والترفع
وهو ذنب القلب والثاني الفسق وهو ذنب
الجوارح وقدم الاول على الثاني لان احوال القلوب
اعظم وقعا من اعمال الجوارح ويمكن ان يكون المراد
من الاستكبار انهم يتكبرون عن قبول الدين
الحق ويستكبرون عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
واما الفسق فهو المعاصي واحتج اصحابنا بهذه
الآية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع
لان الله تعالى علل عذابهم بامرين اولهما الكفر وثانيهما
الفسق وهذا الفسق لا بد وان يكون مغايرا
لذلك الكفر لان العطف يوجب المغايرة فثبت
ان فسق الكفار يوجب العقاب في حقهم ولا معنى
للفسق الا ترك المامورات وفعل المنهيات
قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر
قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا
تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
قالوا اجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله
وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوما تجهلون
فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا
عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب
اليم تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا
مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه

حينئذ [illegible] الانقياد [illegible] وبما جعل المال [illegible] الطيبات على [illegible] فعل ما لا ينبغي وذلك [illegible] ما اعتاده الى البعض [illegible] في البعد عن الله [illegible] فاليوم تجزون عذاب الهون

وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا
ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بايات الله
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون اعلم انه تعالى
لما اورد انواع الدلائل في اثبات النبوة والتوحيد
وكان اهل مكة بسبب استغراقهم في لذات
الدنيا واشتغالهم بطلبها اعرضوا عنها ولم يلتفتوا
اليها ولهذا السبب قال تعالى في حقهم ويوم يعرض
الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا فلما كان الامر كذلك بين ان قوم عاد كانوا
اكثر اموالا وقوة وجاها منهم ثم ان الله تعالى سلط
العذاب عليهم بسبب شوم كفرهم فذكر هذه القصة
ههنا ليعتبر بها اهل مكة فيتركوا الاغترار بما
وجدوه من الدنيا ويقبلوا على طلب الدين فلهذا المعنى
ذكر الله تعالى هذه القصة في هذا الموضع وهو
مناسب لما تقدم لان من اراد تقبيح طريقة عند قوم فالا
الطريق فيه ضرب الامثال وتعريف ان من واظب على تلك
الطريقة نزل به من البلاء كذا وكذا المسئلة الاولى
واذكر اخا عاد اي واذكر يا محمد لقومك اهل مكة هودا
عليه الصلاة والسلام اذ انذر قومه اي حذرهم عذاب الله ان
لم يؤمنوا وقوله بالاحقاف قال ابو عبيدة الحقف الرمل
المعوج ومنه قيل للمعوج محقوقف وقال
الفراء الاحقاف واحدها حقف وهو الكثيب المكسر
غير العظيم وفيه اعوجاج قال ابن عباس واد بين عمان
ومهرة والنذر جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه من قبله ومن
خلفه من بعده والمعنى ان هودا عليه السلام قال

فلما ردهم وقال لهم لا تعبدون الا الله اني اخاف عليكم
العذاب واعلم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين
سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره ثم
حكى تعالى عن الكفار انهم قالوا اجئتنا لتافكنا الافك
الصرف افكه عن رايه وقيل المراد لتزيلنا
بضرب من الكذب عن الهتنا وعن عبادتها فاتنا
بما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك ان كنت
من الصادقين في وعدك فعند هذا قال هود عليه السلام
انما العلم عند الله وانما صلح هذا الكلام جوابا
لقولهم فاتنا بما تعدنا استعجال منهم لذلك العذاب
فقال لهم هود لا علم عندي بالوقت الذي
يحصل فيه ذلك العذاب انما علم ذلك عند الله
وابلغكم ما ارسلت به وهو التحذير عن العذاب
واما العلم بوقته فما اوحاه الله الي ولكني اراكم
قوما تجهلون وهذا يحتمل وجوها الاول
المراد انكم لا تعلمون ان الرسل لم يبعثوا مقترحين
ولا سائلين غير ما اذن لهم فيه وانما بعثوا مبلغين
الثاني اراكم قوما تجهلون من حيث انكم
بقيتم مصرين على كفركم وجهلكم فيغلب على
ظني انه قرب الوقت الذي ينزل عليكم بسبب هذا
الجهل المفرط والوقاحة التامة الثالث
اني اراكم قوما تجهلون حيث تصرون على طلب
العذاب وهب انه لم يظهر لكم كوني صادقا
ولكن لم يظهر لكم ايضا كوني كاذبا فالاقدام

على الطلب الشديد لهذا العذاب حمل عظيم ثم قال تعالى
فلما راوه ذكر المبرد في ذا قولين احدهما انه عايد
الى غير مذكور وبينه قوله عارضا كما قال ما ترك
على ظهرها من دابة ولم يذكر الارض لكونها معلومة
فكذا هاهنا الضمير عايد الى السحاب كانه قيل فلما
راوا السحاب عارضا وهذا اختيار الزجاج ويكون
من باب الاضمار لا على شريطة التفسير والقول
الثاني ان يكون الضمير عايدا الى ما في قوله فاتنا بما
تعدنا فلما راوا ما يوعدون به عارضا قال العارض
السحابة التي ترى في ناحية السماء ثم تطبق قوله تعالى
مستقبل اوديتهم قال المفسرون كانت عاد
حبس عنهم المطر ايام فساق الله اليهم سحابة سوداء
فخرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما راوه
مستقبل اوديتهم استبشروا وقالوا هذا عارض
ممطرنا فقيل كان هود قاعدا في قومه فجاء سحاب
مكفهر فقالوا هذا عارض ممطرنا فقال
بل هو ما استعجلتم به من العذاب ثم بين ماهيته فقال
ريح فيها عذاب اليم ثم وصف تلك الريح فقال تدمر
كل شي بامر ربها اي تهلك كل شي من الحيوان والناس
بامر ربها والمعنى ان هذا ليس من باب تاثيرات
الكواكب والقرانات بل هو امر حدث ابتداء بقدرة
الله تعالى لاجل تعذيبكم فاصبحوا يعني عادا لا يرى
الا مساكنهم وفيه مسايل المسلة الاولى
روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط فترفعها في الجو حتى

ترى

ترى كانها جراد وقيل اول من ابصر العذاب امراة
منهم قالت رايت ريحا فيها كشهب النار وروي
ان اول ما عرفوا به انه عذاب اليم انهم راوا ما كان
في الصحرا من رحالهم ومواشيهم يطير بهم الريح بين السما
والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت
الريح الابواب وصرعتهم وامال الله تعالى عليهم
الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام
لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم وروي ان هودا
لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المومنين خطا الى
جنب عين تنبع وكانت الريح التي تصيبهم ريحا طيبة هادية
والريح التي تصيب قوم عاد ترفعهم من الارض وتطيرهم
الى السماء وتضربهم على الارض واثر المعجزة انما
ظهر في تلك الريح من هذا الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما امر الله خازن الرياح ان يرسل على عاد الا
مثل مقدار الخاتم ثم ان ذلك القدر اهلكهم بكليتهم والمقصود
من هذا الكلام اظهار قدرة الله تعالى وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا راى الريح فزع وقال
اللهم اني اسالك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ
بك من شرها وشر ما ارسلت به المسلة الثانية قرا
عاصم وحمزة لا يرى بالياء وضمها مساكنهم بضم النون
قال الكسائي لا ترى بالتاء مساكنهم بنصب النون وهي
قراءة الحسن والتاويل لا ترى شيا ولا اشيا الا مساكنهم
قال الجمهور هذه القراءة ليست بالقوية ثم قال تعالى
كذلك نجزي القوم المجرمين والمقصود تخويف كفار مكة

فان قيل لما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم فكيف يكون التخويف حاصلاً قيل قبل نزوله بعد انه ابوا
حوف كفار مكة وذكرنا فضل عادا بالقوة والجسم
عليهم فقال ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه والمعنى انهم
كانوا اقوى منكم قوة واكثر منكم اموالا وقال ابن
قتيبة كلمة ان زائدة والتقدير ولقد مكناهم وهذا
غلط لوجوه الاول ان الحكم بان حرفا من كتاب الله
عبث ولا يقول به عاقل والثاني ان المقصود من
هذا الكلام انهم كانوا اقوى منكم قوة ثم انهم مع زيادة
القوة ما نجوا عن عقاب الله تعالى فكيف يكون حالكم
وهذا المقصود انما يتم لو دلت الآية على انهم كانوا
اقوى قوة من قوم مكة والثالث ان سائر الآيات
تفيد هذا المعنى قال تعالى هم احسن اثاثا ورئيا
وقال كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض
ثم قال تعالى وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة
والمعنى انا فتحنا عليهم ابواب النعم واعطيناهم سمعا
فما استعملوه في سماع الدلائل واعطيناهم ابصارا فما
استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه
القوى الى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم ما اغنى عنهم سمعهم
ولا ابصارهم من عذاب الله تعالى ثم بين تعالى انه
انما لم يغن عنهم سمعهم ولا ابصارهم لاجل انهم كانوا
يجحدون وقوله اذ كانوا يجحدون بمنزلة التعليل ولفظ
اذ قد يذكر لافادة التعليل تقول ضربته اذ اساء والمعنى
ضربته لانه اساء وفي هذه الآية تخويف لاهل مكة فان قوم

عاد

لما اعتزوا بما اتيناهم واعرضوا عن قبول الدليل والحجة نزل
بهم عذاب الله ولم تغن عنهم قوتهم وكثرتهم فاهل مكة
مع عجزهم وضعفهم اولى بان يحذروا عذاب الله ويخافوا ثم قال تعالى
وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون يعني انهم كانوا يطلبون
نزول العذاب وانما كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء

قوله تعالى ولقد اهلكنا ما حولكم
من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم
الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم
وذلك افكهم وما كانوا يفترون اعلم ان المراد
ولقد اهلكنا ما حولكم يا كفار مكة من القرى وهي عاد
وثمود باليمن والشام وصرفنا الآيات بينا لهم لعلهم لعل اهل القرى
يرجعون والمراد بالتصريف الاحوال الهائلة التي وجدت
قبل الاهلاك قال الجبائي قوله لعلهم يرجعون
معناه لكي يرجعوا عن كفرهم دل بذلك على انه تعالى
اراد رجوعهم ولم يرد اصرارهم والجواب انه فعل
ما لو فعله غيره لكان ذلك لاجل الارادة المذكورة
واما ههنا فالبرهان الباهر دل على انه سبحانه
مريد لجميع الكائنات ثم قال تعالى فلولا نصرهم
الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب
به الى الله اي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى وفي اعراب الآية وجوه الاول قال صاحب الكشاف
احد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين هو محذوف والثاني آلهة وقربانا
حال وقيل ان الفعل المتعدي الى مفعولين على حالة الاصل الثالث
قال بعضهم قربانا مفعول ثاني وقدم على المفعول الاول وهو

الهمزة وعليه انه يؤدي الى خلو الكلام عن الراجع الى الذين
والرابع قال بعض المحققين بضمير احد مفعولي اتخذوا
وهو الراجع الى الذين وجعل قربانا مفعولا ثانيا والهة عطف
بيان اذا عرفت الكلام في الاعراب فنقول المقصود ان
تعالى اي اولئك الذين اهلكهم الله هلا نصرهم الذين عبدوهم وزعموا
انهم متقربون بعبادتهم الى الله تعالى ليشفعوا لهم بل ضلوا
عنهم اي غابوا عن نصرهم وذلك ان كون الهتهم ناصرين
لهم امر ممتنع قال وذلك افكهم وذلك الامتناع اثر افكهم
الذي هو اتخاذهم اياها الهة وثمرة شركهم وافترائهم
على الله الكذب في اثبات الشركاء قال صاحب الكشاف
قرى افكهم والافك والافك كالحذر والحذر وقرى افكهم بفتح الفاء
والكاف اي وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره وثمرته صرفهم
عن الحق وقرى افكهم على التشديد للمبالغة وافكهم جعلهم
افكين وافكهم اي قولهم الافك والافك كما تقول
قول كاذب قال وما كانوا يفترون والتقدير وذلك
افكهم وافتراؤهم في اثبات الشركاء لله تعالى قوله تعالى
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما
حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا
يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين
يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق
والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم
ويجركم من عذاب اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من
دونه اولياء اولئك في ضلال مبين في الاية مسائل قوله تعالى
اعلم انه تعالى لما بين ان في الانس من امن ومنهم من كفر بين ايضا ان في الجن

تم

الاول قال سعيد بن جبير كانت الجن تستمع فلما رجموا قالوا
هذا الذي حدث في السماء انما حدث لشيء في الارض فذهبوا
يطلبون السبب وكان قد اتفق ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما ايس من اهل مكة ان يجيبوه خرج الى الطائف ليدعوهم
الى الاسلام فلما انصرف الى مكة وكان ببطن نخلة
قام يقرا القران فمر به نفر من اشراف جن نصيبين كان
ابليس بعثهم ليعرف السبب الذي اوجب حراسة السماء بالرجم
فسمعوا القران وعرفوا ان ذلك هو السبب والقول
الثاني ان الله امر رسوله ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى
ويقرا عليهم القران فصرف الله اليه نفرا من الجن ليستمعوا منه
القران وينذروا قومهم ويتفرع عليها ذكرناه فروع
الاول نقل القاضي في تفسيره عن الجن انهم كانوا يهودا
لان في الجن مللا كما في الانس من اليهود والنصارى والمجوس
وعبدة الاوثان واطبق المحققون على ان الجن مكلفون
سئل ابن عباس هل للجن ثواب قال نعم لهم ثواب وعليهم
عقاب يلتقون في الجنة ويزدحمون على ابوابها
الفرع الثاني قال صاحب الكشاف النفر دون العشرة
ويجمع على انفار روى محمد بن جرير الطبري عن ابن عباس
ان اولئك الجن كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وعن زر
ابن حبيش كانوا تسعة احدهم زوبعة وعن
قتادة ذكر لنا انهم صرفوا اليه من نينوى الفرع الثالث
اختلفوا في انه هل كان عبد الله بن مسعود مع النبي

اسم الشيخ

٥

صلى الله عليه وسلم ليلة الجن والروايات فيه مختلفة ومشهورة
الفرع الرابع روى القاضي في تفسيره عن النبي
صلى الله عليه وسلم في جبال مكة اذ اقبل شيخ متوكئ على عكازه
فقال صلى الله عليه وسلم في جبال مكة اذا قبل شيخ متوكئا على
عكازة فقال صلى الله عليه وسلم مشية جني ونغمته فقال اجل فمن اي
الجن انت فقال انا هامة بن هيم بن لاقيس بن ابليس فقال لا ارى
بينك وبينه الا ابوين فكم اتى عليك فقال اكلت عمر الدنيا الا اقلها وكنت
وقت قابيل وهابيل امشي بين الآكام وذكر كثيرا مما مر عليه وذكر
في جملته انه قال قال لي عيسى ان لقيت محمدا فاقرأه مني السلام
وقد بلغت سلامه وامنت بك فقال صلى الله عليه وسلم
وعلى عيسى السلام وعليك يا هامة ما حاجتك فقال ان
موسى عليه السلام علمني التوراة وعيسى علمني الانجيل
فعلمني القرآن فعلمه عشر سور وقبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عمر بن الخطاب ولا اراه الا حيا
واعلم ان تمام الكلام في قصة الجن مذكور في سورة
الجن **المسألة الاولى** اختلفوا في تفسير
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن فقال بعضهم لما لم يقصد الرسول
صلى الله عليه وسلم عليهم لكنه تعالى القى في قلوبهم ميلا
وداعية الى استماع القرآن فلهذا السبب قال واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن ثم قال تعالى فلما حضروه قالوا
الضمير للقرآن او لرسول الله اي قال بعضهم لبعض
انصتوا اي اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا واستنصت
له فلما فرغ من القراءة ولوا الى قومهم منذرين ينذرونهم
وذلك لا يكون عزمهم الى سماع القرآن والتصديق به

الا

الاعتذار اما لا يدعون

الا وقد امنوا وعند ذلك قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا
انزل من بعد موسى وصفه بوصفين الاول كونه
مصدقا لما بين يديه اي مصدقا لكتب الانبياء والمعنى
ان كتب سائر الانبياء كانت مشتملة على الدعوة الى
التوحيد والنبوة والمعاد والامر بتطهير
الاخلاق فكذلك هذا الكتاب مشتمل على هذه المعاني
والثاني قوله تعالى يهدي الى الحق والى طريق مستقيم
واعلم ان الوصف الاول يفيد ان هذا الكتاب
مماثل لسائر الكتب الالهية في الدعوة الى هذه المطالب العالية
الشريفة والوصف الثاني يفيد ان هذه المطالب التي
اشتمل القرآن عليها مطالب حقة صدق في انفسها
يعلم كل واحد بصريح عقله كونها كذلك سواء وردت
الكتب الالهية قبل ذلك بها او لم ترد وانما قالوا
من بعد موسى قلنا ما نقلنا عن الحسن انه قال كانوا على اليهودية
وعن ابن عباس ان الجن ما سمعت امر عيسى فلذلك قال
من بعد موسى ثم ان الجن لما وصفوا القرآن بهذه الصفات
الفاضلة قالوا يا قومنا اجيبوا داعي الله واختلفوا في انه
هل المراد بداعي الله الرسول او الواسطة التي تبلغ عنه والاقرب
انه هو الرسول لانه هو الذي يطلق عليه هذا الوصف
واعلم ان قوله اجيبوا داعي الله فيه مسائل **المسألة الاولى**
هذه الآية تدل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى
الجن كما كان مبعوثا الى الانس قال مقاتل ولم يبعث الله
نبيا الى الانس والجن قبله **المسألة الثانية** قوله اجيبوا

داعي الله امر باجابته في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان
الا انه اعاد ذكر الايمان على التعيين لاجل انه اهم
الاقسام واشرفها وقد جرت عادة القران بانه
يذكر اللفظ العام ثم يعطف عليه اشرف انواعه
كقوله وملائكته ورسله وجبريل وقوله واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ولما امر
بالايمان بدا بذكر فائدة الايمان وهي قوله يغفر
لكم من ذنوبكم وفيه مسئلتان المسئلة الاولى
قال بعضهم كلمة من ههنا زائدة والتقدير
يغفر لكم وقيل بل الفائدة فيه ان كلمة من
ههنا لابتداء الغاية فكان المعنى انه يقع
ابتداء الغفران بالذنوب ثم ينتهي الى غفران
ما صدر عنكم من ترك الاولى والاكمل ٥
المسئلة الثانية اختلفوا في ان الجن هل لهم ثواب
ام لا فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار ثم
يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم واحتجوا على
صحة هذا المذهب بقوله ويجركم من عذاب اليم وهو
قول ابي حنيفة والصحيح انهم في حكم بني ادم فيستحقون
الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وهذا قول
ابن ابي ليلى ومالك وجرت بينه وبين ابي حنيفة
في هذا الباب مناظرة قال الضحاك يدخلون الجنة ويأكلون
ويشربون والدليل على صحة هذا القول ان كل
دليل دل على ان البشر يستحقون الثواب على الطاعة فهو بعينه
قائم في حق الجن والفرق بين البابين بعيد جدا واعلم انه تعالى

[margin: الجنة يدخلون]

لما

لما امر قومه باجابة الرسول والايمان به حذرهم من
ترك هذه الاجابة فقال ومن لا يجب داعي الله فليس
بمعجز في الارض اي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه
سابق ونظيره قوله تعالى وانا ظننا ان لن
نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا ولا يجد له ايضا
وليا ولا ناصرا ولا دافعا من دون الله ثم بين انهم
في ضلال مبين ٥ قوله تعالى اولم يروا
ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن
بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير
ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا
بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون ٥ وفي الاية مسائل
المسئلة الاولى اعلم انه تعالى ذكر في اول
السورة ما يدل على وجود الاله القادر الحكيم
المختار ثم فرع عليه فرعين الاول ابطال قول
عبدة الاصنام والثاني اثبات النبوة وذكر شبهاتهم
في الطعن في النبوة واجاب عنها ولما كان
اكثر اعراض كفار مكة عن قبول الدلائل بسبب
اغترارهم بالدنيا واستغراقهم في استيفاء طيباتها
وشهواتها وبسبب انه كان يثقل عليهم الانقياد
لمحمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بتقدمه عليهم ضرب
لذلك مثلا وهم قوم عاد فانهم كانوا اكمل في منافع الدنيا
من قوم محمد فلما اصروا على الكفر ابادهم الله واهلكهم
فكان ذلك تخويفا لاهل مكة في اصرارهم على انكار نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم والان ههنا قد تم الكلام في التوحيد

وفي النبوة وذكر عقيبها تقرير مسئلة المعاد ومن تأمل في
هذا البيان الذي ذكرناه علم ان المقصود من كل القرآن تقرير
التوحيد والنبوة والمعاد وهذه الاصول ٥ المسئلة الثانية
المقصود من هذه الآية اقامة الدلالة على كونه تعالى قادرا
على البعث والدليل عليه انه تعالى اقام الدليل
على خلقهما اعظم وافخم من اعادة هذا الشخص حيا بعد
ان كان ميتا والقادر على الاقوى الاكمل لا بد وان
يكون قادرا على الاضعف الاقل ثم ختم الآية بقوله انه على كل شيء
قدير والمقصود منه ان تعلق الروح بالجسد امر
ممكن اذ لو لم يكن ممكنا في نفسه لما وقع اولا والله تعالى
قادر على الممكنات فوجب كونه قادرا على تلك
الاعادة وهذه الدلائل يقينية ظاهرة ٥ المسئلة الثالثة
قوله تعالى بقادر ادخال الباء على خبر ان وانما جاز
ذلك لدخول حرف النفي على ان وما يتعلق بها وكانه
قيل أليس الله بقادر قال الزجاج لو قلت ما ظننت
ان زيدا بقائم جاز ولا يجوز ظننت ان زيدا بقائم والله اعلم
المسئلة الرابعة يقال عييت بالامر اذا لم تعرف
وجهه ومنه افعيينا بالخلق الاول واعلم
انه تعالى لما اقام الدليل على صحة القول بالحشر والنشر
ذكر بعض احوال الكفار فقال ويوم يعرض الذين كفروا
على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون فقوله أليس هذا بالحق التقدير يقال
لهم أليس هذا بالحق والمقصود التهكم بهم والتوبيخ على
استهزائهم بوعد الله تعالى ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين
قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا
ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون
اعلم انه تعالى لما قرر المطالب الثلاثة وهي التوحيد
والنبوة والمعاد واجاب عن الشبهات اردفه
بما يجري مجرى الوعظ والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم
وذلك لان الكفار كانوا يؤذونه ويوحشون
صدره فقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم اي اولوا
الجد والصبر والثبات وفي الآية قولان الاول
ان كلمة من للتبعيض ويراد باولي العزم بعض الانبياء
وقيل هم نوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه
حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح الولد واسحق
على الذبح ويعقوب على فقدان الولد وذهاب
البصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على
الضر وموسى قال قومه انا لمدركون قال كلا
ان معي ربي سيهدين وداود بكى على زلته اربعين سنة
وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها
ولا تعمروها وقال الله في آدم ولم نجد له عزما وفي
يونس ولا تكن كصاحب الحوت ٥ والقول الثاني
ان كل الرسل اولوا العزم ولم يبعث الله رسولا الا كان ذا
عزم وحزم ورأي وكمال عقل ولفظة من في قوله
من الرسل تبيين لا تبعيض كما يقال اكسية من الخز
فكأنه قال اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم
ووصفهم بالعزم لصبرهم وثباتهم قال ولا تستعجل
لهم بالعذاب قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ضجر من
قومه بعض الضجر واحب ان ينزل الله العذاب بمن ابى من قومه
فامر بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر ان ذلك العذاب بهم يستقصرون

مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار والمعنى
انهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا
والبرزخ كانه ساعة من النهار او كان لم يكن لهول
ما عاينوا ولان الشيء اذا مضى صار كانه لم يكن
وان كان طويلا قال الشاعر
كان شيئا لم يكن اذا مضى كان شيئا لم يكن اذا اتى
واعلم انه تم الكلام ههنا ثم قال بلاغ اي
هذا بلاغ ونظيره قوله تعالى هذا بلاغ للناس اي
هذا الذي وعظتم به فيه كفاية في الموعظة او هذا
تبليغ من الرسول فهل يهلك الا القوم الفاسقون الا
الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه والله اعلم
قال المصنف رحمه الله تم تفسير هذه السورة
يوم الاربعاء الخامس من ذي الحجة سنة ثلث وستمائة

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

مدنية وهي ثمان او تسع وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم اول
هذه السورة مناسب لاخر السورة المتقدمة فان اخرها
قوله تعالى فهل يهلك الا القوم الفاسقون فان قال
قائل كيف يهلك الفاسق وله اعمال صالحة كاطعام الطعام
وصلة الارحام وغير ذلك مما لا يخلو عنه الانسان في طول
عمره فيقول في اهلاكه اهدار عمله وقد قال تعالى فمن

يعمل

يعمل مثقال ذرة خيرا يره فقال تعالى الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله اضل اعمالهم اي لم يبق لهم عمل ولم يوجد
ولا يمنع الاهلاك وسنبين كيف ابطال الاعمال مع
تحقيق العدل انشاء الله وتعالى الله عن الظلم وفي التفسير
مسائل المسئلة الاولى من المراد بقوله الذين
كفروا قلنا فيه وجوه الاول هم الذين
كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم ابو جهل والحرث
ابنا هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم
الثاني كفار قريش الثالث اهل
الكتاب الرابع هو عام يدخل فيه كل كافر
المسئلة الثانية في صدوا وجهان احدهما صدوا
انفسهم معناه انهم صدوا انفسهم عن السبيل ومنعوا
عقولهم من اتباع الدليل وثانيهما صدوا غيرهم
ومنعوهم كما قال تعالى عن المستضعفين
قال الذين استضعفوا للذين استكبروا
لولا انتم لكنا مؤمنين وعلى هذا فيه بحث وهو ان
اضلال الاعمال مرتب على الكفر والصد والمستضعفين
لم يصدوا فلا يضل اعمالهم فنقول التخصيص بالذكر لا يدل
على نفي ما عداه ولا سيما اذا كان المذكور اولى بالذكر
من غيره وههنا الكافر الصاد ادخل في الفساد فهو اولى
بالذكر من غيره وههنا وجه اخر وهو ان نقول كل من كفر صار صادا
لغيره اما المستكبر فظاهر واما المستضعف فلانه يجعل
ما فعله مسوغا يتبع عليه ان يصير تابعا ولان كل من كفر
صار صادا لمن بعده لان عادة الكفار اتباع المتقدم كما قال
عنهم انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون ومقتدون
فان قيل فعلى هذا كل كافر صاد فالفائدة في ذكر الصد

بعد الكفر تقول هو من باب ذكر السبب وعطف المسبب
عليه تقول اكلت هو من باب ذكر السبب وعطف
المسبب عليه تقول اكلت كثيرا وشبعت والكفر
على هذا سبب الصد اذا قلنا بان المراد منه انهم صدوا
انفسهم فانه اساءه الى ارتياح الانفس من الوطن كان
داعيا الى الايمان والامتناع لمانع وهو الصد لنفسه
المسئلة الثالثة في المصدود عنه وجوه الاول عن
الانفاق على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه والثاني عن
الجهاد والثالث عن الايمان والرابع عن كل ما فيه
طاعة الله وهو اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان
النبي صلى الله عليه وسلم كان على الصراط المستقيم هاديا به
وهو صراط الله قال الله تعالى وانك لتهدي الى
صراط مستقيم فمن منع من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
منع وصد عن سبيل الله المسئلة الرابعة في
الاضلال وجوه الاول المراد منه الابطال وتحقيقه
هو ان المراد انه اضله بحيث لا يجده الطالب والطالب
انما يطلب في الوجود وما لا يوجد في الوجود فهو معدوم
فان قيل كيف يبطل الله حسنة اوجدها نقول ان
الابطال على وجوه احدها يوازن سيئاتهم الحسنات
التي صدرت منهم ويسقطها بالموازنة ويبقى لهم
سيئات محضة لان الكفر يزيد على عمل الايمان من الحسنات
والايمان يترجح على عمل الكفر من السيئات وثانيها ابطلها لفقد
شرط ثبوتها وابقائها وهو الايمان لانه شرط قبول
العمل قال الله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مؤمن وثالثها لم يتقبل الله العمل لا يكون له وجود لان
العمل لا بقاء له في نفسه بل هو يعدم عقيب ما يوجد في الحقيقة

غير ان الله تعالى بكرمه يعد بفضله ارزاقا ما عمل صالحا
وعدى جزاؤه فيبقى حكما وهو البقاء حكما خير من البقاء
الذي للاجسام والتي هي محل الاعمال حقيقة بان فان
الاجسام وان بقيت غيرها لها الا الفناء والعمل
الصالح من الباقيات عند الله ابدا واذا ثبت هذا فنقول
ان الله بالقبول متفضل وفي اخره اني لا اقبل
الا موسى فمن عمل ونحو من غير شرط الايمان فهو المضيع
نعمة الا الله تعالى او بالغير لم يعمل الكافر عمله لوجه
الله تعالى فلم يات بخير ولا يرد علينا قوله فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره وبيانه هو ان العمل لا يتميز الا بمن له
العمل لا بالعامل ولا بنفس العمل وذلك لان من
قام لغيره شخصا ولم يتفق بما قال ليكرمه ولم يتفق
الاكرام ولا الفعل واخبره عن نفسه انه قام
اليوم الفلاني لفعله وفي اليوم الاخر لاكرامه يتميز القيامين
لا بالنظر الى القيام فانه واحد ولا بالنظر الى القائم
فانه حقيقة واحدة وانما يتميز بما كان لاجله القيام وكذلك
من قام وقصد بقيامه اكرام الملك وقام وقصد بقيامه
اكرام بعض العوام يتميز احدهما عن الاخر بما له العمل لكن
انتسبا لله الكريم الى الاجسام فوق نسبة الملك الى العوام
فالعمل للاصنام ليس خيرا مفردا واحدا لعمله وجه الله ومع
ذلك يعتقد الاوثان لا يكون عمله خيرا لان مثل الذي اتى
به لوجه الله اتى به للصنم المنحوت فلا يعظم الواحد
الثاني الاضلال هو جعل مستهلكا وحقيقته هو انه اذا اهدر الى
الاحجار والاخشاب بالسجود والركوع فلم يبق لنفسه حرمة
فعمله لا يبقى معتبرا بسبب كفره وهذا كثير عند الحادين

والناس اذا دام السلطان لا يعلم قيامه بقطعها لحسبه ذلك
الكافر واما المومن فهو مقدر بما يتكبر على غير الله بعظمه
بعظمة الله لله الملك الذى لا ينقاد لاحد اذا انقاد في وقت
لملك من الملوك سريه (?) عظمته الرحمة الثالثة اضله
اى اهمله وتركه كما تقال اضل بعيره اذا تركه (?) مسيبا فضيع
ثم ان الله تعالى لما بين حال الكفار بين حال المومنين فقال
والذين امنوا وعملوا الصلحات وامنوا بما نزل على محمد وهو
الحق من ربهم كفر عنهم سياتهم وفيه مسايل

المسيلة الاولى

قد ذكرنا مرارا ان الله تعالى كلما
ذكر الايمان والعمل الصالح رتب عليهما المغفرة والاجر كما قال تعالى
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم
وقال والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن
عنهم سياتهم ولنجزينهم وذلك لان المغفرة ثواب
الايمان والاجر على العمل الصالح واستوفينا البحث فيه
في سورة العنكبوت ونقول ههنا جزاء ذلك وقوله
كفر عنهم سياتهم اشارة الى ما على الايمان وقوله واصلح
بالهم اشارة الى ما على العمل الصالح

المسيلة الثانية

قالت المعتزلة تكفير السيات مرتب على الايمان والعمل
الصالح فمن امن ولم يعمل الصالحات يبقى في العذاب
خالدا فنقول لو كان كما ذكرتم لكان الاضلال مرتبا
على الكفر والصد فمن يكفر لا ينبغي ان يضل اعماله او نقول
قد ذكرنا ان الله تعالى رتب امرين على امرين فهو اضل
عمله ومن عمل صالحا كفر عنه سياته واصلح باله او نقول
اى مومن يتصور غير آت بالصالحات بحيث لا يصدر
عنه صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا اطعام وعلى هذا

اذا

فقوله وعملوا عطف المسبب على السبب كما قلنا في قول القايل
اكلت كثيرا وشبعت

المسيلة الثالثة

قوله
وامنوا بما نزل على محمد مع ان قوله امنوا وعملوا الصالحات افاد
هذا المعنى فما الحكمة فيه فكيف وجهه فنقول
اما وجهه فبيانه من وجوه الاول قوله والذين
امنوا اى بالله ورسوله واليوم الاخر وقوله وامنوا
بما نزل لتخصيص (?) الاشياء الواردة في كلام الله ورسوله
تعميم بعد امور خاصة وهو حسن تقول خلق الله
السموات والارض وكل شى اما على معنى وكل شى
غير ما ذكرنا واما على العموم بعد ذكر الخصوص
الثاني ان يكون المعنى امنوا وامنوا من قبل بما نزل
على محمد وهو المعجزات الفارق بين الكاذب والصادق
يعنى امنوا اولا بالمعجزات وايقنوا ان القران
لا يكون الا من عند الله فامنوا وعملوا الصالحات والواو
لمطلق الجمع يجوز ان يكون المتاخر ذكرا متقدما
وقوعا وهذا كقول القايل امن به وكان
الايمان به واجبا او يكون بيانا لايمانهم كانه قال
امنوا وامنوا بالحق كما يقول القايل خرج وخرج
مسرعا اى وكان خروجه جدا حيث يقول مرضنا (?)
او نقول هذا ولا ما قال امنوا بين ان ايمانهم
كان بما امر الله وانزل الله لا بما كان باطلا من عند
غير الله الثالث ما قاله اهل المعرفة وهو ان العلم
العملي والعمل العلمي فالعلم يحصل ليعمل به فاذا عمل العالم العمل
الصالح علم ما لم يكن يعلم فيعلم الانسان مثلا قدرة الله بالدليل
ويعمله وامره فيحمله الامر على الفعل ويحمله عمله فعمله بحاله

وقد زمر عمل بواعثه وعقابه فاذا اتى بالعمل الصالح على
من انواع معرفة ذات الله تعالى ومعلومات الله ما لم
يعلمه احد الا الفاتح الله عليه وكشفه ذلك فهو من
هذا هو المعنى فى قوله تعالى هو الذى انزل السكينة
فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فاذا امر
المكلف بحق لم يرتو بالمعجز انزل السكينة فى قلوب
المؤمنين وعمل صالحا حمله علمه على ان يوسى بكل ما
قال محمد ولم يجد فى نفسه شكا والمؤمن فى
المرتبة الاولى احوال وفى المرتبة الاخرى احوال اما فى الايمان
بالله ففى الاولى يجعل الله معبودا وقد يقصد غيره
فى حوائجه فيطلب الرزق من زيد وعمرو ويجعل امر اسبابا
لامره وفى الاخرى يجعل الله مقصودا ولا يقصد غيره
ولا يرى الا منه شره وخيره فلا ينسب الى شيء فى شيء
هذا هو الايمان الاخر بالله وكذلك الايمان الاول
وايمانه بالنبى صلى الله عليه وسلم فيقول اولا هو
صادق فيما ينطق ويقول اخرى لا ينطق له الا بالله ولا
كلام يسمع منه الا وهو من الله فهو فى الاول يقول بالصدق
ووقوعه منه وفى الثانى يقول بعدم امكان الكذب
منه لانه حاكى كلام الغير لا ينسب اليه الكذب ولا يمكن
الا فى نفس الحكاية وقد علم هو انه حاك عنه فكذا واما
فى المرتبة الاولى فيعقل الحشر مستقبلا والحشر الحاصلة
حالا وفى المرتبة الاخرى يجعل الحشر حالا والحشر
الدنيا ماضيا فيقيم حاله نفسه فى كل لحظة ويجعل الدنيا
كلها عدما لا يلتفت اليها ولا يعمل عليها المسئلة الرابعة
قوله وامنوا بما نزل على محمد وهو فى معاملة قوله فى حق كافر

وصدوا

وصدوا لانا بينا فى وجه ان المراد بهم صدوا عن اتباع
محمد صلى الله عليه وسلم وهذا حث على اتباع محمد صلى الله
عليه وسلم لهم صدوا انفسهم عن سبيل الله وهو
محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه وهؤلاء حثوا
انفسهم على اتباع سبيله لاجرم حصل لهؤلاء ضد
ما حصل لاولئك فاضل الله حسنات اولئك وستر
على سيئات هؤلاء فى المسئلة الخامسة وهو
الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم هل
يمكن ان يكون من ربهم وصفا للرجل فارقا كما يقال
رأيت رجلا من بغداد فيصير وصفا للرجل فارقا بينه وبين
من يكون من الموصل وغيره لا لان كل ما كان من الله
فهو الحق فليس هذا هو الحق من ربهم بل قوله من ربهم خبر بعد
خبر كانه قال وهو الحق وهو من ربهم او ان كان
وصفا فارقا فهو على معنى انه الحق النازل من ربهم لان الحق
قد يكون مشاهدا فان كون الشمس مضيئة حق وهو
ليس بالازل من الرب بل هو علم حاصل بطريق يسره الله تعالى
لنا ثم قال تعالى كفر عنهم سيئاتهم اى سترها
وفيه اشارة الى بشارة فانه يحصل بقوله اعدها ومحاها
لان محو الشيء لا ينبئ عن اثبات امر اخر مكانه واما
الستر فينبئ عنه وذلك لان من يريد ستر ثوب
بالية او وسخ لا يستره بمثله واما ستره بثوب نفيس بظن
ولا سيما الملك الجواد اذا ستر على عبد من عبيده ثوبه
البالى امر باحضار ثوب من الجنس العالى لا يحصل الا
بالثمن الغالى فليس هذا هو الستر لله وبين المحجوبين فهذا ك

المعصية فان المعصية والكفر من باب
واحد في المعنى وهذا هو المذكور في قوله تعالى فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله واصلح بالهم اشار
الى السيئة التي ذكرناه من انه يبدلها حسنة فان قيل
كيف تبدل حسنة نقول معناه انه يجزيه بعد سيئاته ما يجزي
المحسن على احسانه فان قيل ان الانسان ما في قوما داد بل زاد
بان الله تعالى الثواب على السيئة كما يثيب على الحسنة لكان
ذلك حاملا على السيئة نقول ما قلنا انه يثيب على السيئة
وانما قلنا انه يثيب بعد السيئة بما يثيب على الحسنة وذلك
حيث ان المومن يسيء ثم ينتبه ويندم ويقف بين
يدي ربه معترفا بذنبه مستحقرا لنفسه فيصير اقرب
الى الرحمة من الذي لم يذنب ودخل على ربه معجبا في نفسه
فصار الذنب شرطا للندم والثواب ليس على السيئة
وانما هو على الندم وكان الله تعالى قال عبدي
اذنب ورجع الى فعله سيئ لكن ظنه حسن حيث لم يجد
ملجأ غيري فاتكل على فضلي والظن عمل القلب والفعل
عمل البدن فاعتبار عمل القلب اولى الا ترى ان النائم
والمغمى عليه لا يلتفت الى الاعمال البدنية والمفلوج الذي
لا حراك له يتصدق عليه ومثال الروح والبدن
راكب دابة يركض فرسه بين يدي ملك يرفع عنه العدو
بسيفه وسنانه والفرس يلطخ ثوب الملك بركضه في اثنائه
فهل يلتفت الملك اليه مع فعل الفارس بل لو كان الفارس
والفرس يؤذي بالتلويث يخاطب الفارس بيده وكذلك الروح
راكب والبدن فرس والراكب والفرس لو بدان كانا الروح مشغولة

بعبادة الله وذكره ويصدر من البدن شيء لا يلتفت الله بل
يستحسن منه ذلك ويزاد في ترجمة الفرس الراكض
ويهجر الفرس الواقف وان كان غير مشغول فهو واحد
باتفاقنا الكذب ثم قال تعالى ذلك بان الذين كفروا
اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم اي
ذلك الاضلال والابطال بسبب اتباعهم الباطل وفيه
مسائل المسالة الاولى في الباطل وجوه الاول
ما لا يجوز وجوده وذلك لانهم اتبعوا الها غير الله وغير الله
محال الوجود وهو الباطل وغاية الباطل لان المعدوم
يقال بطل كما اي عدم والمعدوم الذي لا يجوز وجوده ولا
يمكن ان يوجد ولا يجوز ان يصير حقا موجودا فهو في غاية
البطلان فعلى هذا الحق هو الذي لا يمكن عدمه وهو الله تعالى
وذلك لان الحق هو الموجود تعالى هو الامر الذي يجدد وبه
والموجود الذي لا يجوز عدمه وهو في غاية الثبوت الثاني
الباطل هو الشيطان بدليل قوله تعالى لاملأن جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين فبين ان الشيطان متبوع وتابعه
هم الكفار والفجار وعلى هذا فالحق هو الله تعالى لانه
تعالى جعل في مقابلة حزب الشيطان حزب الله الثالث
الباطل هو قول كبرائهم ودين ابائهم كما قال تعالى
عنهم انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون ومقتدون
فعلى هذا الحق ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الله الرابع
الباطل كل ما سوى الله لان الهالك والباطل بمعنى واحد وكل
شيء هالك الا وجهه وعلى هذا فالحق هو الله تعالى ايضا المسالة
الثانية لو قال قائل من ... لا يلائم الا وجهاد الا لاجل الاخوة

وهو قولنا المراد من الحق هو ما اتى الله وما قال النبي
صلى الله عليه وسلم من الله فاما على قولنا الحق هو الله فيصح قوله
اتبعوا الحق من ربهم يقول على هذا من ربهم لا يكون متعلقا
بالحق وانما يكون تعلقه بقوله تعالى اتبعوا اي اتبعوا امر ربهم
اي من فضل الله اي هداهم ربهم فاتبعوا الحق وهو الله سبحانه ○
المسئلة الثالثة اذا كان الباطل هو العدم الذي لا
يجوز ان يكون كيف يمكن اتباعه نقول لما كانوا يقولون ما لا يفعلون
ويقولون للاصنام وهي الجمادات هي الهة وهي ما خلقهم كانوا
متبعين في دعوتهم ولا متبع هناك المسئلة الرابعة قال في
حق المؤمنين اتبعوا الحق من ربهم وقال في حق الكفار
اتبعوا الباطل من الهتهم او الشيطان نقول اما
الهتهم فلانهم لا كلام لهم ولا عقل وحيث ينطقهم الله
ينكرون فعلهم كما قال تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم
وقال تعالى وكانوا بعبادتهم كافرين والله رضي بفعلهم
عليه ويحتمل ان يقال قوله ربهم عائدا الى الامرين
جميعا اي من ربهم اتبع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق
اي من حكم ربهم ومن عند ربهم قال تعالى كذلك يضرب الله
للناس امثالهم وفيه ايضا مسايل المسئلة الاولى
اي مثل مثل ضربه الله تعالى حتى يقول كذلك يضرب الله
للناس امثالهم نقول فيه وجهان احدهما اضلال
اعمال الكفار وتكفير سيئات الابرار البال كون
الكافر متبعا للباطل وكون المؤمن متبعا للحق ويحتمل وجهين آخرين احدهما
على قولنا من ربهم اي من عند ربهم اتبع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق نقول
هذا امثال مثل ضرب الله عليه جميع الامثال فان الكل من عند الله الاضلال
وغيره والاتباع وغيره وثانيهما هو ان الله تعالى لما بين ان الكافر

يضرب عليه

يضل الله عمله والمؤمن يغفر الله سيئاته وكان بين الكفر
والايمان مباينة ظاهرة فانهما ضدان نبه على ان السبب اي ليس
الاضلال والتكفير بسبب المضادة والاختلاف بل بسبب
اتباع الحق والباطل واذا علم السبب فالفعلان قد يتحدان
صورة وحقيقة واحدهما يوجب ابطال الاعمال والاخر يوجب
تكفير السيئات بسبب ان احدهما يكون اتباع الحق والاخر
اتباع الباطل فان من يؤمن ظاهرا وقلبه مملوء من الكفر
ومن يؤمن وقلبه مملوء بالايمان اتحد فعلاهما في الظاهر وهما
مختلفان بسبب اتباع الحق واتباع الباطل لا بل الامر على
ذلك فان من يؤمن ظاهرا وهو يسر الكفر مصر عليه ومن يكفر ظاهرا
للاكراه وقلبه مطمئن بالايمان اختلف الفعلان في
الظاهر وابطال الاعمال لم يرتبط الايمان بسبب ان اتباع الباطل
من جانبه وكان تعالى لما ذكر الكفر والايمان وصلا نسب
فيهما جيبان وعلم سببه وهو اتباع الحق والباطل وكذلك اعلموا
ان كل شيء اتبع الحق كان مقبولا مثابا عليه وكل شيء اتبع فيه
الباطل كان مردودا ومعاقبا عليه فصار هذا عاما في الامثال
مثالا فقوله وقوله كذلك لا يستدعي ان يكون هناك مثل مضروب
بل معناه انه تعالى لما بين حال الكافر واضلال عمله وحال
المؤمن وتكفير سيئاته وبين السبب فيهما كان ذلك غاية الايضاح
فقال كذلك اي مثل هذا البيان يضرب الله للناس امثالهم
ويبين احوالهم المسئلة الثانية الضمير في قوله امثالهم
عائد الى من فيه وجهان احدهما الى الناس فيه وجهان
قال تعالى كذلك يضرب الله للناس امثالهم اي امثال انفسهم
وثانيهما الى الفريقين السابقين في الذكر معناه يضرب الله

الناس امثال الفريقين السابقين ثم قال تعالى
فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب وفيه مسايل **المسله الاولى**
الفا في قوله فاذا لقيتم تستدعي متعلقا تتعلق به وتترتب
عليه فما وجه التعلق بما قبله نقول هو من وجوه
الاول لما بين ان الذين كفروا اضل الله اعمالهم واعتبار
الانسان بالعمل ومن لم يكن له عمل هو همج فان صار
مع ذلك يؤذي حسن اعدامه فاذا لقيتم بعد ظهور ان
لا حرمة لهم بعد ابطال اعمالهم فاضربوا اعناقهم الثاني
اذا تبين تباين الفريقين وتباعد الطريقين وان احدهما
يتبع الباطل وهو حزب الشيطان والاخر يتبع الحق
وهو حزب الرحمن حق القتال عند التحزب فاذا لقيتموهم
فاقتلوهم الثالث ان من الناس من يقول لضعف
قلبه وقصور نظره الايلام الحيوان من الظلم والطغيان ولا سيما
القتل الذي هو تخريب بنيان فقال تعالى ردا عليهم لما بان
اعتبار الاعمال باتباع الحق والباطل من يقتله في سبيل الله
لعظمة الله لهم من الاجر ما للمصلي والصايم فاذا لقيتم الذين
كفروا انما فاقتلوهم ولا تاخذكم بهما رافة فان ذلك اتباع
والاعتبار به لا بصورة الفعل **المسله الثانيه**
ضرب منصوب على المصدر اي فاضربوا الرقاب **المسله الثالثه**
ما الحكمة في اختيار ضرب الرقبة على غيرها من الاعضا
فيه لما بين ان المؤمن ليس بدافع دفاعا
هو دافع وذلك لان الدافع ينبغي ان لا يقصد اولا
مقتله بل يتدرج ويضرب على غير المقتل فان
اندفع فذاك ولا يرتقي الى درجة الاهلاك فقال تعالى
ليس المقصود الا دفعهم عن وجه الارض وتطهير الارض منهم

وكيف لا والارض لكم مسجد وطهور والمشركون نجس والمسجد
تطهر عن النجس فاذا ينبغي ان يكون قصدكم اولا الى قتلهم بخلاف
دفع الصايل والرقبة اظهر المقاتل لان قطع الحلقوم والاوداج
مستلزم للموت لكن في الحرب لا يتهيا ذلك والرقبة ظاهرة في الحرب
ففي ضربها حز العنق وهو مستلزم للموت بخلاف ساير المواضع
ولا سيما في الحرب وفي قوله لقيتم ما ينبي عن مخالفتهم الصايل
لان قوله لقيتم يدل على ان القصد من جانبهم بخلاف قولنا لقيتكم
ولذلك قال في غير هذا الموضع فاقتلوهم حيث ثقفتموهم
المسله الرابعه قال هاهنا ضرب الرقاب باظهار الفعل
وترك المصدر في بعض الصور فنقول صدور الفعل من الفاعل
ويتبعه المصدر ضمنا اذ لا يمكن ان يفعل فاعل الا ويقع منه
المصدر في الوجود وقد يكون المقصود اولا المصدر ولكنه
لا يوجد الا من فاعل فيطلب منه ان يفعل مثاله من قال لمن حلف
ان اخرج عن المدينة فقال له اخرج صار المقصود منه صدور الفعل
منه والخروج في نفسه غير مقصود الا تبعا ولو امكن ان يخرج من
غير تحقق الخروج منه لما كان عليه الا ان يخرج لكن من ضرورات الخروج
ان يخرج فاذا قال فاما صاحب الممكن بسبب الاعدا فقال
سلا الخروج يعني الخروج فاخرج فان الخروج هو المطلوب
حتى لو امكن الخروج من غير فعل لحصل الغرض لكنه محال فيتبعه الفعل
اذا عرفت هذا فنقول في الافعال الحلية عن الحرب الكاينة
وهم كانوا فيها والملامة ارلوا الصلح وفي حرم صف القتال
وصدور الفعل منه مطلوب وها هنا الامر وارد وليس فيه
القتال بدليل قوله تعالى فاذا لقيتم والمقصود ثبات يكون المصدر واردا
مطلوبا لتقدم المامور على الفعل قال فضرب الرقاب وههنا
ليس فائدة اخرى وهي ان الله تعالى قال فضرب الرقاب وهاهنا
وذلك لان الوقت وقت القتال فارشدهم الى الفعل وعين ان

لم يقصدوا القتل وههنا لم يوجد السبب فبين ان المقصود
القتل وغرض المسلم ذلك **المسألة الخامسة** حتى لبيان
غاية الامر لا لبيان غاية القتل حتى اذا اثخنتموهم ولا
يبقى الامر بالقتل ويبقى الجواز ولو كان لبيان القتل
لما جاز القتل والقتل جائز اذا التحق المثخن بالشيخ
الهرم والمراد كما اذا قطعت يده او رجلاه فنهى عن قتله ثم قال
فشدوا الوثاق امر ارشاد ثم قال فاما منا بعد واما
فداء وفيه مسائل **المسألة الاولى** اما واما للحصر
وحال المقاتل بعد الاسر غير منحصر في الامرين بل يجوز القتل
والاسترقاق والمن والفدا نقول هذا ارشاد
فذكر الامر العام الجائز في سائر الاجناس والاسترقاق
غير جائز في اسر العرب وكان النبي صلى الله عليه وسلم
كان معهم فلم يذكر الاسترقاق واما القتل فلان الظاهر في
المثخن الازمان ولان القتل ذكر من قبله فضرب الرقاب فلم يبق
الا الامران **المسألة الثانية** منا وفدا منصوبان
لكونهما مصدرين تقديره فاما تمنون منا واما تفدون
فدا وتقديم المن على الفدا اشارة الى ترجيح حرمة النفس
على طلب المال والفدا يجوز ان يكون مما لا يجوز ان يكون
غيره من الاسرى او شرط يشرط عليهم او عليه وحده
المسألة الثالثة اذا قدرنا ان الفعل وهو تمنون او تفدون
على تقدير المفعول حتى يقول اما تمنون عليهم منا او تفدونهم فدا
نقول لا لان المقصود المن والفدا لا عليهم ويصح كقول
القائل فلان يعطي ويمنع ولا يقال يعطي زيدا ويمنع عمرا
لان غرضه ذكر كونه فاعلا لا بيان المفعول وكذلك المقصود
ارشاد المؤمنين الى الفضل ثم قال حتى تضع الحرب اوزارها وفي
تعلق حتى وجهان احدهما تعلقها بالقتل اي اقتلوهم حتى تضع

وثانيهما

وثانيهما بالمن والفدا ويحتمل ان يقال متعلقة بشدوا
الوثاق وتعلقها بالقتل اظهر وان كان ذلك ابعد وفي الاوزار
وجهان احدهما السلاح والثاني الآثام وفيه
مسائل **المسألة الاولى** اذا كان المراد الاثم فكيف تضع الحرب
الاثم والاثم على المحارب ولكن لذا السؤال في السلاح
لانه على الاول لا اسناد يتوجه فنقول تضع الحرب
الاوزار لا من نفسها بل تضع الاوزار التي على المحاربين
والسلاح الذي عليهم **المسألة الثانية** هل هذا كقوله تعالى
وسل القرية حتى يكون كانه قال حتى تضع امة الحرب
او فرقة الحرب اوزارها نقول ذلك محتمل في النظر الاول
لكن اذا امعنت المعنى تجد بينهما فرقا وذلك لان المقصود من
قوله حتى تضع الحرب اوزارها انقراض الحرب بالكلية حتى
لا يبقى في الدنيا حزب من احزاب الكفار يحارب حزبا من احزاب
الاسلام ولو قلنا حتى تضع امة الحرب جاز ان يضعوا الاسلحة
ويتركوا الحرب وهي باقية بمادتها كما تقول خصومتي ما انقضت
معناه ان الخصم لم يبق **المسألة الثالثة** لو قال حتى لا يبقى
حرب او يضعوا الحرب حتى يحصل معنى قوله حتى تضع الحرب
اوزارها نقول لا والتفاوت بين العبارتين مع قطع النظر
عن النظم بل النظر الى نفس المعنى كالتفاوت بين قولك
انقرضت دولة بني امية وقولك لم يبق من دولتهم اثر
ولا شك ان الثاني ابلغ فكذلك ههنا قوله تعالى
معناه اما [illegible] فان اوزار الحرب من آثارها **المسألة الرابعة**
من وضع اوزار الحرب متى يكون نقول فيه اقوال حاصلها
راجع الى ان المراد بالوقت هو الوقت الذي لا يبقى فيه حزب من احزاب

زار

الإسلام وحزب من أحزاب الكفر وقيل ذلك عند قتال
الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ثم قال تعالى ذلك ولو
يشاء الله لانتصر منهم في معنى ذلك وجهان أحدهما
الأمر ذلك والمبتدأ محذوف ويحتمل أن يقال ذلك
واجب أو مقدم كما يقول القائل إن فعلت فذاك أي
فذاك مقصود ومطلوب ثم بين تعالى أنه ليس طريقا متعينا
بل الله لو أراد أهلكهم من غير جند ولكن ليبلو بعضكم
ببعض أي ولكن ليكلفكم به فيحصل لكم شرف
باختياره إياكم لهذا الأمر فإن قيل ما التحقيق في
قولنا التكليف ابتلاء وامتحان والله يعلم السر
وأخفى وماذا أنهم من قوله ولكن ليبلو بعضكم ببعض نقول
فيه وجوه الأول أن المراد منه يفعل ذلك
فعل المبتلي أي كما يقول المسلم المحير ومنها أن الله تعالى
يبلو ليظهر الأمر لغيره إما الملائكة وإما للناس والتحقيق
هو أن الابتلاء والامتحان والاجتناء فعل يظهر
بسببه أمر غير متعين عند العقلاء بالنظر إليه قصد إلى
ظهوره وقولنا فعل يظهر بسببه أمر احترازا عن الدخول
في مفهوم الابتلاء لأن ما لا يظهر بسببه شيء أصلا
لا يسمى ابتلاء وأما قولنا أمر غير متعين عند العقلاء وذلك
لأن من يضرب بسيفه على البطيخ والخيار لا يقال إنه يمتحن
لأن الأمر الذي يظهر منه متعين وهو القطع والقد فإذا
وإذا ضرب بسيفه سيفا يقال يمتحن بسيفه لأن
الأمر فيه غير متعين وقد يقطع وقد لا يقطع وأما قولنا
ليظهر منه ذلك فلأن من يضرب سيفا بسيفه لا لقصد غير

غير

نفسه

نفسه لا يقال إنه يمتحن لأن ضربه ليس بأمر متعين إذا علم
هذا فنقول الله تعالى إذا أمرنا بفعل
يظهر بسببه أمر غير متعين وهو إما الطاعة وإما المعصية
في العقول ليظهر ذلك فما يكون ممتحنا وإن كان
عالما به لكون ظهور الفعل منا ربما كان قبيحا لابتلاء فإذا
ابتلينا وعدم العلم فينا مسمى ابتلاء وليس من ضرورات
الابتلاء عدم العلم فإن قيل فالابتلاء فائدته حصول العلم
عند المبتلي فإذا كان الله عالما فأي فائدة فيه نقول
ليس هذا سؤالا يختص بالابتلاء فإن يقول
القائل لم ابتلى كقوله لم عاقب الكفار
وهو مستغن ولم خلق النار محرقة وهو قادر على
أن يخلقها بحيث ينفع ولا يضر وجوابه لا يسأل
عما يفعل ونقول حينئذ ما قاله المتقدمون إنه ليظهور
الأمر المتعين لأن له وبعد هذا نقول المسلم لا حاجة
له إلى الأمر الذي يظهر الابتلاء فإن المسلم السيف
بعد ذلك شاهده من الصوفية لا حاجة له إلى القطع مما جرب
السيف فيه حتى أنه لو كان محتاجا كما ضربنا
من مثال دفع السبع بالسيف لا يقال يمتحن وقوله
ليبلو بعضكم ببعض إشارة إلى عدم الحاجة تقريرا لقوله
ولو يشاء الله لانتصر منهم ثم قال تعالى والذين قتلوا
في سبيل الله فلن يضل أعمالهم وقرئ قتلوا وقاتلوا
والكل مناسب لما تقدم أما من قرأ قتلوا فلأنه
لما قال فضرب الرقاب وبعد ذلك قتلوهم بين ما للقاتل
بقوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم
ردا على من زعم أن القتل فساد محرم إذ هو إفساد

فقال عملهم ليس بحسنة لكافر يبطل بل هو فوق
حسنات الكفار اضل الله اعمال الكفار ولن يضل العاملين
فكيف يكون للمقتول سيئة واما من قرأ وقاتلوا فهو اخر قائل
واعم شأنا لانه يدخل فيه من سعى في القتال سواء قتل ولم
يقتل واما من قرأ والذين قتلوا على البناء للمفعول فيقول
هي مناسبة لما تقدم من وجوه احدها انه تعالى
لما قال فضرب الرقاب اي اقتلوا والقتل لا يتأتى
الا بالاقدام وخوف ان يقوم المقدم من الاقدام فقال
لا تخافوا القتل فان من يقتل في سبيل الله له من الاجر
والثواب ما لا يمنع العاقل من القتال بل يحثه عليه وثانيها
هو انه تعالى لما قال ليبلو بعضكم ببعض والمبتلى
بالشيء له على كل وجه من وجوه الاثر الظاهر بالابتلاء
حال من الاحوال فان السيف الممتحن يرد ثمنه على
تقدير ان يقطع وينقص على تقدير ان لا يقطع فقال
المستكين ما ذا اقبال ان قتل فله ان لا يضل عمله
ويهدي ويكرم ويدخل الجنة واما ان يقتل ولا يخفى
امره عاجلا واجلا وهو ما به على تقدير قوله فقتلوا له
وثالثها هو انه تعالى لما قال ليبلوكم ولا يبلي النفس بما
يخاف منه هلاكه فان السيف المهند القصب
الكثير العمد لا يجرب بالشيء الصلب الذي يخاف عليه
منه الانكسار ولكن الادمي مكرم كرمه الله تعالى
وشرفه وعظمه بما عرفه ابتلاه بالقتال وهو يفضي
الى القتل والهلاك الصاعر بادر وكيف يحسن
هذا الابتلاء فقال ليس القتل ليس باهلاك بالنسبة
الى المؤمن فانه يورث الحياة الابدي فابتلاه

بالقتال

بالقتال وهو على تقدير ان يقتل مكرم وعلى تقدير
ان لا يقتل مكرم هذا ان قيل اوليس قاتل
فالموت لا بد منه وهو موت على نفسه الاجر الكثير
والخير الكثير واما قوله تعالى فلن يضل اعمالهم
قد علم معنى الاضلال الا ان الفرق بين العبارتين في حق
الكافر والصادق فقال اضل وقال في حق
المؤمنين للداعي لن يضل لان المقاتل داعي الى الايمان
لان قوله حتى تضع الحرب اوزارها قد ذكر ان معناه
حتى لم يبق ان يتسبب حرب وذلك بحيث يسلم الكافر
لقاتل يقول له أن يسلم واما القتيل فهو داع
والكافر صاد وبينهما تناسب وتصادف وفي حق
الكافر بصيغة الماضي ولم يقل ما اضل اشارة الى
ان عمله كلما اتى عليه اتت له فلن يضل للتأكيد
وبينهما غاية الخلاف بين الداعي والصاد غاية التباين
والتضاد في قوله فلن يضل حوابه لان قوله تعالى
والذين قتلوا معنى الشرط وقوله تعالى سيهديهم ويصلح
ان قرئ قتلوا او قاتلوا فالهداية محمولة على الاجلة
والعاجلة وان قرئ قتلوا فهي في الاخرة سيهديهم
طريق الجنة من غير وقفة من قبورهم الى موضع حبورهم
وقوله ويصلح بالهم قد تقدم تفسيره في قوله تعالى
اصلح بالهم والماضي في المستقبل راجع الى ال
هنالك وعدهم وما وعدهم بسبب الايمان والعمل
الصالح وذلك كان واقعا منهم فاخبر عن الجزاء
بصيغة تدل على الوقوع وهاهنا وعدهم بسبب القتل
والقتال وكان في اللفظ ما يدل على الاستقبال لان

قوله تعالى فاذا لقيتم يدل على الاستقبال فقال يصلح
بالهم ثم قال تعالى ويدخلهم الجنة وكان الله تعالى
يهديهم عند حشرهم الى طريق الجنة ويلبسهم في الطريق
خلع الكرامة وهو اصلاح البال وبعد دخول الجنة فهو على
ترتيب الوقوع واما عرفها لهم فيه وجوه احدها هو ان كل احد
يعرف منزله ومأواه حتى ان اهل الجنة يكونون اعرف بمنازلهم
فيها من اهل الجمعة ينتشرون في الارض كل واحد يأوي
الى منزله ومنهم من قال الملك الموكل باعماله يهديه
الوجه الثاني عرفها لهم اي طيبها يقال طعام معرف
اي طيب الوجه الثالث قال الزمخشري يحتمل
ان يقال عرفها لهم حددها من عرف الدار وارفها اي حددها
وتحديدها في قوله وجنة عرضها السموات والارض ويحتمل
ان يقال المراد هو قوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها
فنسب اليها معرفا لهم بانها هي لكم وفيه وجه اخر وهو
ان يقول معناه عرفها لهم قبل القتل فان الشهيد وقت
وفاته تعرض عليه منزلته في الجنة فيشتاق اليها ووجه
ثان معناه مدخلهم الجنة ولا حاجة الى وصفها لانه عرفها لهم
مرارا ووصفها ووجه ثالث وهو من تعريف الضالة
قال الله تعالى لما قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة فكان قائلا قال من يطلب الجنة ويأخذها
بماله او بنفسه فالذي قتل سمع التعريف وبذل ما طلب
منه عليها فادخلها ثم انه تعالى لما بين ما على القتال من
الثواب والاجر وعدهم بالنصر في الدنيا زيادة في الحث ليزداد
منهم الاقدام فقال يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم

وفي نصر الله تعالى وجوه الاول ان تنصروا دين الله
وطريقه والثاني ان تنصروا حزب الله وفريقه والثالث
المراد نصر الله حقيقة ولكن نقول النصر
تحقيق مطلوب احد المتعاديين عند الاجتهاد والاخذ في تحقيق
علامة فالشيطان عدو الله الشيطان يجتهد في
تحقيق الكفر وغلبة اهل الايمان والله يطلب قمع الكفر
واهلاك اهله وافناء من اختار الشرك بجهله فمن حقق
نصر الله حيث حقق مطلوبه لا نقول نصره فان مراد الله
لا يحققه غيره ومطلوبه عند اهل السنة غير مراد
فان له طلب الايمان من الكافر ولم يرد والا لوقع ثم قال
ينصركم فان قيل فعلى ما قلت اذا نصر الله المؤمن فقد
حقق ما طلبه فكيف يحقق العبد وهو شيء واحد نقول
المؤمن ينصر الله بخروجه الى القتال واقدامه والله ينصره
بقوته وتثبيت اقدامه وارسال الملائكة الحافظين له
من خلفه وقدامه ثم قال تعالى فتعسا لهم بيانا لان
في نصره قلبهم لانه تعالى لما قال ويثبت اقدامكم جاز ان
يتوهم ان الكافر ايضا يصبر ويثبت للقتال فيدوم القتال
والحرب والطعان والضراب وفيه المشقة العظيمة
فقال تعالى لكم الثبات ولهم الزوال والتغير والهلاك
فلا يكون القتال وسببه ظاهر لان الهتهم جمادات
لا قدرة لها ولا ثبات عند من له قدرة فهي غير صالحة
لدفع ما قدره الله تعالى عليهم من الدمار وعند هذا لا بد من
زوال الاقدام والعثار وقال في حق المؤمن ويثبت
بصيغة الاخبار من الله لا بالدعاء ثم واحد لان بعدم
النصر من الههم واحد الوقوع اذ لا قدرة لها والنصر من الله

ليس بواجب الوقوع لانه فاعل مختار يفعل ما يشاء
وقوله أضل أعمالهم اشارة الى ابطال محالفة مواهم
لقتل المسلمين حيث قال في حق قتلاهم فلن يضل
اعمالهم وقال في حق الكافرين اضل اعمالهم ثم بين تعالى
سبب ما اختلفوا فيه فقال ذلك بانهم كرهوا
ما انزل الله وهو في حق الاول المراد القرآن
ووجهه هو ان كيفية العمل لا تعلم بالعقل وانما تدرك
بالشرع والشرع بالقرآن فلما اعرضوا لم يعرفوا العمل الصالح
وكيفية الاتيان به فاتوا بالباطل فاحبط اعمالهم
الثاني هو ما انزل الله من بيان التوحيد قال الله تعالى
أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون وقال تعالى
اجعل الآلهة الها واحدا الى ان قال ان هذا الا اختلاق
وقال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب
الذين لا يؤمنون بالآخرة ووجهه ان الشرك محبط للعمل
قال الله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ونبيه
لان العمل من المشرك لا ينفع لوجه الله فلا يقع الا لنفسه
ولا يقع الا لسوى الله العمل لان كل ما سوى الله تعالى
هالك فيحبط الثالث هو ما انزل الله من بيان امر
الآخرة فلم يعملوا لها والدنيا وما فيها وما لها باطل
فاحبط الله اعمالهم وقوله افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة مناسبة للوجه الثالث يعني فينظروا
الى حالهم ويعلموا ان الدنيا فانية وقوله دمر الله عليهم اي
اهلك عليهم متاع الدنيا من الاموال والاولاد
والارواح والاجساد وقوله تعالى وللكافرين امثالها
يحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد لهم امثالها

الدنيا وحينئذ يكون المراد من الكافرين الكافرون بمحمد
صلى الله عليه وسلم وثانيهما ان يكون المراد لهم
امثالها في الآخرة فيكون المراد من تدميرهم كأنه
يقول دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة امثالها
وفي العائد اليه ضمير المؤنث في قوله امثالها وجهان
احدهما هو المذكور وهو العاقبة والثاني هو
المفهوم وهو العقوبة لان التدمير كان عقوبة لهم
فان قيل على قولك المراد للكافرين بمحمد صلى الله
عليه وسلم امثال ما تقدم كان لمن تقدمهم من العاقبة
يرد سؤال وهو ان الاولين اهلكوا بوقائع شديدة
كالزلازل والنيران وغيرهما من الرياح والطوفان
ولا كذلك قوم محمد صلى الله عليه وسلم نقول جاز ان يكون
عذابهم اشد من عذاب الاولين لكون دين محمد اظهر
بسبب تقدم الانبياء عليهم الصلاة والسلام واخبارهم
عنه وانذارهم به على انهم قتلوا واسروا ممن كانوا يستحقرونهم
ويستضعفونهم والقتل بيد المثل الم من الهلاك
بسبب عام سؤال آخر اذا كان الضمير عائدا الى
العاقبة فكيف يكون لها امثال قلنا يجوز ان يقال المراد
العذاب الذي هو مدلول العاقبة او الالم الذي كانت العاقبة
عليه ثم قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان
الكافرين لا مولى لهم ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى
النصر وهو اختيار جماعة وذكره الواحدي ويحتمل
وجها آخر اغرب من حيث النقل واقرب من حيث
العقل وهو انا لما بينا ان قوله تعالى وللكافرين امثالها
اشارة الى قوم محمد صلى الله عليه وسلم اهلكوا بايدي

أمثالهم الذين كانوا لا يرضون بمجالستهم وهو ألم من
الهلاك بالسيف العام قال تعالى ذلك أي الإهلاك
والهوان بسبب أن الله تعالى ناصر المؤمنين والكافرين لا يجدوا
أحدا لا ينفع ولا ينصر ويتركوا الله ولا ناصر لهم ولا سبب
أن من ينصره الله تعالى يقدر على إهلاك شر وإن كان له ألف
ناصر فضلا عن أن يكون لا ناصر لهم فإن قيل كيف
الجمع بين قوله تعالى لا مولى لهم وبين قوله مولاهم الحق
نقول المولى ورد بمعنى السيد والرب بمعنى الناصر
فحيث قال لا مولى لهم أراد لا ناصر لهم وحيث قال
مولاهم الحق أي ربهم ومالكهم كما قال تعالى يا أيها الناس
اتقوا ربكم وقال ربكم ورب آبائكم الأولين وفي
الكلام بيان عظيم بين الكافر والمؤمن لأن المؤمن ينصره الله
وهو خير الناصرين والكافر لا مولى له بصيغة نافية للجنس
فليس له ناصر وإنه شر الناصرين ثم قال تعالى إن الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات لما بين الله حال المؤمن
والكافر في الدنيا بين حالهم في الآخرة وقال إنه يدخل المؤمن
الجنة والكافر النار وفيه مسائل **المسئلة الأولى**
كثيرا ما يقتصر الله على ذكر الأنهار في وصف الجنة لأن الأنهار
يتبعها الأشجار والأشجار يتبعها الثمار ولأنه سبب
حياة العالم والنار سبب الإعدام وللمؤمن الماء يتطهر البدن وينتفع
به وللكافر النار يتقلب فيها ويتضرر بها **المسئلة الثانية**
ذكرنا مرارا أن من في قوله من تحتها الأنهار يحتمل أن يكون
صلة معناه تحتها ويحتمل أن يكون المراد أن ماءها منها لا يجري
إليها من موضع آخر فيقال هذا النهر منبعه من أين فيقال
من عين كذا تحت جبل كذا **المسئلة الثالثة** قال والذين

يتمتعون خصهم بالذكر مع أن المؤمن له أيضا التمتع بالدنيا وطيباتها
نقول من يكون له ملك عظيم ويملك شيئا يسيرا أيضا لا يذكر
إلا بالملك العظيم لا يقال في حق الملك العظيم صاحب الضيعة
الفلانية ومن لا يملك إلا شيئا يسيرا فلا يذكر إلا به فالمؤمن
له ملك الجنة فمتاع الدنيا لا يلتفت له في حقه والكافر
ليس له إلا الدنيا وحسنة أخرى الدنيا للمؤمن سجن فكيف
هو من كرامته كلا في العز لا يقال إنه يتمتع فإن قيل
كيف يكون الدنيا سجنا مع ما فيها من الطيبات نقول
للمؤمن في الآخرة طيبات معدة وأحوال ملائمة فنسبتها
ونسبتهم إلى الدنيا ومن فيها تبين بمثال وهو أن من يكون
له بستان فيه من كل الثمار الطيبة في غاية اللذة
وأنهار جارية في غاية الصفا ودور وغرف في غاية
الرفعة وأولاد فيها وهو قد غاب عنهم سنين ثم توجه
إليهم وهم فيها كلما قرب منهم عرض في أجمة فيها من بعض الثمار
العفصة والمياه الكدرة وفيها سباع وحشرات كثيرة
فهل للمؤمن له فيها كحال مسجون في بيت خراب أو في بئر مظلمة
أم لا وهل يجوز أن يقال له اترك ما هو لك وتعلق بهذه الثمار
وهذه الأنهار دائم لا كذلك حال المؤمن وأما الكافر فحاله كحال
من تقدم إلى القتل فيصير عليه أياما في ملك الأجمة التي ذكرناها
تكون هي جنته ونسبة الدنيا إلى الجنة والنار دون
ما ذكرناه من المثال لكنه بين هذا المثال عن حقيقة الحال
وقوله تعالى كما تأكل الأنعام يحتمل وجوها أحدها أن
النعم همها الأكل لا غير والكافر كذلك والمؤمن يأكل ليعمل صالحا
ويقوى عليه وثانيها النعم لا تستدل بالمأكول على خالقها

والكافر كذلك فإن الانعام تعلف لتسمن وهي غافلة عن
الأمر لا تعلم أنها كلما كانت أسمن كانت أقرب إلى الذبح
والهلاك وكذلك الكافر ويناسب ذلك قوله تعالى والنار
مثوى لهم **المسئلة الثانية** قال في حق المؤمن
إن الله يدخل بصيغة الوعد وقال في حق الكافر والنار
مثوى لهم بصيغة تنبئ عن الاستحقاق لما ذكرنا أن
الإحسان لا يستدعي استحقاقا فالمحسن إلى من
وجد منه ما يوجب الإحسان كريم والمعذب من غير استحقاق
ظالم وقوله تعالى وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك
التي أخرجتك أهلكناهم لما ضرب الله تعالى لهم مثلا
بقوله أفلم يسيروا في الأرض ولم ينفعهم مع ما تقدم من
الدلائل ضرب للنبي صلى الله عليه وسلم مثلا تسلية فقال
وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك
أهلكناهم وهو أهون عليه من أهل مكة كذلك نفعل بهم فاصبر
كما صبر رسلهم وقوله فلا ناصر لهم قال الزمخشري
قوله فلا ناصر لهم مع أن الإهلاك ماض وقوله فلا ناصر
لهم للحال والاستقبال محمول على الحكاية والحكاية كالحال
الحاضر ويحتمل أن يقال أهلكناهم في الدنيا فلا ناصر
لهم ينصرهم ويخلصهم من العذاب الذي هم فيه ويحتمل
أن يقال قوله فلا ناصر لهم عائد إلى أهل قرية محمد صلى الله
عليه وسلم كأنه قال أهلكنا من تقدم أهل قريتك
ولا ناصر لأهل قريتك ينصرهم ويخلصهم مما جرى على الأولين
ثم قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه كمن زين
له سوء عمله واتبعوا أهواءهم إشارة إلى الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم

في الدنيا محقق وان الحال إنما سبب تعذيب الكافر وإثابة المؤمن
وقوله على بينة فرق فارق وقوله من ربه فيه لطيفة وذلك
أن البينة إذا كانت نظرية يكون كافية للفرق بين المتمسك
بها وبين القائل قولا دل عليه شبهة فإذا كانت البينة
منزلة من الله تكون أقوى وأظهر فيكون أعلى وأبهر
ويحتمل أن يقال قوله من ربه ليس المراد أنها حاصلة
المراد كونها من الرب بمعنى قوله يهدي من يشاء وقوله
الهداية من الله وكذلك قوله تعالى كمن زين له سوء عمله
فرق فارق وقوله واتبعوا أهواءهم تكملة
وذلك لأن من زين له سوء العمل أو ارتكب الشبهة علمه
في مقابلة من تبين له وقبله لكن من ارتكب الشبهة
علمه قد يتفكر في الأمر ويرجع إلى الحق فيكون أقرب
إلى من هو على البرهان وقد يتبع هواه ولا يتدبر
في البرهان ولا يتفكر في البيان فيكون في غاية
البعد فإذا حصل النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمن مع
الكافر في طرفي التضاد وغاية التباعد حتى مدهم **المسئلة**
الثالثة في الكافر لما الشبهة وهو مع الله ولما في ذلك
مع الهوى وعلى قولنا من ربه معناه الإضافة إلى الله
إلى الله كقولنا الهداية من الله فقوله اتبعوا أهواءهم
مع ذلك القول يفيد معنى قوله تعالى ما أصابك من حسنة
فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقوله كمن زين
له سوء عمله بصيغة التوحيد محمول على لفظة من وقوله واتبعوا
أهواءهم محمول على معناه فإنها للجمع والعموم وذلك لأن
التزيين للكل على حد واحد فحمل على اللفظ لقربه منه في الحس
والذكر وعند اتباع الهوى كل أحد يتبع هوى نفسه فظهر

البعد ويحمل على المعنى وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون
لما بين الفرق بينهما لم يتقين في الاهتداء والاضلال بين الفرق
بينهما في مرجعهما ومآلهما وكما قدم من على بينة في
الدنيا على من اتبع هواه قدم حاله في مآله على حال من هو بخلاف
حاله وفي التفسير مسائل المسئلة الاولى قوله تعالى
مثل الجنة يستدعي امرا يمثل به فما هو فنقول فيه وجوه
الاول قول سيبويه حيث قال المثل هو الوصف
معناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي مشبها به وعلى هذا
فيه احتمالان احدهما ان يكون الخبر محذوفا وان يكون
مثل الجنة مبتدأ تقديره فيما قصصنا مثل الجنة ثم يستأنف
ويقول فيها انهار وكذلك القول في سورة الرعد يكون
قوله تعالى تجري من تحتها الانهار يكون ابتداء بيان والاحتمال
الثاني ان يكون فيها انهار وقوله تجري من تحتها خبرا
كما يقال صفة زيد اسمر فنقول العامل وزيد احمر قصير
والقول الثاني ان المثل زائد والتقدير الجنة التي
وعد المتقون فيها انهار الوجه الثالث في هاهنا شيء
به محذوف غير مذكور وهو محتمل قولين احدهما قول
الزجاج حيث قال مثل الجنة جنة تجري فيها انهار كما يقال
مثل زيد رجل طويل اسمر فيذكر عين صفات زيد في رجل منكر
لا يكون هو في الحقيقة الا زيد الثاني من القولين هو ان يقال
معناه مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب او شيء محقق كقولنا
مثل عجيب الوجه الرابع ان الممثل به مذكور وهو قول الزمخشري
حيث قال كمن هو خالد في النار مشبه به على طريقة
الانكار وحينئذ فهذا قول القائل حركات زيد خلاف لعمرو وعلى
احد الاوجه تلك اما على تاويل لحركات عمرو او على تاويل

زيد في حركاته لعمرو وكذلك هاهنا كأنه تعالى قال مثل الجنة
كمن هو خالد في النار وهذا اقصى ما يمكن ان يقرر به قول
الزمخشري وعلى هذا فقوله تعالى فيها انهار وما بعدها
جمل اعتراضية وقعت بين المبتدا والخبر كما تقول عطر زيد
مروءة وعمل علم وله اصل عمرو ثم قوله تعالى فيها انهار
من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى اختار الانهار
من الاجناس الاربعة وذلك لان المشروب اما ان يشرب
لطعمه واما ان يشرب لامر غير عائد الى الطعم فان كان
للطعم فالطعوم تسعة المر والمالح والحريف والحامض
والعفص والقابض والتفه والحلو والدسم ويكون
احلى الاشياء العسل فذكره واما الدسم فاحلى الاشياء الدهن
لكن الدسومة اذا تمحضت لا تطيب للاكل ولا
للشرب فان الدهن لا يؤكل ولا يشرب كما هو في الغالب
واما اللبن ففيه الدسم اللذيذ في غيره وهو طيب للاكل
وفيه تغذية الحيوان اولا فذكره الله تعالى واما ما
يشرب لا لامر عائد الى الطعم فالماء والخمر فان الخمر
فيها امر يشربها الشارب لاجله وهي كريهة الطعم
باتفاق من يشربها وحصول النشوة عند كل واحد
من الاشياء الاربعة عن صفات النقص التي هي فيها
او تعتريها في الدنيا فالماء يتغير فيبقى الماء آسن
على وجه امن فهو آسن وامن اللبن اذا بقي زمانا وتغير
طعمه والخمر يكرهها الشارب عند الشرب والعسل يشوبه
اجزاء من الشمع ومن النحل يموت فيه كثيرا ثم ان الله جلت الحسنى

فذكر الماء الذي يشرب لا للطعم وهو عام الشرب ثم ذكر بعده
اللبن الذي يشرب لطعمه وهو عام الشرب أدما من أجزاء لا
وكان شربه اللبن ثم ذكر الخمر الذي يشرب لا للطعم وهو
قليل الشرب وقرنه العسل الذي يشرب للطعم وهو قليل
الشرب فإن قيل العسل لا يشرب نقول شراب الحلاوات
لم يكن إلا من العسل والسكر قريب الزمان ظهوره ألا ترى
أن السكنجبين من السكر والخل وهو العسل بالفارسية
كان اسمه [illegible] ولا من العسل والخل ولم يعرف السكر
إلا في زمان متأخر ولأن العسل اسم يطلق على غير عسل النحل
حتى يقال عسل النحل للتمييز والله أعلم المسألة الخامسة
قال في الخمر لذة للشاربين ولم يقل في اللبن لم يتغير طعمه
للطاعمين ولا قال في العسل مصفى للناظرين لأن اللذة
تختلف باختلاف الأشخاص فرب طعم يلتذ به شخص ويعافه
آخر فقال لذة للشاربين بأسرهم ولأن الخمر كريهة
الطعم فقال لذة أي لا يكون في خمر الآخرة كراهة طعم وأما
الطعم واللون لا يختلف اختلاف الناس فإن الحلو والحامض
وغيرهما يدركه كل أحد لذلك لكنه قد يعافه بعض الناس
ويلتذ به البعض مع اتفاقهم على أنه طعمها واحد فكذلك
اللون فلم يكن إلى التصريح بالتعميم حاجة وقوله يحتمل وجهين
أحدهما أن يكون تأكيدا كقوله تعالى كطعام لذ ولذيذ وأطعمة
لذ ولذيذة وثانيهما أن يكون ذلك وصفا بنفس المعنى
لا بالمشتق منه كما يقال للحليم هو حلم كله وللعاقل
عقل كله ثم قال تعالى ولهم فيها من كل الثمرات بعد ذكر
المشروب أشار إلى المأكول ولما كان في الجنة الأكل للذة لا للحاجة

الحلو

ذكر الثمار فإنها تؤكل للذة بخلاف الخبز واللحم وهذا كقوله تعالى
في سورة الرعد مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار
أكلها دائم وظلها حيث أشار إلى المأكول والمشروب وها هنا
لطيفة وهي أنه تعالى قال هناك وظلها ولم يقل ها هنا ذلك
نقول قال ها هنا ومغفرة والظل فيه معنى الستر
والمغفرة كذلك ولأن المغفور يكون في ظل رحمة العالم تعالى
يحيى بظل الأمن وظلها هو رحمة الله ومغفرته حيث لا
يمسهم حر ولا برد المسألة السادسة المتقي لا يدخل
الجنة إلا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها مغفرة فنقول
الجواب عنه من وجهين الأول ليس بلازم
أن يكون المعنى لهم مغفرة من ربهم فيها بل يكون عطفا على
قوله لهم كأنه تعالى قال لهم الثمرات فيها ولهم
المغفرة قبل دخولها والثاني هو أن يكون المعنى
لهم فيها مغفرة أي رفع التكليف بما يأكلون من غير
حساب بخلاف الدنيا فإن الثمار فيها عليها حساب أو
عقاب ووجه آخر وهو أن الأكل في الدنيا لا يخلو
عن استقباح قبيح أو مكروه من مرض وحاجة إلى
[illegible] وقال لهم فيها من كل الثمرات ومغفرة لا قبح في
الأكل بل هو مستور القبائح مغفور وهذا مستعمل
من المعلمين في بلادنا فإنهم يعودون الصبيان بأن يقولوا
وقت حاجتهم إلى الإراقة نقول وغيرها يا معلم غفر الله لك
فيفهم المعلم أنهم يطلبون الإذن في الخروج لقضاء الحاجة
فيأذن لهم فعلى هذا في نفس معناه هو أن الله تعالى
في الجنة غفر المأكل وأما في الدنيا فلأن للأكل توابع ولوازم

لابد منها فيهم من لهم حاجتهم ثم قال تعالى كمن هو خالد
في النار وفيه مسائل **المسئلة الاولى** على قول من قال
مثل الجنة معناه وصف الجنة فقوله كمن هو بماذا يتعلق فنقول
لهم فيها من كل الثمرات تضمن توبيخهم فيها فقال هو فيها
كمن هو خالد في النار وعلى قول المشبه يكون محذوفا مدلولا
عليه بما سبق ويحتمل ان يقال لما قيل في تقرير لفظ الزمخشري
ان المراد هذه الجنة التي مثلها ما ذكرنا كمقام من هو خالد في
النار **المسئلة الثانية** قال الزجاج
قوله تعالى كمن هو خالد في النار راجع الى ما تقدم كانه تعالى
قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله
وهو خالد في النار فهل هو صحيح ام لا نقول
لما نظر الى اللفظ فيمكن تصحيحه بتعسف ونظر الى المعنى
لا يصح الا ان يعود الى ما ذكرناه اما التصحيح بحذف
كمن في المرة الثانية او جعله بدلا عن المتقدم او باضمار
عاطف فعطف كمن هو خالد على كمن زين له سوء عمله
او كمن هو خالد في النار واما التعسف فبين نظرا الى
الحذف والى الاضمار مع الفاصل الطويل بين المشبه
والمشبه به واما طريقة البدل فعاسلة والاولى الاعتماد
على الثاني فيكون كانه قال افمن كان على بينة كمن هو
خالد وقوله سيمن من التشبيه تعالى كلام الله عن ذلك
القول وتصحيح العاطف كذلك لان المعطوف ايضا اضمار
مستقلا في التشبيه الا ان يقال يقابل المجموع
كانه يقول افمن كان على بينة من ربه وهو في الجنة
التي وعد المتقون فيها انهار كمن زين له سوء عمله وهو خالد

في النار وعلى هذا يقع المقابلة بين من على بينة من ربه وبين من زين له
سوء عمله وبين من في الجنة وبين من هو خالد في النار وقد ذكرناه
فلا حاجة الى خلط الآية بالآية وكيف وعلى ما ذكرنا لا يقع
المقابلة بين من هو في النار وسقوا ماء حميما وبين من هو على بينة
من ربه وانه مناسبة بينهما بخلاف ما ذكرناه من الوجه
الآخر فان المقابل فيها بين الجنة التي فيها الانهار وبين النار
التي فيها الماء الحميم وذلك بتشبيه انهار مناسب
المسئلة الثالثة قال كمن هو خالد حملا على اللفظ
الواحد وقال وسقوا ماء حميما على المعنى وهو جمع وكذلك
قال من قبل كمن زين له سوء عمله على التوحيد والا وراد
واتبعوا اهواءهم على الجمع في الوجه فنقول المسند
الى من اذا كان متصلا فرعاية اللفظ اولى لانه هو المسموع
واذا كان مع انفصال فالعود الى المعنى اولى لان اللفظ
لا يبقى في السمع والمعنى يبقى في الذهن للسامع
فالحمل في الثاني على المعنى اولى وفي الاول على اللفظ
اولى فان قيل كيف قال في سائر المواضع من امن
وعمل صالحا من باب واصلح فنقول اذا كان
المعطوف مفردا او شبيها بالمعطوف عليه في المعنى
فالاولى ان لا يختلف كما ذكرت فانه عطف مفرد
على مفرد ولذلك لو قال كمن هو خالد في النار ومعذب
فيها لان المشابهة تنافي المخالفة واما اذا لم يكن كذلك
كما في هذا الموضع فان قوله سقوا جملة غير مشابهة
لقوله هو خالد وقوله تعالى وسقوا ماء حميما

لمخالفتهم في سائر احوال اهل الجنة فلهم انهار من ماء غير آسن
ولهم ماء حميم فان قيل المشابهة الاصلاحية بالمخالفة على
ما بينت وقد ذكرت البعض وقلت بان قوله على بينة في مقابلة
زين له سوء عمله ومن ربه في مقابلة واتبعوا اهواءهم والجنة
في مقابلة النار في قوله خالد في النار وانهار الحميم في مقابلة الانهار
فاين ما يقابل قوله ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة فنقول
تقطع الامعاء في مقابلة مغفرة ولا ننبه على احد الوجوه
ان المغفرة التي في الجنة هي بعد اكل الثمرات عما يلزمه
من قضاء الحاجة والامراض وغيرها فانه قال بعض من
اكل وشرب مطهر طاهر لا يجتمع في جوفهم فيؤذيهم
ويحوجهم الى قضاء حاجة فهم ماء حميم في اول ما يصل الى
جوفهم تقطع امعاءهم ويشتهون خروجه من جوفهم واما
الثمار فلم يذكر مقابلها لان في الجنة زيادة مذكورة
محققها بذكر امر زائد ○ المسئلة الرابعة الماء الحار
تقطع امعاءهم لامر آخر غير الحرارة وهي الحدة التي تكون
في السموم المذوقة والا فمجرد الحرارة لا تقطع
فان قيل قوله فقطع بالفاء تقتضي ان يكون القطع
بما ذكر فنقول نعم لكنه لا يقتضي ان يكون القطع لانه
ماء حميم فحسب بل ماء حميم مخصوص يقطع فان قوله تعالى
ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا
للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا بين الله تعالى
حال الكافر وذكر حال المنافق بانه من الكفار
وقوله ومنهم يحتمل ان يكون الضمير عائدا الى الناس كما قال تعالى

البقرة

البقرة ومن الناس من يقول آمنا بالله بعد ذكر الكفار
ويحتمل ان يكون راجعا الى معنى قوله هو خالد في النار
وسقوا ماء حميما يعني من الخالدين في النار قوم يستمعون
اليك وقوله حتى اذا خرجوا على ما ذكرنا حمل
على المعنى الذي هو الجمع ويستمع حمل على اللفظ وقد سبق
التحقيق فيه وقوله حتى للعطف في قول المفسرين وعلى
هذا فالعطف بحتى لا يحسن الا اذا كان المعطوف جزءا من
المعطوف عليه اما اعلاه او دونه كقول القائل
اكرمني الناس حتى الملك وجاء الحاج حتى المشاة
وفي الجملة ينبغي ان يكون المعطوف عليه من حيث المعنى ولا
يشترط في العطف بالواو وذلك يجوز ان يقول في الواو جاء
الحاج وما علمت ولا يجوز مثل ذلك في حتى اذا علمت هذا
فوجه التعلق ههنا ان قوله حتى اذا خرجوا من عندك
يفيد معنى زائدا في الاستماع فانه يقول يستمعون
استماعا بالغا جيدا لانهم يستمعون واذا خرجوا من
عندك يستعيدون من العلماء كما يفعله المجتهد في التعلم
الطالب للتفهم فان قلت فعلى هذا يكون هذا صفة مدح
لهم وهو ورد في معرض الذم قلت نبين ما يعلم وهو احد امرين
اما كونهم بذلك مستهزئين كالذكي يقول للبليد اعد
كلامك حتى افهمه ويري في نفسه انه مستمع اليه
غاية الاستماع وكل احد يعلم انه مستهزئ غير مستفيد
ولا مستعيد واما كونهم لا يفهمون مع انهم يستمعون
ويستعيدون ويناسب هذا الثاني قوله تعالى كذلك

يطبع الله على قلوب الكافرين والاول يؤيده قوله تعالى
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون
والثاني يؤيده قوله تعالى قالت الاعراب
امنا قل لم تؤمنوا الى قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم
وقوله قال بعض المفسرين معناه الساعة
ومنه الانسب فيه الابتداء وعلى هذا فالاولى
ان يقال يقولون ماذا قال انفا يعني انهم يستبعدون
كلامه من الابتداء كما يقول المستفيد للمفيد اعد
كلامك من الابتداء حتى لا يفوتني شيء ثم قال تعالى
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم اي تركوا
اتباع الحق اما بسبب عدم الفهم او بسبب عدم
الاستماع للاستفادة واتبعوا ضده ثم قال تعالى
والذين اهتدوا زادهم هدى لما بين الله تعالى ان
المنافق يستمع فيفهم ولا يعمل بما يعلم والمنافق يستبعد
والمهتدي يفسر ويعلم ويتبين بذلك امران احدهما
ما ذكرنا من بيان التباين بين الفريقين وثانيهما
قطع عذر المنافق وافتضاح كونه مذموم الطريقة
فانه لو قال ما فهمته لغموضه وكونه معمى يرد عليه
ويقول ليس كذلك فان المهتدي فهم واستنبط لوازمه
وتوابعه فذلك لاعماء القلوب لا لخفاء المطلوب وفيه
مسائل المسألة الاولى ما الفاعل للزيادة في
قوله زادهم نقول فيه وجوه الاول المسموع
من النبي صلى الله عليه وسلم من كلام الله وكلام الرسول

انفا خ

يدل

يدل عليه قوله ومنهم من يستمع اليك يدل على المسموع
والمقصود بيان التباين بين الفريقين وتكاثفه قالت
هم لم يفهموه وقالوا ماذا والثاني ان الله تعالى
زادهم ويدل عليه قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على
قلوبهم وكأنه قال تعالى طبع الله على قلوبهم فزادهم عمى
والمهتدي زاده هدى والثالث استهزاء المنافق
زاد المهتدي هدى ووجهه هو ان الله تعالى لما قال
واتبعوا اهواءهم قال والذين اهتدوا واتاهم الهدى
فانهم استقبحوا فعلهم فاجتنبوه المسألة الثانية
معنى قوله واتاهم تقواهم نقول فيه وجوه
الاول منقولة ومستنبطة اما المنقولة فنقول
قيل فيه ان المراد به اتاهم ثواب العمل تقواهم
وقيل اتاهم نفس تقواهم من غير ان يعين لهم التقوى
وقيل اتاهم توفيق العمل بما علموا واما المستنبطة فنقول
يحتمل ان يكون المراد به حال المستمعين للقرآن
الفاهمين لمعانيه المعتبرين به فان العامة الحال من المنافق
لم يفهمه واستفاد ولم يعمله والمهتدي علمه وعمل به
لغيره ويدل عليه قوله تعالى زادهم هدى ولم يقل
اهتدوا والهدى قصد من هدى قال الله تعالى
فبهداهم اقتده اي خذ بما هدوا فانهم هدوا وعلموا
وعلى هذا فقوله تعالى واتاهم تقواهم معناه جنبهم عن
القول في القرآن بغير برهان وحملهم على الاتقاء من التفسير
بالرأي وعلى هذا فقوله زادهم هدى معناه انهم اهتدوا فزادهم

اتباعهم خ

على الاهتداء حتى ان يتقوا من درجة المهتدين الى درجة الهادين
ويحتمل ان يقال قوله زادهم هدى اشارة الى العلم واتاهم
تقويهم اشارة الى الاخذ بالاحتياط فيما لم يعلم وهو
مستنبط من قوله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه وقوله تعالى والراسخون في العلم
يقولون امنا به المعنى الثالث يحتمل ان يكون المراد
بيان ان المخلص على خطر فهو خشي من عذر وتحقيقه هو
انه لما قال زادهم هدى افاد انهم ازدادوا علمهم
وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فقال
اتاهم خشيتهم التي تفيدها العلم والمعنى الرابع تقواهم من
يوم العهد كما قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم
واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ويدل عليه قوله تعالى
هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة كان ذكر
الساعة عقيب التقوى يدل عليه المعنى الخامس اتاهم
تقواهم التقوى التي تليق بالمؤمن وهو التقوى الذي لا يخاف
معه لومة لائم وقال تعالى الذين يبلغون
رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله ولذلك
قوله يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وهذا
مناسب لان الاية لبيان حال الفريقين وهذا
يحصل بذلك من حيث ان المنافق كان يخشى الناس وهم الفريقان
المؤمنون والكافرون وكان يتردد بينهما ويرضي
الفريقين ويسخط الله تعالى والمؤمن المهتدي بخلاف المنافق
حيث علم ذلك ولم يعلم ذلك والله اعلم واتاهم ذلك

عن

عن الله ثم قال تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان
تاتيهم بغتة يعني الكافرون والمنافقون لا ينظرون
الا الساعة وذلك لان البراهين قد صحت والامور
قد اتضحت وهم لم يؤمنوا فلا يتوقع منهم الايمان الا عند
قيام الساعة وهو من قبيل بدل الاشتمال على تقدير
لا ينظرون الا الساعة اتيانها بغتة وقرئ فهل
ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة على الشرط وجوابه
لا ينفعهم ذكراهم يدل عليه قوله فانى لهم اذا جاءتهم
ذكراهم وقد ذكرنا ان القيامة سميت بالساعة
لسرعة الامور الواقعة من البعث والحشر والحساب
وقوله فقد جاء اشراطها يحتمل وجهين احدهما
لبيان غاية عنادهم وتحقيقه هو ان الدلائل لما ظهرت
ولم يؤمنوا لم يبق الا ايمان الناس وهو عند قيام
الساعة لكن اشراطها بانت فكان ينبغي ان يؤمنوا ولم
يؤمنوا فهم في لجة الفساد وغاية العناد ٥
وثانيهما ان يكون لتسلية قلوب المؤمنين كانه تعالى
لما قال فهل ينظرون فهم منه تعذيبهم والساعة
عند العوام مستبطاة فكان قائلا قال متى
تكون الساعة فقال جاء اشراطها كقوله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر والاشراط العلامات قال
المفسرون هي مثل انشقاق القمر ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم
ويحتمل ان يقال معنى الاشراط البينات الموضحة لجواز
الحشر مثل خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم والاولى لتفسير قال فانى لهم اذا جاءتهم

اوليس الذي

ذكراهم يعني لا ينفعهم الذكرى اذ لا يقبل الايمان ولا
يحسب الايمان والمراد بهذا الحال اذا جاءتهم ذكراهم
ومعنى ذلك يحتمل ان يكون هو قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون
هذا يومكم الذي كنتم توعدون هذا يوم الفصل
الذي كنتم به تكذبون فيذكرونه للتحسر وكذلك
قوله تعالى الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات
ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ثم قال تعالى
فاعلم انه لا اله الا الله ولبيان المناسبة وجوه
الاول هو انه تعالى لما قال فاعلم انه لا اله الا
الله فاتى بالساعة كما قال ازفت الآزفة ليس لها
من دون الله كاشفة وبينهما فقد جاء اشراطها وهي
آتية وكانه قال متى هي فقال فاعلم
انه لا اله الا الله ولا تشتغل واشتغل بما عليك من الاستغفار
وكن في كل وقت مستعدا للقائها وثانيها
قوله تعالى واستغفر لذنبك الثالث فاعلم انه لا اله الا
الله يتعلق فان قيل النبي صلى الله عليه وسلم كان
عالما بذلك فما معنى الامر نقول الجواب عنه من
وجهين احدهما فاثبت على ما انت عليه من العلم
كقول القائل للجالس بين ذا القيام اجلس اي
لا تقم ثانيهما الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم
والمراد قومه والضمير في انه للشان وتقدير هذا هو انه صلى الله
عليه وسلم لما دعا القوم الى الايمان ولم يومنوا ولم يبق شيء
يحملهم على الايمان الا ظهور الامر بالبعث والنشور وكان
ذلك مما يحزن النبي صلى الله عليه وسلم فسلى قلبه وقال

انت

انت كامل في نفسك عالم بعملك وعملك حيث تعلم ان الله واحد
وتستغفر وانت تحمد الله ومكمل لغيرك تكمل المؤمنين والمؤمنات
وانت تستغفر لهم فقد حصل لك الوصفان فاثبت على
ما انت عليه ولا يحزنك كفرهم وقوله تعالى واستغفر
لذنبك يحتمل وجوها احدها ان يكون الخطاب معه
والمراد المؤمنون وهو بعيد لافراد المؤمنين والمؤمنات
بالذكر وقال بعض الناس لذنبك اي لذنب اهل
بيتك وللمؤمنين والمؤمنات اي الذين ليسوا منك باهل بيتك
ثانيها المراد هو النبي صلى الله عليه وسلم والذنب هو
ترك الافضل الذي هو بالنسبة اليه ذنب وحاشاه
دون ذلك وثالثها وجه حسن مستنبط وهو ان
المراد توفيق العمل واجتناب العمل السيء ووجهه
ان الاستغفار طلب الغفران والغفران هو الستر
على القبيح ومن عصم فقد ستر عليه قبائح الهوى ومعنى
طلب الغفران ان لا يفضحنا وذلك قد يكون بالعصمة
منه فلا يقع فيه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون
بالستر عليه بعد الوجود كما هو في حق المؤمنين والمؤمنات
وفي هذه الآية لطيفة وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم له
احوال ثلاثة حال مع الله وحال مع نفسه وحال
مع غيره فاما مع الله فوحده واما مع نفسه فاستغفر
لذنبك واطلب العصمة من الله واما مع المؤمنين فاستغفر
لهم واطلب الغفران من الله والله يعلم متقلبكم ومثواكم
يعني يعلم حالكم في الدنيا وفي الآخرة وحالكم في الليل

والمراد

والنهار يوما قال تعالى ويقول الذين آمنوا لولا نزلت
سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال
فإذن لما بين الله حال المنافق والكافر والمهتدي والمؤمن
عند استماع الآيات العلمية من التوحيد والحشر وغيرهما
بقوله ومنهم من يستمع وقوله والذين اهتدوا زادهم
هدى بين حالهم في الآيات العملية فإن المؤمن كان ينتظر
ورودها وطلب تنزيلها فإذا تأخر عنه التكليف كان
يقول هلا أمرت بشيء من العبادة خوفا من أن
لا يؤهل لها والمنافق إذا نزلت السورة أو الآية
وفيها تكليف يشق عليه ليعلم تباين الفريقين في العلم
والعمل حيث لا يفهم المنافق العلم ولا يريد العمل
والمؤمن يعلم ويحب العمل وقولهم هلا نزلت سورة
والمراد سورة فيها تكليف بمحن وقوله سورة
محكمة فيها وجوه أحدها سورة لم ينسخ [illegible] ثانيها
سورة فيها ألفاظ أريدت حقائقها بخلاف قوله
الرحمن على العرش استوى وقوله في جنب الله فإن قوله
فضرب الرقاب أراد القتل أبلغ من قوله اقتلوهم وقوله
واقتلوهم حيث ثقفتموهم صريح ولذلك غير هذه آيات
القتال على الوجهين فقوله محكمة فيها قتال [illegible] من
حيث إنهم لا يمكنهم أن يقولوا المراد غير ما يظهر منه أو يقولوا
هذه الآية قد نسخت فلا نعمل وقوله رأيت الذين في
قلوبهم مرض أي المنافقون ينظرون إليك نظر المغشي عليه
من الموت لأن عند التكليف بالقتال لا يبقى لنفاقهم

لا يبقى لنفاقهم فائدة فإنهم قبل القتال كانوا يترددون
إلى القبيلين وعند الأمر بالقتال لم يبق لهم إمكان ذلك
فأولى لهم دعاء كقول القائل ويل لهم ويحتمل أن
يقال هو خبر لمبتدأ محذوف سبق ذكره وهو الموت لأن
الله تعالى لما قال نظر المغشي عليه من الموت قال فالموت
أولى لهم لأن الحياة التي لا في طاعة الله ورسوله الموت خير
منها قال الواحدي رحمه الله يجوز أن يكون المعنى
فأولى لهم طاعة أي الطاعة أولى لهم ثم قال طاعة وقول
معروف كلام مستأنف محذوف الخبر تقديره خير لهم أي
أحسن وأمثل لا يقال طاعة نكرة لا يصلح للابتداء
لأنا نقول هي موصوفة يدل عليه قوله وقول معروف
فإنه موصوف وكأنه تعالى قال طاعة مخلصة وقول معروف
خير ومعناه قالوا طاعة وقول معروف وقولهم أمرنا طاعة
وقول معروف ويدل عليه قراءة أبي يقولون طاعة وقول
معروف قوله فإذا عزم الأمر جوابه محذوف تقديره طاعة
فإذا عزم الأمر خالفوا وأخلفوا [illegible] إلى
كأنه يقول في أول الأمر قالوا سمعا وطاعة وعند آخر الأمر
خالفوا وأخلفوا موعدهم ونسبة العزم إلى الأمر والعزم لصاحب
الأمر معناه فإذا عزم صاحب الأمر هذا قول الزمخشري
ويحتمل أن يقال هو مجاز كقولنا جاء الأمر وولى فإن
الأمر في الأول يتوقع أن لا يقع وعند إظلاله وعجز الكاره
عن إبطاله فهو واقع فقال عزم والوجهان متقاربان فقوله تعالى
فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فيه وجهان على قولنا المراد من قوله طاعة

ايعصو نا لو اطاعة بمعناه لو صدقوا في ذلك القول واطاعوا
لكان خيرا لهم وعلى قولنا طاعة وقول معروف خير لهم واحسن
بمعناه ولو صدقوا في ايمانهم واطاعوا الرسول لكان خيرا لهم
قال تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
وهذه الاية فيها اشارة الى فساد دولة قوم وهو
انهم كانوا يقولون كيف نقاتل والقتل افساد والعرب
من ذوي ارحامنا وقبايلنا فقال تعالى ان توليتم
لا يتوقع منكم الا الافساد في الارض فانهم يقتلون من
يقدرون عليه وينهبون والعيال واقع منكم الان
فيكم الفساد افسادا وقطعا للرحم فلا يصلح فعلكم
ذلك مع انه خلاف ما امر الله وهذا طاعة وفيه مسائل
المسألة الاولى في استعمال عسى ثلثة مذاهب احدها
الاتيان بها على صورة فعل ماض معه فاعل تقول
عسى زيد وعسيا وعسوا وعست وعستا وعسيتم
وعسيت وعسيتا والثاني ان يؤتى بفاعل صورة
فعل معه مفعول تقول عساه وعساهما وعساك
وعساكما وعساي وعسانا والثالث الاتيان بها من غير
ان يقرن بها شيء تقول عسى زيد يخرج وعسى انت تخرج وعسى
انا اخرج والكل له وجه وما عليه كلام الله اوجه وذلك
لان عسى من الافعال الجامدة واقتران الفاعل بالفعل
اولى من اقتران المفعول لان الفاعل كجزء الفعل ولهذا
لم يجوز فيه اربع متحركات في مثل قول القايل نصرت ويجوز في
مثل قولهم نصرك ولان الفعل يعمل في الفاعل سواء كان لازما او
متعديا ولان ذلك المفعول له فعسيت وعساك

لعصيت وعساك في اقتران الفاعل بالفعل والمفعول به
واما قوله تعالى عسى انت تقوم وعسى انا اقوم فدون ما ذكرنا
للتطويل فيه **المسألة الثانية** الاستفهام للتقرير المؤكد
فانه لو قال على سبيل الاخبار عسيتم ان توليتم كان للمخاطب
ان ينكره فاذا قال بصيغة الاستفهام كانه يقول
انا اسالك عن هذا وانت لا تقدر تجيب الا بلا او نعم فهو مقرر
عندك **المسألة الثالثة** عسى للتوقع والله عالم بكل
شيء فنقول فيه ما قلنا في لعل وفي قوله لعلهم الناس
قال تعالى لعله يتذكر فعل المترجي والمتمني والمتوقع فان
اخرون كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك ونحن قلنا هو
محمول على الحقيقة وذلك لان الفعل اذا كان في
نفسه لا ينظر اليه غير مستلزم للامر واما الامر يجوز ان
يحصل منه تارة ولا يحصل منه اخرى كان الفعل كذلك
الامر المطلوب على سبيل الترجي سواء كان الفاعل يعلم حصول
الامر منه وسواء لم يكن يعلم مثاله من نصب شبكه
لاصطياد الصيد يقال هو متوقع له لكن فان حصل
له العلم بحصوله باخبار صادق انه سيقع فيها ويظهر
اخر لا يخرج عن التوقع غاية ما في الباب ان في الشاهد
لم يحصل لنا العلم فيما نتوقعه فظن ان عند عدم
العلم لازم للمتوقع وليس كذلك بل المتوقع هو المنتظر
لامر ليس بواجب الوقوع نظرا الى ذلك الامر بحسب سواء كان
له به علم او لم يكن وقوله ان توليتم فيه وجهان احدهما انه
من الولاية يعني ان اخذتم الولاية وصار الناس بامركم افسدتم

وقطعتم الارحام وثانيهما هو من التولي الذي هو الاعراض
وهاهنا سؤال لماذا قربا اي ان كنتم تركتم القتال وتقولون
فيه الافساد وقطع الارحام وكونوا الكفار افسادا فلا يقع
منكم الا ذلك حتى يتقاتلون على ادنى شي كما كان عادة العرب
الاول يولكم قراءه من قرا وليتم وقراه علي عليه السلام
توليتم اي لو تولاكم ولاة ظلمة جفاة وسيسهم معهم
ابتدتم وقطعتم ما النبي صلى الله عليه وسلم لا يامركم الا بالاصلاح
وصله الارحام فلم تتقاعدون عن القتال وتتباعدون
في الضلال ثم قال تعالى اولئك الذين لعنهم الله اسارة الى
من سبق ذكرهم من المنافقين ابعدهم الله عنه او عن الخير فاصمهم
لا يسمعون الكلام المستبين واعماهم لا يبصرون الطريق
المستقيم فيه ترتيب حسن وذلك من حيث انهم استمعوا
الكلام العلمي ولم يفهموه فهم بالسمع ادبرهم فاصمهم الله
وعند الامر بالعمل تركوه وعللوا بكونه افسادا
وقطعا للرحم وهم لم يتبعوا طريقه عند النبي عنه فلم يروا
حالهم وما عليه او تركوا اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
الذي يامرهم بالاصلاح وصلة الارحام ولو دعاهم
من يامرهم بالافساد وقطيعة الرحم لا تبعوه فهم عمى اعماهم
الله وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال اصمهم ولم يقل اصم اذانهم
وقال اعمى ابصارهم ولم يقل اعماهم وذلك لان العين
آلة الرؤية ولو اصابها آفة لعدمها الابصار والاذن لو اصابها
آفة من قطع او قلع يسمع الكلام لان الاذن خلقت وطويت بمعارج
ليكثر فيها الهوى المسموع ولا يقرع الصماخ بعنف فيؤذي الصوت
القوي فقال اصمهم من غير ذكر الاذن وقال اعمى ابصارهم مع ذكر

العمى لان البصر ههنا بمعنى العين ولهذا جمعه بالابصار
ولو كان مصدرا لما جمع فلم يذكر الاذن اذ لا مدخل
لها في الاصمام والعين لها مدخل الرؤية بل هي الكل
ويدل عليه ان الآفة في غير هذه المواضع لما اضافها
الى الاذن سماها وقرا كما قال تعالى وفي آذاننا وقر
وقال كان في اذنيه وقرا والوقر دون الصمم وكذلك
الطرش ثم قال تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب
اقفالها ولبدكر تفسيرها في مسايل
لما قال الله تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم كيف
يمكنهم التدبر في القرآن قال تعالى افلا يتدبرون
القرآن وهو كقول القايل للاعمى ابصر وللاصم اسمع فنقول
الجواب عنه من ثلاثة اوجه مترتبة بعضها احسن من البعض
الاول تكليف ما لا يطاق جائز والله امر من علم
انه لا يؤمن بان يؤمن فكذلك جاز ان يعميهم ويذمهم
على ترك التدبر الثاني ان قوله افلا يتدبرون المراد
منه الناس الثالث ان نقول هذه وردت محققة
لمعنى الآية المتقدمة فانه تعالى قال اولئك الذين لعنهم الله
فاصمهم اي ابعدهم عنه او عن الصدق او الخير او غير ذلك
الامور الحسنة فاصمهم لا يسمعون حقيقة الكلام
واعماهم لا يتبعون طريق الاسلام فاذا اهم بين
امرين اما لا يتدبرون القرآن فيبعدون عنه لان الله تعالى
لعنهم وابعدهم عن الخير والصدق والقرآن منهما الصنف
الاعلى بل النوع الاشرف واما يتدبرون لكن لا يدخل معانيه

في قلوبهم بكونها مقفلة بعد قوله افلا يتدبرون القران لكونهم ملعو
نين ام على قلوب اقفالها فيتدبرون ولا يفهمون
وعلى هذا لا يحتاج ان نقول ام بمعنى بل هو على حقيقتهم الاستفهام
واقع في وسط الكلام والهمزة اخذت مكانها وهو الصدر
وام دخلت على القلوب التي في الصدور المسئلة الرابعة
قوله ام على قلوب على التنكير ما الفائدة فيه نقول قال الزمخشري
يحتمل وجهين احدهما ان يكون للتنبيه على كونه موصوفا
لان النكرة بالوصف اولى من المعرفة فكأنه قال ام على
قلوب قاسية او مظلمة الثاني ان يكون للتبعيض
كأنه قال ام على بعض القلوب لان النكرة لا تعم تقول
جاءني رجال فيفهم البعض وجاءني الرجال فيفهم الكل ونحن نقول
التنكير للقلوب للتنبيه على الانكار الذي في
القلوب وذلك لان القلب اذا كان عارفا كان معروفا
لان القلب خلق للمعرفة فاذا لم يكن فيه المعرفة فكأنه لا
يعرف فكأنها قلوب لا تعرف وهذا كما تقول الرجل في
الانسان المؤذي هذا ليس بانسان هذا سبع ولذلك
يقال هذا ليس بقلب هذا حجر فاذا علم هذا فالتعريف اما بالالف
واللام واما بالاضافة واللام لتعريف الجنس او العهد ولم يكن
ارادة الجنس اذ ليس على كل قلب قفل ولا لتعريف العهد
لان ذلك القلب ليس بمعروف حاله لهم واما بالاضافة
ان يقول على قلوبهم اقفالها وهي لعدم عود فائدة اليهم كانها
ليست لهم فلا تصلح فقد قال الله تعالى ختم الله على قلوبهم وقال
دون القلب فيه بعد لعلوهم نقول الاقفال ابلغ من الختم فترك الاضافة

لعدم انتفاعهم واسنادها المسئلة الثالثة في قوله اقفالها
بالاضافة ولم يقل اقفال كما قال قلوب لان الاقفال
كانت من شانها ولا هاتها فاضافها اليها كانها ليست الا لها
وبالجملة لم يضف القلوب اليهم لعدم نفعها اياهم واضاف الاقفال
اليها لكونها مناسبة لها ونقول اراد به اقفالا مخصوصة
وهي اقفال الكفر والعناد ثم قال تعالى ان الذين ارتدوا على
ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى اشارة الى اهل الكتاب الذين تبين
لهم الحق في التوراة بنعت محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته
وارتدوا ولم يومنوا به لما عندهم من حب الرياسة على اتباع
محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يعلمون انه الحق الشيطان
سول لهم واملى لهم يعني قالوا نعيش اياما ثم نومن به وقرئ
واملي لهم فان قيل الاملاء والامهال وحدا لا حد الا
الا من الله فكيف يصح قراءة من قرئ فاملى لهم فان المملي حينئذ
هو الشيطان نقول الجواب عنه من وجهين احدهما
جاز ان يكون المراد واملى لهم الله فيقف على سول لهم
وثانيهما هو ان المسول ايضا ليس هو الشيطان وانما
اسنده الله من حيث ان الله قدر على يده ولسانه ذلك
فذلك الشيطان يمنيهم ويقول لهم في اجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم
ثم في اخر الامر يومنون وقرئ واملي لهم بفتح الياء وضم الهمزة على
البناء للمفعول ثم قال تعالى ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا
ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر قال بعض المفسرين
ذلك اشارة الى الاملاء لان ذلك الاملاء بسبب انهم قالوا للذين كرهوا
وهو احسان للتوحيد وقال بعضهم ذلك اشارة الى

التسويل ويحتمل أن يقال ذلك الارتداد بسبب أنهم قالوا
سنطيعكم وذلك لا بأس أن قوله سنطيعكم في بعض الأمر
هو أنهم قالوا نوافقكم على أن محمدا ليس بمرسل وإنما هو كاذب
ولكن لا نوافقكم في إنكار الرسالة والحشر والإشراك بالله من الأصنام
فمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر وإن آمن بغيره لأن من لم
يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله ولا برسله ولا بالحشر
لأن الله كما أخبر عن الحشر وهو جائز أخبر عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وهي جائزة فإذا لم يصدق الله في شيء لا يسلم الكذب بقول الله في غيره فلا
يكون مصدقا بالحشر ولا برسالة أحد من الأنبياء لأن طريق معرفتهم
واحد ومن الذين كرهوا ما نزل الله المشركون والمنافقون وقيل
المراد اليهود فإن أهل مكة قالوا لليهود نوافقكم في إخراج محمد وقتله
وقتال أصحابه والأول أصح لأن قوله كرهوا ما نزل الله كان
مسندا إلى أهل الكتاب كان مخصوصا ببعض ما أنزل الله وإن قلنا
بأنه مسند إلى المشركين يكون عاما لأنهم كرهوا ما أنزل الله
وكذبوا الرسل بأسرهم وأنكروا الرسالة رأسا وقوله
سنطيعكم في بعض الأمر يعني فيما يتعلق بمحمد من الإيمان
به فلا نؤمن والتكذيب به فنكذبه كما تكذبونه والقتال معه
وأما الإشراك بالله واتخاذ الأنداد له من الأصنام
وإنكار الحشر والنبوة فلا وقوله والله يعلم إسرارهم قال أكثرهم
المراد هم أنهم قالوا ذلك سرا فأفشاه الله وأظهره لنبيه
صلى الله عليه وسلم والأظهر أن يقال والله يعلم إسرارهم
وهو ما في قلوبهم من العلم بصدق محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم
كانوا مكابرين معاندين وكانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم

المراد

كما يعرفون أبناءهم وقرئ إسرارهم بكسر الهمزة على المصدر وما
ذكرنا من المعنى ظاهر على هذه القراءة فإنهم كانوا يسرون نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى قولنا المراد من الذين ارتدوا المنافقون
وكانوا يقولون للمجاهدين من الكفار سنطيعكم في بعض الأمر وكانوا
يسرون أنهم إن غلبوا انقلبوا كما قال تعالى ولئن جاء نصر من
ربك ليقولن إنا كنا معكم وقال تعالى فإذا ذهب الخوف
سلقوكم بألسنة حداد ثم قال فكيف إذا توفتهم الملائكة
يضربون وجوههم وأدبارهم لما قال تعالى والله يعلم
إسرارهم قال هب أنهم يسرون والله لا يظهره اليوم
فكيف يبقى مخفيا وقت وفاتهم أو نقول لما قال تعالى والله يعلم
إسرارهم أن الجهاد والقتال لما فيه من الضراب والطعان مع أنه
يفيد في الوجهين جميعا إن غلبوا فالمال والثواب وإن
غلبوا فالشهادة والسعادة فكيف حالهم إذا ضرب وجوههم
وأدبارهم وعلى هذا فيه لطيفة وهي أن في القتال في الحال إن
أقدم المبارز فربما يهرب الخصم ويسلم وجهه وقفاه وإن
لم يهرب منه فالضرب على وجهه إن صبر وثبت وإن انهزم وإن
كان الفرد فقد يسلم وجهه وقفاه وإن لم يعتد فالضرب على
قفاه لا غير ويوم الوفاة لا نصرة له ولا مفر فوجهه وظهره مضروب
مطعون فكيف يحترز عن الأذى ويختار العذاب الأكبر وقوله تعالى
ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه وفيه لطيفة
وهي أن الله تعالى ذكر أمرين ضرب الوجه وضرب الأدبار
وذكر بعدهما أمرين اتباع ما أسخط الله وكرهوا رضوانه
فكأنه تعالى قابل الأمرين فقال يضربون وجوههم

حيث اقبلوا على سخط الله فان المتبع للشي متوجه اليه وكمر بول
ادبارهم لانهم تولوا عما فيه رضى الله فان الكافر للشي يولوا
عنه وما اسخط الله يحتمل وجوها الاول انكار الرسول
صلى الله عليه وسلم ورضوانه الاقرار به والاسلام الثاني الكفر
هو ما اسخط الله والايمان ما يرضيه يدل عليه قوله تعالى
ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا
يرضه لكم وقال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك هم خير البرية الى ان قال رضي الله عنهم الثالث
ما اسخط الله تسويل الشيطان ورضوان الله التعويل على
البرهان والقران فان قيل هم ما كانوا يكرهون رضوان الله بل كانوا
يقولون ان ما نحن عليه رضوان الله ولا نطلب الا رضى الله وكيف
لا والمشركون في شركهم كانوا يقولون انما نطلب
رضى الله كما قالوا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا نقول
معناه كرهوا ما فيه رضى الله وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال
ما اسخط الله ولم يقل ما ارضى الله وذلك لان رحمة الله
سابقة فله رحمة ثابتة وهي منشأ الرضوان وغضب الله
متأخر فهو يكون على ذنب فقال رضوانه لانه وصف
ثابت لله سابق ولم يقل سخط الله بل ما اسخط الله اشارة الى
ان السخط ليس ثابتا كثبوت الرضوان وهذا السبب قال
في اللعان في حق المراة والخامسة ان غضب الله عليها ان كان
من الصادقين فقال غضب الله مضافا لان لعانه قد سبق
مظهر الزنا بقوله واتانه وقبله لم يكن لله غضب ورضوان الله امر يكون
قبل الفعل وغضب الله امر يكون بعد الفعل ولنضرب له مثلا الكريم

الذي

الذي يرسخ الكرم في نفسه يحمله الكرم على الافعال الحسنة فاذا
كثر من الشخص الاساءة فغضبه لا لامر يعود اليه بل غضبه
عليه يكون لاصلاح حاله وزجر الامثال عن مثل فعاله فيقال
هو كان الكريم مكرم لما فيه من الغريزة الحسنة يكرم الا ما
اغضبه فظهر منه الغضب فجعل الغضب ظاهرا من الفعل
والفعل منه بعد كرم ومن هذا نعرف لطيفة قوله ما
اسخط الله وكرهوا رضوانه ثم قال تعالى فاحبط اعمالهم
حيث لم يطلبوا رضى الله وانما طلبوا رضى الشيطان والاصنام
وقوله تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض اشارة الى
المنافقين وام استدعى جملة اخرى استفهامية اذا كانت
للاستفهام لان كلمة ام اذا كانت متصلة استفهامية
استدعى سبق جملة اخرى استفهامية كما تقول ازيد
في الدار ام عمرو واذا كانت منقطعة لا تستدعي ذلك
قال ان هذا لزيد ام عمرو والمفسرون على انها منقطعة
ويحتمل ان يقال انها استفهامية والسابق مفهوم من قوله تعالى
والله يعلم اسرارهم فكانه قال احسب الذين كفروا
ان لن يعلم الله اسرارهم ام حسب المنافقون ان لن يظهرها
والكل باطل وانا نعلمها ونظهرها ويؤيد هذا ان المنقطعة
لا تكاد تقع في الابتداء للكلام فلا يقال ابتداء اجاءني زيد
ام عمرو ام جاء عمرو والاخراج بمعنى الاظهار فانه ابراز والاضغان
هي الحقود واحدها ضغن ثم قال تعالى ولو نشاء
لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم لما كان مفهوم قوله ام حسب
الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ان الله يظهرها اسرارهم
ويبدي اسرارهم فكانه قال ... فلم يظهر فقال

احرياه لمحض المشيه لا يتخوف منهم كما لا نفشي اسرار
الا كان حونا منهم ولو نشا لاريناكهم اي لا مانع
لنا والارادة يعني التعريف وقوله فلعرفتهم بسيماهم
لزيادة فايدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا تلزمه المعرفة
يقال عرفته ولم يعرف وفهمته فلم يفهم فقال ههنا
فلعرفتهم لزيادة فايدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا يلزمه
معرفة يعني عرفناهم تعريفا تعرفهم به اشارة الى
دوم التعريف واللام في قوله فلعرفتهم هي التي تقع في
جز الواو كما في قوله لاريناكهم ادخلت على المعرفة
اشارة الى ان المعرفة كالمرتبة على المشية كانه قال
ولو نشا لعرفتهم لتعرفوا ان المعرفة كالمرتبة على المشية
كانه قال ولو نشا لعرفتهم اي غير متاخرة عن التعريف
فيفيد تاكيدا للتعريف اي لو نشا لعرفنا تعريفا معه
المعرفة لا بعد واما اللام في قوله تعالى ولتعرفنهم
جواب محذوف كانه قال ولتعرفنهم والله وقوله
في لحن القول فيه وجوه احدها في معنى القول
وعلى هذا الحتمل ان يكون المراد من القول قولهم اي تعرفهم
في معنى قولهم حيث يقولون ما معناه النفاق
كقولهم حين مجي النصر انا كنا معكم وقولهم لين رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز وقولهم ان بيوتنا عورة
وغير ذلك ويحتمل ان يكون المراد قول الله عز وجل
اي لتعرفنهم في معنى قول الله تعالى حيث قال ما يعلم
من حال المنافق كقوله تعالى انما المومنون

لتفهم

الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وثانيها في ميل القول
عن الصواب حيث قالوا ما لم يعتقدوا اي ما لوه ان الى ما يهم حيث
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون وقالوا ان بيوتنا عورة وما
هي بعورة ولهذا قال تعالى عاهدوا الله من قبل لا يولون
الادبار الا غير ذلك وثالثها في لحن القول اي
الوجه الخفي من القول الذي يفهمه النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يفهمه غيره وهذا يحتمل امرين الصواب والنبي
صلى الله عليه وسلم كان يعرف المنافق ولم يكن يظهر
امره الى ان اذن الله تعالى له في اظهار امرهم ومنع
من الصلاة على جنايزهم والقيام على قبورهم واما قوله
بسيماهم فالظاهر ان المراد ان الله تعالى لو شا ان يجعل
على وجوههم علامة او يمسخهم كما قال تعالى ولو نشا
لمسخناهم وروي ان جماعة منهم اصبحوا وعلى
جباههم مكتوب هذا منافق وقوله تعالى
والله يعلم اعمالكم وعد للمومنين وبيان لكون
حالهم على خلاف حال المنافق فان المنافق له قول
بلا عمل والمومن له كان له عمل ولا قول به
وانما قوله التسبيح ويدل عليه قوله ربنا لا تواخذنا
ان نسينا او اخطانا وقوله ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
وكفر عنا سياتنا وكانوا يعملون الصالحات ويقولون
في الشيان مستغفين مستغفرين والمنافق كان يتكلم في
المصالح كقوله انا كنا معكم قالت الاعراب امنا ومن الناس

من قوله امنا ويحمل السيى فقال تعالى والله
ا نوالكم النارعة ويعلم اعمالكم الصالحة فلا تضيع
ثم قال تعالى ولنبلونكم اى لنامرنكم بما لا يكون
متعينا الوقوع بل يكون محتملا الوقوع ويحتمل عدم
الوقوع كما يفعل المختبر وقوله حتى نعلم المجاهدين اى نعلم
المجاهدين ويدخل في علم الشهادة فانه تعالى قد علمه
علم الغيب وقد ذكرنا ما هو التحقيق في الاسلام في
قوله حتى نعلم وقوله ونبلو اخباركم يحتمل وجوها احدها
قوله امنا لان المنافق وجد منه هذا الخبر والمومن
وجد منه ذلك ايضا والجهاد يعلم الصادق من الكاذب
كما قال تعالى اولئك هم الصادقون وثانيها اخبارهم
عن عدم التولية في قوله ولقد كانوا عاهدوا الله
من قبل لا يولون الادبار الى غير ذلك فالمومن وفى بعهده
وقاتل مع اصحابه في سبيل الله كانهم بنيان مرصوص
والمنافق كان يتزحزح في صفهم وثالثها المومن
كان له اخبار صادقة مسموعة من النبي صلى الله عليه وسلم
كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله لاغلبن
انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون وللمنافق اخبار
اراجيف كما قال تعالى فيهم والمرجفون في المدينة فعند
تحقق الايجاف يتبين الصدق من الارجاف ثم قال تعالى
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول
من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا فيه وجهان
احدهما هم اهل الكتاب قريظة والنضير والثاني

هم اهل قريش ويدل على الاول قوله تعالى من بعد ما تبين لهم
الهدى وهو صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقوله لن يضروا الله
شيئا تهديد معناه هم يظنون ان ذلك الشقاق مع الرسول
وهو يريد يشاورونه ليس كذلك بل الشقاق مع الله فان
محمدا رسول الله ما عليه الا البلاغ فان ضروا يضروا المرسل
لكن الله تعالى ممتنع عن ان يتضرر بكفر كافر وفسق فاسق
وقوله وسيحبط اعمالهم قد علم معناه فان قيل كيف قد
تقدم في اول السورة ان الله تعالى احبط اعمالهم ولكن
حبط في المستقبل فنقول الجواب عنه من وجهين
احدهما ان المراد من قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
في اول السورة المشركون ومن اول الامر كانوا
مبطلين واعمالهم كانت على غير شرع
والمراد من الذين كفروا ها هنا اهل الكتاب وكانت
لهم اعمال قبل الرسول فاحبطها الله تعالى بسبب
تكذيبهم الرسول ولا نعمم اعمالهم بالحشر والرسل
والتوحيد والكافر المشرك احبط عمله حيث لم يكن
على شرع اصلا ولا كان معترفا بالحشر
الثاني هو ان المراد بالاعمال ها هنا مكايدهم في
القتال وذلك قد تحقق منهم والله سيبطلها حيث يكون
النصر للمومنين والمراد بالاعمال في اول السورة ما هو ما ظنوه
حسنة ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم ها هنا هو من باب عطف
المسبب على السبب يعني الطلب واسرح ولم وامثال

لان طاعة الله تحمل على طاعة الرسول وهذه اشارة الى العمل بعد حصول
العلم كانه تعالى يقول يا ايها الذين امنوا علمتم الحق فاعملوا الحق
وقوله ولا تبطلوا اعمالكم يحتمل وجوها احدها دوموا على ما
عليه ولا تشركوا فتبطل اعمالكم قال تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك
الوجه الثاني لا تبطلوا اعمالكم بترك طاعة الرسول وعصيانه ويؤيد هذا
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم الى قوله ان تحبط اعمالكم
وانتم لا تشعرون الثالث لا تبطلوا اعمالكم بالمن والاذى كما قال تعالى
كما قال تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم
وذلك لان من يمن بالطاعة على الرسول كانه يقول هذا فعلته
لاجل قلبك ولولا رضاك لما فعلت وهو مناف للاخلاص والله
لا يقبل الا العمل الخالص ثم قال تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم بين ان الله لا يغفر للمشرك وما دون ذلك
يغفره لمن يشاء حتى لا يظن ظان ان اعمالهم وان بطلت لكن فضل الله
باق يغفر لهم بفضله وان لم يغفر لهم بعملهم ثم قال تعالى فلا تهنوا
وتدعوا الى السلم لما بين ان عمل الكافر الذي له صورة الحسنات محبط
وذنبه الذي هو اقبح السيئات غير مغفور بين ان لا حرمة له في الدنيا ولا
في الاخرة وقد امر الله تعالى بطاعة الرسول بقوله واطيعوا الرسول
وامر بالقتال ولا تهنوا ولا تضعفوا بعدما وجد السبب في الجد
في الامر والاجتهاد في الجهاد فقال فلا تهنوا وتدعوا الى السلم
وفي الايات ترتيب في غاية الحسن وذلك لان قوله اطيعوا الله
واطيعوا الرسول يقتضي السعي في القتال لان امر الله وامر الرسول ورد
بالجهاد وقد امر بالطاعة فذلك يقتضي ان لا يضعف المكلف ولا يكسل
ولا يهن ولا يتهاون ثم ان بعد المقتضي قد يتحقق مانع ولا يتحقق المسبب

المسبب

والمانع من القتال اما اخروي واما دنيوي فذكر الاخروي وهو ان
الكافر لا حرمة له في الدنيا والاخرة لانه لا عمل له في الدنيا ولا
مغفرة له في الاخرة واذا وجد السبب ولم يوجد المانع ينبغي ان
يتحقق المسبب ولا يهنوا ولم يعتبر المانع الدنيوي على قوله ولا
تهنوا اشارة الى ان الامور الدنيوية لا ينبغي ان تكون مانعة من
الاتيان فلا تهنوا ان لكم النصر وعليهم بالعزيمة على تقدير الانهزام
للهزيمة ثم قال بعد ذلك والمانع الدنيوي مع انه لا ينبغي ان يكون
مانعا ليس بموجود لصاحبه انتم الاعلون والاعلون والمصطفون
في الجمع حالة الرفع معلوم الاصل ومعلوم ان الامر ليفه الى هذه
الصيغة في التصريف وذلك لان اصله في الجمع الموافق علوون ومصطفوون
فسكنت الياء لكونها حرف علة تحرك ما قبلها وبقي الواو وهي ساكنة
فالتقى ساكنان فلم يكن بد من حذف احدهما او تحريكه والتحريك كان
يوقع في المحذور الذي حذف منه فوجب الحذف والواو فيه كانت يعني
لا تستفاد الا منها وهو الجمع فاسقطت الياء وبقي اعلون و [illegible]
الدليل صار الجمع اعلون ومصطفين وقوله والله معكم هداية
وارشاد يمنع المكلف من الاعجاب بنفسه وذلك لانه تعالى لما قال وانتم
الاعلون كان ذلك سبب الاعجاب فقال والله معكم
يعني ليس ذلك من انفسكم بل من الله او نقول لما قال وانتم
الاعلون وكان المؤمنون يرون ضعفا في انفسهم وقلة وكثرة
الكفار وشوكتهم وكان يقع في نفس بعضهم انهم كيف يكون
لهم العلو فقال ان الله معكم لا يبقى لكم شك ولا ارتياب في ان
الغلبة لكم وهذا كقوله تعالى لاغلبن انا ورسلي وقوله وان جندنا

لهم الغالبون وقوله ولن يتركم أعمالكم وعد آخر وذلك لأن الله تعالى
لما قال والله معكم كان فيه أن النصرة بالله لا بكم فكأن القائل
يقول لم يبق لنا عمل له أجر ولا استحق عطاء فقال هو
نصركم ومع ذلك لا ينقص من أعمالكم شيئا ويجعله كأن النصر
حصل بكم ومنكم فكأنكم مستقلون في ذلك ويعطيكم
أجر المستقل والترة النقص ومنه الموتور وكأنه نقص
منه ما يتبعه أو يقول عند القتال قتل من آله فلان واحد فقد
وتروا في أهلهم وعملهم حيث نقص عددهم وضاع عملهم والموتور
قبل قتال ربما نقص من عدده لم ينقص من عمله وكيف لم
ينقص من عدده إلا ما هو حي مرزوق فرح بما إليه مسوق
ثم قال تعالى إنما الحياة الدنيا لعب ولهو زيادة
في التسلية يعني كيف يمنعك الدنيا من طلب الآخرة بالجهاد
وهي لا تفوتك لكونك منصورا غالبا وإنك غير موتور وكيف
وما يفوتك فإن كان مما قال ولم تعوض لا ينبغي لك أن
تلتفت إليها لكونها لعبا ولهوا وقد ذكرنا في اللعب واللهو
مرارا أن اللعب ما يشتغل به ولم يكن فيه ضرورة في الحال ولا
منفعة في المآل ثم إن استعمله الإنسان ولم يشغله عن غيره ولم
ينسه عن أشغاله المهمة فهو لعب وإن شغله ودهشه عن
مهماته فهو لهو ولهذا آلات الملاهي آلات الملاهي لأنها
تشغل عن الغير وأما ما دونه لعب كاللعب بالشطرنج
والحمام وقد ذكرنا ذلك غير مرة وقوله وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم
أجوركم إعادة للوعد والإضافة للتعريف أي الأجر الذي وعدتم

بقوله

بقوله أجر كريم وأجر كبير وأجر عظيم وقوله ولا يسألكم أموالكم
فيه وجوه أحدها أن الجهاد لا بد له من إنفاق فلو
قال إنا لا ننفق مالا فكيف الله لا يسألكم أموالكم في الجهاد
المعينة من الزكاة والغنيمة وأموال المصالح فيما يحتاجون إليه
من المال لا تدعون بإخراجه وثانيها الأموال وهي في أيديكم
عارية وقد طلب منكم أو أحال لكم في صرفها في جهة
الجهاد فلا معنى لبخلكم بماله وإلى هذا أشار بقوله تعالى
وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض
أي الكل لله وثالثها لا يسألكم أموالكم كلها وإنما
يسألكم شيئا يسيرا منها وهو ربع العشر وهو قليل جدا
لأن العشر هو الجزء الأول إذ ليس دونه جزء وليس له اسم
مفرد وأما الجزء من أحد عشر ومن اثني عشر ومن مائة
جزء فإنه لم يكن جزءا ملتفتا إليه لم يوضع له اسم مفرد ثم
إن الله تعالى لم يوجب ذلك في رأس المال بل أوجب ذلك
في الربح الذي هو من فضل الله وعطائه وإن كان رأس المال
أيضا كذلك لكن هذا المعنى في الربح أظهر ولما كان المال
منه ما ينمو بالتجارة فيه ومنه ما لا ينمو فيه فيما ينمو
فيه العادة أخذ منه وهو يحتمل أن يكون التجارة فيه
رابحة ويحتمل أن لا تكون فصار القسم الواحد قسمين
فصار في التقدير أن الربح في النقد فأوجب العشر الذي
في الربح وهو عشر فهو ربع العشر وهو الواجب فعلم أن الله
لا يسألكم أموالكم ولا الكثير منه ثم قال تعالى إن
يسألكموها فيحفكم الثاني قوله فيحفكم للإشارة

لان الاحفاء سبب السؤال بما اشح الانفس وذلك لانه
العطف بالواو وقد يكون للتعليل وبالفا الا يكونوا الا المسؤل فيه
او متعلق احدهما بالاخر وكانه تعالى بين ان الاحفا
يقع عقيب السؤال لان الانسان بمجرد السؤال لا يعطي شيا
وقوله تبخلوا ويخرج اضغانكم يعني ما طلبها ولو طلبها لجاز
عليكم في الطلب لتحكم كيف وانتم تبخلون باليسير فكيف لا
تبخلون بالكثير وقوله ويخرج اضغانكم يعني بسببه
فان الطالب هو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه تطلبونكم
وانتم لمحبة المال وشح الانفس تمتنعون فيفضي الى القتال
وظهور الضغاين ثم قال [illegible] لما قال ها انتم
هؤلاء قد طلبت منكم اليسير فبخلكم فكيف لو طلب منكم
الكل وقوله هؤلاء يحتمل وجهين احدهما
ان يكون موصولة كانه قال انتم هؤلاء الذين تدعون
لتنفقوا في سبيل الله وثانيهما هؤلاء وحدها خبر انتم
كما تقول انت هذا تحقيقا للشهرة والظهور
اي ظهر امركم بحيث لا حاجة الى الاخبار عنكم بامر مغاير
ثم تبتدى تدعون وقوله تدعون اي الى الانفاق اما في
سبيل الله تعالى بالجهاد واما في صرفه الى المستحقين من
اخوانكم وبالجملة ففي الجهتين لدفع الاعداء او نصرة
الاولياء فمنكم من يبخل ثم بين ان ذلك البخل ضرر عايد
اليه فلا تظنوا انهم لا ينفقونه على غيرهم بل لا ينفقونه على
انفسهم فان من يبخل باجر الطبيب وثمن الدواء وهو مريض فلا يبخل
الا على نفسه ثم حقق ذلك بقوله والله الغني غير محتاج الى مالكم

دائمة بقوله وانتم الفقراء حتى لا تقولوا بانا ايضا اغنيا عن القتال
ودفع حاجة الفقرا فانهم لا غنا لهم عن ذلك في الدنيا والاخرة
اما في الدنيا فلانه لولا القتال لقتلوا فان الكافرين لم
يعرفوا والمحتاج ان لم يدفع حاجته يقصد ولا سيما
اباح الشارع للمضطر ذلك ثم قال تعالى وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم بيان الترتيب من وجهين احدهما
انه ذكر شيا للاستغنا كما قال تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق
جديد وقد ذكرناها في تفسير تعلق المشيئة وانه تعالى يقول الله غني
عن العالم باسره ولا حاجة له اليكم فان كان ذاهب يذهب الى
ان ملكه بالعالم وجبروته يظهر به وعظمته بعبادة فيقول
هب ان هذا الملك حق لكنه غير متعين بل الله قادر على ان يخلق
غيركم يفتخرون بعبادته وعالما غير هذا يشهد بعظمته وكبريائه
وثانيهما ان الله تعالى لما بين الامور واقام البراهين واوضحها بالامثلة
قال ان تطيعوا يؤتكم اجوركم وزيادة وان تتولوا لم يبق الا الاهلاك
فان ما من نبي انذر قومه واصروا على تكذيبه الا وقد حق عليهم القول بالاهلاك
وطهر الله الارض منهم واتى بقوم احسن طاهرين وقوله ثم لا يكونوا
امثالكم فيه مسئلة نحوية يبين منها فائدة غريبة وهي ان النحاة
قالوا يجوز في المعطوف على جواب الشرط بالواو والفاء الجزم والرفع
يقول ان تاتني اتيك بالجزم والرفع جميعا قال الله تعالى
هاهنا وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم بالجزم
وقال في موضع اخر وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون
بالرفع باثبات النون وهو مع الجواز ففيه تدقيق وهو ان ههنا لا يكونوا
متعلقا بالتولي لانهم ان لم يتولوا يكونون ممن ياتي بهم الله على الطاعة
وان تولوا لا يكونون مثلهم لكونهم عاصين وكون من ياتي بهم مطيعين ولما قال

سواء املوا او لم ينفقوا املوا الا يصرون ولم يكن للتعليق هنا كما وجد من
الابدا وها هنا جزم للتعليق وقوله ثم لا يكونوا امثالكم
يحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد لا يكونوا امثالكم في او صف
دينه وفيه احدها قوم من العجم وثانيها قوم من
فارس روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن من يستبدل
بهم ان يتولوا وسلمان الى جنبه فقال هذا وقومه ثم قال لو
كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وثالثها قوم من
الانصار والله اعلم ۝ ۝

تم الجزء من تفسير كتاب العزيز

بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد

النبي وعلى آله وصحبه وسلم

تسليما كثيرا